

مجلة مجمع العلمي بدمشق

العدد ١٣٣٩ : هو الموافق لسنة ١٩٢١ م
تشر في دمشق مرة في الشهر

كانون الثاني سنة ١٩٣٣ م

الموافق رمضان سنة ١٣٥١ هـ

دمشق :

المجمع العلمي العربي

—(١٣٣٩)—

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ٢٥٠ قرشاً سورياً
الدفع مقدماً { وفي جميع الاقطار ٦٠ فرنكاً

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

في الداخل ٥٠٠ من السنة الاولى الى السادسة الى كل سنة منها

في الخارج ٦٠٠ = السابعة الى الثانية عشرة = ٣٠٠

= في الخارج ٦٠٠ = الاولى الى السادسة =

= السابعة الى الثانية عشرة = ٣٥٠ =

ارتجال الشعر واجازته

١ - تمهيد

ارتجال الشعر قوله ابتداءً من غير روية ولا استعداد . ومن مترادفات ابتداء والاقتراح والاقتضاب . و«خشب» الشعر واختشابه إرساله كما يجيء بلا تنسيق اي من غير تأنيق فيه وتعمل له . فهو خشبٌ ومخشوبٌ . قال الزمخشري في الأساس : « كان الفرزدق ينقح الشعر وكان جرير يخبش » . وكان خشب جرير خيراً من تنقيح الفرزدق . وقال جندل :

« قد علم الراشح في العلم الأرب » والشعراء أني لا أخشِبُ
حسري رذاياهم^(١) ولكن أقتضبُ

اي أبتدع .

والإجازة هي ان يتم الشاعر بيتاً أنشد غيره مصراعاً منه . أو أن ينظم بيتاً أو أكثر على مثال بيت أو أكثر ، له أو لغيره ، ملتزماً بجره وقافيته . ويقال لها الماتنة والمساجلة والمعارضة والمخاضرة والمباراة . وموضوع الكلام ، في هذه المقالة ، ما وقع منها ارتجالاً بلا ترتيب ولا إبطاء . فلا يدخل فيه ما يميزه الشعراء على مهل وتأنٍ ، من باب الاجتهاد والمعارضة ، كما يفعلون بالنسيب أو التبطير والتخميس .

٢ الشك في إمكان الارتجال

ولا يخفى ان بعض الكتاب في هذه الايام يشكّون في إمكان ارتجال الشعر

(١) حسري جمع حسر اي كليل متعب . ورذايا جمع رذية مؤنث رذني بمعنى

هزيل .

ويطعنون في صحة ما نراه في كتب الأدب من دعوى ارتجال الشعراء الجاهليين والمخضرمين والمولدين والمحدثين ، للأبيات والنثف (١) والقطع والقصائد المنسوبة إليهم . فيعدونها دخيلة أو منخولة أو يزعمون أن أصحابها كانوا ينظمونها بعد سبق التروية والتفكير . ثم يستظهرونها ويحملونها على ظهور السنتهم وينشدونها في مجالس الخلفاء والملوك والأمراء والوزراء . فيخيل إلى سامعيهم أنهم ارتجلوها ارتجالاً . ويشيع عنهم ذلك وتتناقله الألسنة ويحمله التواتر ، وهكذا يُعزى إليهم ما لم يكن فيهم ولا ادعوه قط .

٣ - هذا الشك يتناول الإجازة أيضاً

هذا المخلص ما يقوله المشككون في إمكان قرض الشعر ارتجالاً . وهو يتناول شكهم في الإجازة المرتجلة . فلا يصدّقون ما يروى عنها . ويخرجونه على وجوه مختلفة . فإذا ذكرت لهم مثلاً حادثة أبي تمام الشاعر المشهور ، حين مثل بين يدي أحمد بن المعتصم ، في حضرة الفيلسوف يعقوب بن الصّبّاح الكندي ، وأنشد قصيدته السنية التي مطلعها : « ما في وقوفك ساعة من باس » وانتهى إلى قوله :

إقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم اخنف في ذكاء اياس
وقال له الكندي : « لقد شبهت الأمير بـمهالك العرب » فأطرق أبو تمام هنيئاً وأنشد :

لا تنكروا ضربي له من دونه . مثلاً شروداً في الندي والباس .
فالله قد ضرب الأقل لنوره . مثلاً من المشكاة والبراس .
قالوا لك « ليس بعيداً أن يكون أبو تمام ، لما نظم القصيدة وانتهى إلى البيت الذي شبه فيه ممدوحه بن حم دونه ، قد تنبه إلى ما يرد عليه من الاعتراض فاستعد لدفعه بالبيتين اللذين حفظهما في ذهنه وأنشدهما بعد الاعتراض على وجه أوهم السامعين أنه نطق بهما إجازة مرتجلة فأعجبوا بسرعة خاطره وحضور ذهنه » . وربما زادوا على ذلك قولهم ، تأييداً لرأيهم هذا ، أن أبا تمام كان مشهوراً بالتريث والابطاء في نظم الشعر .

(١) جمع نثف بضم النون . نُقل عن الفراء أن العرب تسمي البيت الواحد بيتاً والبيتين والثلاثة نثف . أفاده الصّبّان .

واذا استشهدت على إمكان الإجازة المرتجلة بالشاعر مان الموسوس الذي قيل انه
سمع قول بعض الشعراء :

«حجبوا عن الرياح لاني قلت ياريح بلغنيها السلام»

لورضوا بالحجاب مان ولكن منعوها عند الوداع الكلاما»

فقال من فوره محيزاً :

«فتنفست ثم قلت لطيفي ويلك ان جئت طيفها الماما

حيثها بالسلام سرّاً وإلا منعوها لكيدهم ان تناما»

أجابوك قائلين ما الدليل على كونه قد نظم بيتيه من فوره ؟ ألا يحتمل ان يكون

قد نظمهما على انشاد وترويض قديماً أو معارضة للبيتين الاولين ؟ »

٤ - ا - اهم اسباب الارتباب

أ - تعذر الارتجال على بعض الكتاب

ولم على مخالفتهم المعروف من جهة ارتجال الشعر وارتبابهم في صحته أدلة كثيرة أهمها

اثنان . . .

ففي الاول يقولون : « لقد اتخذنا لك من عدته واستوفينا جميع الشروط للنظم . فخذنا

علوم اللغة بأسرها . ووقفنا على مطولات علي المروض والقوافي . وطلعتنا كثيراً من

دواوين فحول الشعراء وكتب اليلفاء واذخرنا ما لم يسهل على غيرنا حفظه من مفردات

اللغة ومترادفاتنا ونرا كيفها الفصيحة ونعايرها البليغة . ولما استكملنا الإحبة حاولنا النظم

غير مرة فاعتاص علينا . ومع كل ما بذلناه من الجهد في تدوين وعنه وتسهيل صعبه لا تزال

نراه شديد الشكية وخشن المركب . فإذا كان هذا شأنه معنا ونحن نزاوله في ترسل

ونعمل واجهاد قريحة واستكداد ذهن فكيف نصدق انه كان يذلل وينقاد لمن أنوه على

البديهة بلا اقل استعداد ؟ »

ب - عدم شيوع الارتجال في هذه الايام

ويقولون في الثاني : « لو صح ما يروى عن من تجلات الشعراء القاريين لوجدنا لها اثرأ

بين شعراء هذا العصر وفيهم نخبة من حملة لوائه والمجلين في مضماره . هؤلاء كلهم ينظمون

فيه قصائد كالفرائد في القلائد . ويشنفون الآذان بما هو اغلى من الدر والعقيان .
ويسكرون الاذهان براح البلاغة وسحر البيان . ومع ذلك لا نسمع عنهم أنهم ابتدوها
قصيدة أو ارتجلوا قطعة أو تنفة أو على الأقل أجازوا بيتاً أو مصراعاً قبل أن يأخذوا نفساً
أو يملعوا ريقاً . »

٥ كلاً الداليلين غير مقنع

ويرد عليهم في الاول ان عجزهم عن تدليل مطية الشعر لا يصح أن يتخذ دليلاً على عدم
هنوها ومطاوعتها لغيرهم . ومتى كان جهل الانسان لشيء دليلاً على عدم علم غيره به ؟ انما
يصح ان بعد اعتياد الشعر عليهم دليلاً على تقدم ملكته المعبر عنها بالقريحة . وغاية ما
ينبغي ان يؤخذ من قولهم هذا انهم غير مخلوقين للشعر ولا مطبوعين عليه . وكونهم
كذلك لا ينبغي ان يكون غيرهم بخلاف ما هم عليه . وجميع الشروط التي قالوا انهم
استوفوها قد تكفي لأن تجعل الانسان ناظماً لاشعراً .

ويرد عليهم في الثاني أن استقراءهم في ما يتعلق بشعراء هذه الايام ناتج لا يصح
الاستناد اليه في الحكم على الشعراء الغابرين . وهبهم استطاعوا ان ينفوا قوة الارتجال
عن شعرائنا المجيدين — وهو فوق استطاعتهم كما سيأتي — فليس ذلك بدليل على تفوقها
عمن تقدمهم في العصور السالفة . ومهما يبلغ من شدة براعة شعرائنا في نظم الشعر فان
بينهم وبين الشعراء السابقين اختلافاً كبيراً في امور كثيرة تحول دون بلوغ المتأخرين
شأوا المتقدمين في النظم الارتجالي . واهم هذه الامور تغير احوال الزمان والمكان وتبدل
وتجوه الاجتماع والعمران . وترقي اساليب المعيشة وتنوع طرق التعليم والتهذيب وتثعب
مسالك الكسب وطلب الرزق واتساع مسافة الفرق بين اللغة الفصحى والاهجيات العامية
الظامية سيول الفاظها وتعابيرها على الالسنه والشفاه وشيوع كثير من اللغات الاجنبية
بين الناطقين بالضاد واضطرار اكثر الشعراء الى تعلم لغة او لغتين منها .

هذه كلها عرضت لما أوتيه فحول شعرائنا من قوة الاجتهاد والارتجال وحالت دون
ظهورها فيهم بالمظهر الساطع الرائع الذي كانت تظهره في من تقدمهم . ومما زاد هذه
العقبة الكونود وغورة ومشقة عليهم أنه لم يتح لاحد منهم — كما أتبع لا كثر شعراء العهد

الماضي — ان يتخذ الشعر صناعة له يقتصر على احترافها وتعاطيها ليزداد بمواصلة مزاولته لقرض الشعر تمسكاً به وتمراً عليه حتى تظل فيه قوة الارتجال بكثرة الاستعمال محكمة الصقل متقنة الشخذ لا يصلد زندها ولا يكل افرندها .

ومع هذا كله لا يقتصر اكثرهم عن الضرب بسهم كبير في ابتداء القريض فبأنوثه في الإجازة وغيرها من تجليات البيت والتفتة والقطعة الى ما يتجاوز العشرة وقد يبلغ العشرين ولو نهياً لهم بعض الأسباب التي نهيت للشعراء الغابرين لجاروهم في حلبة النظم الارتجالي وبرزوا عليهم . وليعلم القاري ان كاتب هذه السطور لا يقطع في صحة كل ما يروي من مرتجلات الشعر . ومن رأيه انه لا بد للشاعر قبل الارتجال من بعض دقائق يقضيها في تصور المعنى واختيار اللفظ .

٦ — قالة المعنى

وما يؤيد قولنا هذا النظر الى قالة المعنى . وهو شعر العامة في جبل لبنان وما جوله كالزجل في مصر . وله اوزان مخصوصة تقرب من اوزان أبحر الوافر والكامل والمتدارك في الشعر ويعرف قائله بالقوال . وما يقوله بالمطلع والقصيد . وهو في المعنى كالحل سيف الزجل . ومنه ضرب يعرف بالعديات او القراديات . ويراعى في نظمه القافية والمحافظة على الوزن بلا التفات الى صحة اللغة والاعراب . واكثر ما يقوله أربابه ارتجالاً فينظمونه متبادهين ينجبون بعضهم بعضاً على بحر واحد وقافية واحدة متناولين جميع النون الشعرية من مدح وهجاء وفخر وحماسة وغزل وحكم ورثاء . ويلتزمون فيه أكثر ما يلتزمه الشعراء من البديع اللفظي والمعنوي والألفاظ والمعاني وغيرها . وقد زاوله كثيرون من شعراء لبنان كالشيخ ناصيف اليازجي وبنيه الشيخ حبيب والشيخ إبراهيم والشيخ خليل وكان ساني المرحوم الشيخ إبراهيم الحوراني من اكبر قائله واشهر فرسان سياحته وبين شعراء لبنان الآن عدد ليس بقليل من قالة المعنى الذين يشار اليهم بالبنان .

والذين يواظبون على قوله في هذه الايام لا يقولون عن سبقهم فيه براعة وتفتكاً وسرعة خاطر وفيض قريحة . وقد شهدت لهم عدة مجالس سمعت منهم فيها ما يطرب ويعجب ويقضي بأشبه مظاهر الخيرة والدهشة . واتفق مرة ان احدهم وهو الاديب اسعد الخوري القوال

الدائع الصيبت اشار الي في احد مطالعه وبالح في مدحي واطرائي . فلم يسعني الا ان
 أنشدت قصيدة في وصف الحفلة والثناء على براعة القوالين ولم افرغ من انشادها حتى ايجاني
 من فوزه بأبيات — من بحر قصيدتي وثانيتهما — ان لم تكن من بليغ الشعر فليست من
 مبتدله ودركيكه . وبما اذكره له قوله في مطالع قصيد :
 «بك يراعك . يتسم زهر : الندى . وضحك حياضك في الوغى تبك العدى»
 وكما استطاع قالة الملقى في هذه الايام ان ينظموه على اليديه كما كان ينظمه قاليه
 في القديم هكذا يستطيع شعراؤنا الآن ان ينظموا الشعر ارتجالاً متى ارادوا وتوافرت
 لهم الاسباب التي تهيأت لغيرهم في سالف الازمان .

٧ بعض أمثلة الشعر الارتجالي

ويكتب الأدب حافلة بالنتف والقطع والقصائد التي يقال ان الشعراء كانوا
 ينشدونها ارتجالاً اجابة لاقتراح خليفة أو ملك أو أمير أو وزير . فن ذلك ما يروى عن
 المعز بن باديس انه استدعى شاعريه ابا عبد الله بن شرف القيرواني وابن رشيق الأزدني
 واقترح عليهما ان ينظما بين يديه قطعتين في وصف الموز على قافية الغين . فليما من فورهما
 الطلب . وكان ما نظمه القيرواني :

« يا حبذا الموز . واسعاده . من قبل أن يمضغه الماضغ
 . . . لأن الى أن لا يحبس له . فالقم بلا لب به فارغ .
 . . . فانه لي . ما كل طيب . وانه لي مشرب سائغ »
 وكان ما نظمه ابن رشيق :

« مؤث . صريع اكله . حين قبل مضغ الماضغ .
 فاكل لا كل . ومشرب . لسائغ .
 . . . والقم من لين . به . ملآن . مثل فارغ »

ومنه ان الشاعرين ابن قلاص وابن المنجم صعدا مع جماعة الى سطح الجامع في القاهرة
 عند مغيب الشمس في آخر يوم من شهر رمضان . فاقترحوا عليهما ان ينظما كل منهما في
 وصف ما يراه من غياب الشمس وظهور الهلال . فأطرق كل منهما مفكراً . وميز ما قذفه

اليه بحر خاطره متخيلاً . ولم يكن الا كرجعة طرف ، أو كوثبة طرف ^(١) ، حتى أنشدا .
فقال ابن النجيم :

« وعشاء كأنما الأفق فيه لازورد مرصع بنضار
قلت لما دنت من المغرب الشم - بين ولاح الهلال للنظار
أقرض الشرق صنوه ^(٢) الغرب دينا رأ فأعطاء الرهن نصف سوار »
وقال ابن قلاقس :

« لا تظن الظلام قد اخذ شمس وأعطى النهار هذا الملالا
انما الشرق أقرض الغرب دينا رأ فأعطاء رهنه بخيال »
وكلاهما رائع بليغ . ولكن الاول أروع وأبلغ كما لا يخفى .
ومنه انه جرى نزاع في الشعر بين ابن الندروي وهبة الله ابن الوزير وهما في بحمام .
واتفقا ان يحكم بينهما احد الأدياء . فاقترح عليهما ان ينظم كل منهما شعراً في وصف
الحمام ، فيحكم بالأفضلية لمن يسمو وصفه على وصف الآخر . فقال ابن الندروي :
« إن عيش الحمام عيش هنيء غير أن المقيم فيه قليل
جذبة تذكره الإقامة فيها وجعيم يطيب فيها الدخول
فكان الغريق فيها كليم ^(٣) وكان الحريق ^(٤) فيها خليل »
وقال ابن الوزير بعد ريث وإبطاء :
« لله يوم بحمام نعمت به والماء من حوضها ^(٥) ما بيننا جار
كانه فوق شفاف الرخام بها ماء يسيل على أثواب قصار »
فانتقد عليه الحكم تشبيهه الماء بالماء . واستزده ابن الندروي فقال فيه :
« وشاعر أوقد الطبع الذكاء له بل كاد يحرقه من فرط إذكاء
فقام يجهد في نظر رويته وفاء الماء بعد الجهد بالماء »

(١) الطرف بفتح الطاء العين . والظرف بكسرهما الكريم من الخيل .
(٢) الصنو الاخ الشقيق . (٣) كليم الله موسى . (٤) المحروق . ويراد بخليل
ابراهيم خليل الله . (٥) الحمام مذكور وقد يؤث كذا في هذا البيت :

ومنه ان المهدي خرج يوماً للصيد ومعه علي بن سليمان وابو دلالة الشاعر . فرمى المهدي ظيًّا فأصماه ورمى ابن سليمان فأصاب احد كلاب الصيد . فأمر المهدي ابادلالة ان يقول بديها شيئاً في ذلك فارتجل :

« قدرمى المهدي ظيًّا شك بالسهم فؤاده
وعلي بن سليمان رمى كلباً فصاده
فهيئاً لهما كل مأمري يا كل زاده

ومنه ان تميم بن جميل التغلبي عاث في بعض الأعمال وأمر المعتصم فجي به اليه . فلما مثل بين يديه ورأى السيف والنطع معدّين لقتله أراد المعتصم ان يعلم كيف منطقه . فقال له « تكلم » فقال بعد ما حمد الله ودعا للمعتصم « ان الذنوب تُخرس الألسنة وتُعمي البصائر ، فلم يبق الا العفو أو الاقتصاص ، وأرجو ان يكون أقربهما مني أليقهما بك » . ثم ارتجل تسعة أبيات قال في مطلعها :

« أرى الموت بين النطع والسيف كأنما
بلا حظي من حيث لا أتلفت »
ومنها :

« وما جزعي أني أموت وانني
ولكن خلقي صبية قد تركتهم
كأنني أراهم حين أني اليهم
فان عشت عاشوا سالمين بغبطة
لأعلم ان الموت أمر موقت
وأكبادهم من حسرة تنفت
وقد خمشوا تلك الوجوه وصوتوا
أذود الردى عنهم وانمت موتوا »
فعفا عنه المعتصم وقلده عملاً .

ومنه ان جريراً دخل على الوليد بن عبد الملك وعنده عدي بن الرقاع العاملي ينشده القصيدة التي يقول فيها :

« غلب المسامح الوليد سماحة
وكفي قريش المضلات وسادها »
قال جرير : « فحسده على أبيات منها حتى أنشد في صفة الظبية :

« ترجي أغن كأن إبرة روقه »

ثم قطع الانشاد لتشاغل الخليفة عنه . فظننت انه قد أرتج عليه . فقلت سيف نفسي

لقد وقع . . وهو عاجز عن إتمام هذا التشبيه على وجه حسن مقبول ، ولكنه ما أبطأ أن قال : « قلم أصاب من الدواة مذاها » . واذا ذاك اخذ مني الحسد كل مأخذ وما قدرت أن أقم فأنصرفت » .

والحق يقال أن هذا التشبيه من أكبر معجزات البلاغة وسحر البيان ، ولو خامر قلب جرير أقل ريب في ارتجال ابن الرقاع لهذه القصيدة لم يتوقع عجزه عن إتمام البيت عندما أشد صدره ولا خسده عليه بعدما أتمه .

ومنه أن أبا الفضل الدارمي سمر ليلة مع بعض أصحابه وبين أيديهم شمعة ، فأفصى حديثهم إلى وصفها ، وأطرق بعضهم لينظم فيها . فارتجل أبو الفضل :

سمرنا فأذهبنا الهموم بشمعة غنينا بها عن طلعة الشمس والبدر
أقول وجسمي ذائب مثل جسمها ودمعها الحراري كما دمعني تجري
كلانا لعمري ذوب نار من الهوى فنارك من جمر وناري من هجر
وانك مثلي في مكابدة الأسا فصدرك في نار وناري في صدري

وغير ذلك مما يضيق المقام دون استيفائه . وفي ديوان أبي الطيب المنفي شيء كثير من مرتجلاته وإجازاته في مجالس بدر بن عمار وإبي العثائر وسيف الدولة وغيرهم . وكلها تشهد له بأنه كان من المجالين في مضمار هذين الفنين .

٨ - بعض الإجازات المرتجلة

أما الإجازات المرتجلة فمن أقدم الأمثلة عليها في كتب الأدب ما نطالع عن عبيد ابن الأبرص المضرية من فحول شعراء الجاهلية وحكايتها ودهانتها وأحد أصحاب القصائد المجمعرات المكدودة في الطبقة الثانية بعد المعلقات . فقد قيل أنه لقي امرأة القيس يوماً ومأله « كيف معرفتك بالأوابد ؟ » أسى القوافي الشرد . فأجابه : « ما أحيت » فسأله عبيد :

« ماحية ميتة قامت يمينتها درداً ما أنبتت ناباً واضراساً ؟ »
فأجابه امرؤ القيس :

« تلك الشعيرة تسقى في سنابلها قد أخرجت بعد طول المكث أكداً »

ثم سألته عبيد :

« ما السود والبيض والاسماء واحدة لا يستطيع لمن الناس تماساً »
فأجابه :

« تلك السحاب اذا الرحمن أنشأها روى بها من محول الارض أيباشاً »

ثم سألته :

« ما مرتجات على هول مراكبها بقطعن بعد المدى سيراً وإمراً »
فأجابه :

« تلك النجوم اذا حانت مطالعها شبهتها في سواد الليل أقباساً »

ثم سألته بعد ذلك عن الرياح والمنابا والجياد والموازين فأجابه عن كل منها على المثال المتقدم وكان مجموع أبيات السائل والمسؤول متبة عشر فاذا صحت هذه الرواية كانت الفضل الاكبر فيها لامرئ القيس . فقد ابدى في أجوبته من شدة الذكاء وقوة المعارضة وسرعة الخاطر ما يحسد عليه .

ومنها ان النابغة الذبياني زار رجلاً . فتناول هذا كاساً وقال :

« تطيب نفوسنا لولا قذاها ونحتمل الجليس على اذاها »

فقال النابغة :

« قذاها ان صاحبها بخيل يحاسب نفسه بكم اشتراها »

ومنها أن زهير بن أبي سلمى نظم بيتاً وصدر بيت آخر وهما :

« تراك الارض إمامت خفياً^(١) ونجيا ان حيث بها ثقيلاً »

نزلت بمستقر العز منها »

ومر به — النابغة الذبياني فقال له : — « أجز يا أبا أمانة » . فاكدى اي امسك عن

الجواب ثم أقبل ابنه كعب وهو بعد غلام . فقال له « أجز يا بني » فانشد :

« وتمنح جانبيها أن يزولا »

فضمه الى صدره وقبله وقال له : — « أنت ابن زهير حقاً ! »

وَمَتْنَهَا مَا يَحْكِي عَنْ جَرِيرٍ وَالْفَرَزْدَقِ حِينَ اجْتَمَعَا عِنْدَ بَشَرَ بْنِ جَرَوَانَ فَقَالَ لَهَا : انكِ
لَقَدْ تَعَارَضْتُمَا الْأَشْعَارَ وَتَطَالَبْتُمَا الْآثَارَ وَتَقَاوَلْتُمَا الْفَخَارَ وَتَهَاجَيْتُمَا . فَمَا الْهَجَاءُ فَلَا حَاجَةَ لِي
فِيهِ . فَدَعَا الْآنَ مَانَعِي . وَجَدَدَا بَيْنَ يَدَيِ الْفَخْرِ مَتَبَادِهِينَ . « فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ :

(لَنَحْنُ السَّنَامُ وَالْمَنَامُ غَيْرُنَا وَمَنْ ذَا يَسُورُ بِالسَّنَامِ الْمَنَامَا ^(١))

فَقَالَ جَرِيرٌ :

عَلَى مَعْقَدِ الْأَعْجَازِ أَنْتُمْ زَعَمْتُمْ وَكُلُّ سَنَامٍ تَابِعٌ لِلْغَلَامِ ^(٢)
وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ :

(عَلَى مَحْرُضِ الْفَرَسِ أَنْتُمْ زَعَمْتُمْ إِلَّا أَنْ فَوْقَ الْغُلَصِمَاتِ الْجَمَاعَا ^(٣))
فَقَالَ جَرِيرٌ :

(وَأَنْبَأْتُمُونَا أَنْكُمْ هَامٌ قَوْمُكُمْ وَلَا هَامٌ إِلَّا تَابِعٌ لِلْخِرَاطِ ^(٤))

وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ :

(لَنَحْنُ الزَّمَامُ الْقَائِمُ الْمُقْبَدِيُّ بِهِ مِنْ النَّاسِ مَا زِلْنَا فَلَسْنَا لَهَا زَمَا ^(٥))

فَقَالَ جَرِيرٌ :

(لَنَحْنُ يَبْرُؤُ زَيْدٍ قَطَعْنَا زَمَامَهَا فَتَأْتِ كِسَارُ طَائِشِ الرَّأْيِ عَارِمٌ ^(٦))

فَقَالَ لَهُ بَشَرٌ : « غَلَبَتْهُ بِقَطْعِكَ لِلزَّمَامِ وَذَهَابِكَ بِالنَّاقَةِ . » ثُمَّ أَحْسَنَ جَائِزَتَهُمَا وَفَضَّلَ
جَرِيرَ أَبِي بَرْزٍ الْقَارِيَّ ابْنَ جَرِيرٍ أَوْ جَارِيَّ الْفَرَزْدَقِ فِي الْبَحْرِ وَالْقَافِيَةِ وَخَالَفَهُ فِي حَرَكَةِ
الرَّوْيِ فَقَط .

وَمِنْهَا أَنْ هَذَيْنِ الشَّاعِرَيْنِ اجْتَمَعَا هُمَا وَالْأَخْطَلُ فِي مَجْلِسِ عَبْدِ الْمَلِكِ . فَاحْضَرُ بَيْنَ

(١) السَّنَامُ حَدْبَةٌ فِي ظَهْرِ الْبَعِيرِ . وَفَلَانٌ سَنَامٌ قَوْمُهُ أَيْ كَبِيرُهُمْ وَالْمَنَامُ جَمْعُ مَنْسَمٍ
وَهُوَ خَفٌّ الْبَعِيرِ .

(٢) جَمْعُ غُلَصِمَةٍ وَهِيَ اللَّحْمُ بَيْنَ الرَّأْسِ وَالْعُنُقِ . وَهِيَ أَيْضًا السَّادَةُ وَالْجَمَاعَةُ .

(٣) الْمَحْرُضُ اسْمُ مَكَانٍ مِنْ جَرَضِهِ أَيْ خَنْقِهِ . وَالْفَرَسُ دَقُّ عُنُقِ الْفَرَسَةِ .

(٤) وَأَخَذَهَا هَامَةً أَيْ الرَّاسَ . (٥) جَمْعُ لَمْزَةٍ وَهِيَ عَظْمٌ تَحْتَ الْأُذُنِ .

(٦) اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ عَرَمِ الرَّجُلِ إِذَا فَارَقَ الْقَصْدَ وَخَرَجَ عَنِ الْحَدِّ .

بين يديه كيساً فيه خمس مئة دينار وقال لهم : ليقل كل منكم بيتاً في مدح نفسه . فأبكم
غلب فله الكيس . فبدر الفرزدق فقال :

أنا القطران والشعراء جربي وفي القطران للجربي شفاء

وقال الأخطل :

فان تك زق زاملة فاني أنا الطاعون ليس له دواء

فقال جرير :

أنا الموت الذي يأتي عليكم فليس لهارب مني نجاء

فقال له عبد الملك : خذ الكيس فان الموت يأتي على كل شيء .

ومنها ان هؤلاء الثلاثة حضروا مجلس هشام بن عبد الملك ، فأمر باحضار ناقة وقال

لهم : « عظمت مصراعاً في هذه الناقة ، فأبكم أجازه كما أريد فهي له . وهذا هو المصراع :

(أنينها ما بدا لي ثم أرحلها) » . فبدر جرير فقال :

(كأنها معة تقى^(١) تعدو بصحراء)

فقال له هشام (لم تصنع شيئاً) . ونال الفرزدق : (كأنها كاسر بالدوة فتجاء^(٢))

فقال هشام : (ولأنت) . فقال الأخطل : (ترخي المشافر والحيين إرجاء^(٣)) .

فقال هشام : (اركبها بارك الله لك فيها) . وقد خالف الفرزدق رقيقه في حركة

الروي .

ومنها ان ابا تراب هبة الله بن السريجي لقي يوماً الشريف العباسي . وكان كلامهما

شاعرين . فقال ابو تراب :

أسلوت حب بدور^(٤) ام تتجالد وسهرت ليلك ام جفونك ترقد ؟

فأجاب الشريف بديها :

لا بل هم ألفوا القطيعة مثل ما ألفوا نزولهم بها فتبع سديا .

(١) من أعتق الرجل فرسه أي أعجلها . (٢) الدوة المنازة ، والفتحاء العقاب اللينة

الجناح^(٣) . (٣) المشافر جمع مشفر شفة البعير ، والحيان عظام الحنك اللذان عليهما الاسنان .

(٤) علم لامرأة .

فقال ابو تراب :

فالامَ تبصر والقواد متم ولظى اشتياقك في الحشى يتوقد ؟
فأجاب الشريف :

ما دام لي جلد فلست بجازع . إذ كان صبري في العواقب يحمد
فقال ابو تراب :

أحسنت : كتمان الغرام فضيلة . لو كان دمع العين مما يجمد
فأجاب الشريف :

ان كان جفني فاضحي بدموعه أظهرت للجلساء أني أرمد
فقال ابو تراب :

فهب الدموع اذا جرت أخفيتها فيقال لِمَ أنفاسه تتصعد ؟
فأجاب الشريف :

أمشي وأمرع كي يظنوا أنها من ذلك المشي السريع تولد
وهي طويلة اكتفيت بذكر ما تقدم منها .

ومنها ان الشيخ الزنجيلي دخل ذات ليلة على الفاضل المكي يعود من مرض ، ولم يكن
في غرفته مصباح ، فقال الزنجيلي مثلاً بيت يقال انه لمنصور التميمي المعروف بابن
الحلاج وهو :

ان بيتاً انت ساكنه غير محتاج الى الله مرج

فأجابه المكي من فوره :

ومريضاً انت عائد قد أناه الله بالفرج

ومنها ان المعتمد بن عباد صاحب قرطبة واشبيلية وما والاهما من الاندلس خرج يوماً
يتنزه في مكان يقال له مرج الذهب ومعه وزيره ابوبكر بن عمار الملقب بذي الوزارتين
فجلسا على شاطئ غدير ، واذا بالريح قد هبت على الغدير فجعد مأوه . فقال المعتمد :

« نسج الريح على الماء زرد »

وحاول ابن يثم البيت فلم يستطع ، فأهاب بوزيره ابن عمار وكان شاعراً مجيداً ، وقال

له : « أجز ماقلت » ، فأقر داي سككت عيًّا . وكان على مقربة منها جارية اسمها عماد
وتعرف بالرميكية ، فسمعت كلامها وقالت من فورها : « ياله درعا منيعا لو حمد » فتعجب
العمد من شدة بداهتها وجودة نظمها ، ولم يلبث ان تزوجها .

ودخل يحيى بن خالد حديقة قصره ومعه جاريته دنانير ، فرأى وردا نضيرا فقال :
أجيزي يادنانير :

الورد أحسن منظرًا فتمتعوا بالاحظ منه

فقالت مسرعة :

فاذا اتقضت ايامه فالورد انت تنوب عنه

وخرج الحسن بن الضحاك وابو العتاهية ، فاذا بأمرأة تبكي ولدا لها . فقال ابو العتاهية :

فما تنفك بالكمية بعين غنير دمعها كددا حشاها

فقال الحسن :

تتسادي حفرة أعيت جوابا فقد ولدت وضم بها صداها

وسمع احمد بن يوسف الشاعر قينة تغني :

أناس مضوا كانوا اذا ذكر الألى مضوا قبلهم يتلوا عليهم وسلموا

فقال أحمد مجيزا :

وما نحن إلا مثلهم غير اننا أقمنا قليلا بعدهم فتقدموا

وقال ابو نواس يوما لجماعة من الشعراء : أجزوا قولي — (عذب الماء وطابا)

فأجاب ابو العتاهية على البديهة : (حبذا الماء شرابا) .

ورأى ابو نواس الجارية عنان في بعض ايام الربيع ، فقال لها : (أجيزي يا عنان)

كل يوم عن أخوان جديد تفحك الارض من بكاء السماء

فقال من فورها :

فهي كالوشي من ثياب عروس جلبه التجار من صفاء

ورأها يوما تبكي وكان مولاها قد ضربها فقال :

بكت عنان فجوى دمعها كلولو ينسل من خيطه

فقلت : فليت من يضربها ظالماً تجف بمنساء على سوطه

ودخل رجل ذات ليلة على ابي بكر البكي ، فأنكره وسأله عن صناعته ، فأجابه :
(اني شاعر) فأراد ابوبكر امتحانه ، ونظر الى شيء يصفه فلم يجد غير المصباح ، فقال
للرجل أجز :

ومصباح كأن الضوء فيه يحيا من أحب اذا تجلى

فقال الرجل مسرعاً :

أشار الى الدجى بلسان أفعى فشم ذيله هرباً وولى

وهذه الامثلة على كثرتها ليست الا قطرة من بحر الاجازات الزاخر وكلها تشهد
لشعراء الغابرين بقوة العارضة ومروعة الخاطر .

وكان الشاعران الشيخ ابو الحسن الكسبي والشيخ ابراهيم الحوراني كثيراً ما يجتمعان
في بيت ثانيهما في بيروت يتبادهان الشعر في مواضيع مختلفة ومعها جماعة من اهل الأدب
حتى كان منزل الحوراني في تلك الايام اشبه شيء بسوق عكاظ . ومن الأسف ان طائفة
كبيرة مما كانا يرتجلانه ويميزانه فقدت ولم يعن الذين سمعوا بكتابتهما . فمن ذلك
أنه اقترح عليهما ان يصفا رجلاً طويلاً القامة ضخم الجثة كبير الملامح . فقال الحوراني :
(هنراً قدأ علوه الف متر)

فاجازه الكسبي بقوله : فوقع هامة بكلمود صخر

وقال الحوراني : (ذو ثنير كالبحر يفتقر عجباً)

فاطرق الكسبي هنيئة . واشفق الحضور ان يعجز عن التكلة . ولكنه ما عثم ان نهض
واقفاً واسترعى السمع وقال :

(عن ثنايا تنسبك أهرام مصر)

وحقاً ان اجازة البيت الثاني من اكبر ضروب الإعجاز . لأن من يكون فمه في

سبعة البحر فأخلى بأسنانه ان تكون أضخم من اهرام مصر !

وفي ربيع سنة ١٩٠١ كنت في بيروت . فزرت سلفي الحوراني . فرأيت يتأهب
للذهاب الى المدرسة البطريركية للروم الكاثوليك لإلقاء خطبة في احتفالها السنوي

وكان استاذ البيان في تلك المدرسة فصحته في المركبة . وفي اثناء الطريق نظرت اليه
فاذا به واجم على خلاف عادته وهو يشكو صداعاً وضعفاً في ذاكرته فاردت مداعبته .
وقلت اجزي يا عديل^(١) :

(أسفاً عليها ذاكرة)

فأجازه من فوره بقوله : (سكنت ديار الآخرة)

وقلت : (كانت تدور على النحي)

فقال : (دارت عليها الدائرة)

القاهرة : اسعد خليل داغر



(١) يطلق العديل عند بعض المتأخرين على السلف . وسلف الرجل زوج اخت
امراته .

رحلة الى دير الزور والجزيرة^(١)

—(١)—

إذا انطلقت بك السيارة من دمشق تنهب الأرض نهباً تحت ظلال مسوق الشجر
العظام في الغوطة فتذكرت قول ابن قيس الرقيّات :
أهلك الله والخليفة بالغوطة داراً بها بنو الحكم
المانعوا الجار أن يضام فما جارّ دعا فيهم بمهضم
ثم اثبتاك قوله بعد حين :

أقفر منهم الفراديس فالغو — طة ذات القرى وذات الظلال
فضمير فالماطرون فحورا ن قفار بسابس الأطلال
ثم اجتزت دومة وودعت الغوطة في ثنية العقاب حيث وقف خالد بن الوليد ساعة
ناشراً راية العقاب في وجه ذاك السهل الأفيج وقلت منع حسان بن ثابت :
لله در عصابة نادمهم يوماً يجلق في الزمان الاول
وأعدت الى الذّاكرة قصيدة حسان بن نمير وجعلتها وداعاً لدمشق والغوطة :
وكم ليلة بالماطرون قطعها ويوم الى الميطور وهو مطير
سقى الله من سطرًا ومقرا متازلاً بها للندامى نظرة وسرور
ولا زال ظل النيرين فأنه طويل ويوم المرء فيه قصير
ويا بردي لا زال مأوك بارداً وماء الحيا من ساحتك نمير
ابن العيش الا بين اكناف جلق وقد لاح فيها أشمس وبدور

(١) محاضرة القاها الاستاذ الامير مصطفى الشهابي في ردهة المجمع العلمي العربي

في ٢١ شباط سنة ١٩٣٠

ثم داومت المسير الى القطيفة فَجَرُودَ فالناصرية فانت اذا في باب الصحراء قُبالة القسم الشرقي من منير وهو الجبل الذي يسميه الفرنج «لبنان الشرقي» والذي قال فيه البُحتري :

وتعمدت انت تظلّ ركابي بين أبنان طامعا والسدير
مشرفات علي دمشق وقد اع - رض منها يياض تلك القصور
فقل للسائق بعدئذ ان يغذي السيارة بالبنزين وان يدعها تسبح في فضاء الله الواسع ،
واغرق انت في أحلامك فان عينك لن تقع علي منظر جديد حتي تبدو لك اشجار
القريتين ، وانت علي بعد ١٢٦ كيلومترا من دمشق ، والقريتان هي البلدة التي عناها
قيس الرقيات بقوله :

وسرت بملتى اليك من الشام وهوران دونها والعوير
وسؤالا وقريتان وعين التمر خرق يكل فيه البعير
ثم عد الى أحلامك وذكرياتك لأن أمملك بين القريتين وتدمر ١٠٤ كيلومترات
من انقصر يمتد علي طولها من الجانبين جبلان صغيران لا ينتهيان الا في تدمر . ومتى
أدركت تلك المدينة القديمة فقف خاشعا لان هنالك كان المعبد والعظمة والأبهة ورخاء
العيش والثراء العريض ، تلوح كلها في بقايا قصور تدمرية ورومانية لم يقو الدهر علي
طمس أثرها حتي اليوم ، فالهيكل الكبير وعظمته ، والشارع الذي كان يُنصف المدينة
وعلي كل من جانبيه نحو ٣٧٥ عمودا يحل كل منها تمثالا لرجل من رجالاتها المشهورين ،
ثم القبور التي فاقت التصور بضخامة بانياتها وجلاء رُخامها وزخرف تماثيلها ، ثم تلك الاصباغ
المختلفة الألوان في جدران المباني وسقفها وفي اقراط التماثيل وتلائدها وذاك الكمال في
عيونها وتلك الحمرة في خدودها حتي لكأن الصباغين قد خرجوا من وشيها البارحة ، كل
هذه وأمثالها تسلب الانسان له وتدعه حائرا شذوها ، فلا عجب إذن ان تزعم طائفة
من الأدميين ان تدمر هي مما بنته الجن لسليمان ، وان يقول فيها السابعة النيباني اليتيم
المعروفين :

الا سليات اذ قال الآله
وجيش الجن اني قد امرتهم
قم في البرية فاحددوها عن الفند
ينثون تدمر بالصفايح والعهد

لقد أتى الدهر على من بنوا عروس الصحراء وسيأتي على ما بنوه ، والله در القائل في تلك التصاوير :

ومن كل أنواع الأنام مصوّر	شباب وشمط يرحون وشيب
ومجلس أنس يفسح الطرف ملؤه	قيان تغني وسطه وشروب
وصرعى وقتلى في قتال عساكر	تحول حصون دونهم ودروب
فمن جانب أُنحِت تُصب مداة	ومن جانب أُنحِت تُشَب حروب
خليطات هذا للقراع معبس	يصول وهذا للسمع طروب
وقد حققوا التصوير حتى وجوههم	يبين لنا بشرتها وقطوب
وكل يعاني شغله غير أنه	على فمه ديون الكلام رقيب
ملاعب فيها الملك رام بطرفه	وكل ابن دنيا ان نظرت لعوب
وعاشوا طويلاً ثم فرق شملهم	زمان اكول للأنام شروب
فلولا مكان الدين قلّ لفقدهم	بكاء لسا في إثرهم ونحيب
ملوك أقاموا ما أقاموا أعزة	وقد شعبتهم بعد ذاك شعوب
وخيل للرأي ليذكر عهدهم	خيال لعمري ان رأيت عجيب
خياب لم يهدي الي كل أمة	لقد اعتبار ان رآه ليب

وقم في صباح اليوم الثاني فودع اطلال تدمر وقل لائق السيارة ان يغدّ السير فانت لا تزال بعيداً عن الدير ذلك ان بين تدمر وقرية السخنة ٧٥ كيلو متراً وبين السخنة ودير الزور ١٥٠ كيلو متراً كلها ارض قفراء لا ينبت عليها الا قليل من المطر وليس فيها نهر او قناة ، فلا زرع ولا خضر ولا شجر ولا انيس سوى ابل البدو المشرقين ، وهي في الحقيقة ادعى الى الوحشة في تلك اليبداء الموحشة لأن الانسان يرافق الابل .

عوى الذئب فاستأنست بالذئب اذ عوى وصوت انسان فكدت اطيّر وكيف لا تقول للسائق ان يطير بسيارته وهو قتي كالحمل وانت لا تحمل سكيناً تصلح لتقشير برتقالة ، وللبدو في مملكتهم الواسعة منظر كنظر العناريت المتواثبة ، وهم اذا ما تحدثوا اليك خاتمهم قاتليك لا محالة ، ولكنهم قوم فطروا على الذكاء وبعد النظر

فتكفيهم نظرة يلقون بها عليك من بعيد حتى يدركوا من يمكن ان تكون ، فيجمعوا
عن الشر حاسبين للمستقبل الف حساب .

ومنى تركت ورائك هذا القفر واشرفت على الفرات ومزارعه وسفنه ، وبدت لك عن
بعد ما أذن دير الزور فقد آن لك ان تخط الرحال وتستريح وان تقول مع الصنوبري :

ايا سفن الفرات بحيث تهوي هوي الطير بين الجلهتين
تطارد مقبلات مدبرات على عجل تطارد عسكريين
ترانا واصليك كما عهدنا بوصل لا تنغصه بين

ولواء دير الزور او الفرات والجزيرة ارض متراصة الأطراف ، كانت ولاية من ولايات
الدول العربية . وهو يقع بين الدرجة ٤٣ و ٤٦٥ من درجات الطول الجغرافية والدرجة
٣٨٤٢٥ و ٤١٤٢٥ من درجات العرض . وتزيد مساحته على ٦٠٠٠٠ كيلومتر
مربع . اما عدد سكانه فمجهول لأنهم لم يحصوا الى اليوم ، ويتقدرونهم بثلاثمائة الف نسمة
ونيف من بدو وحضر ، فيصيب الكيلومتر المربع الواحد خمسة اشخاص وهو عدد ضئيل .
والجزيرة اسماء قديمة مشهورة منها ديار ربيعة وديار مضر ، وكان العرب يحلون بواديهما
قبل الاسلام وكثيراً ما خالطوا قراها وكثروا فيها وحاربوا سكانها . وقد استولى عليها
العرب وانتزعوها من الاعاجم في السنة السابعة عشرة للهجرة بقيادة عياض بن غنم
الفهري ويقول المؤرخون إنها كانت من اسهل البلاد افتتاحاً لأنها تقع بين العراق والشام
وكان كلاهما يد المسلمين فاذعن اهلهما بالطاعة ، وذكروا ان الروم حاصروا ايا عبيدة بن
الجراح والمسلمين بمحص ، فامدم سعد بن ابي وقاص يجيش من العراق يقوده عياض بن
غنم فلما علم بهم الروم رجعوا عن حمص الى بلادهم فعزا عياض الجزيرة فافتحمها وقال :

من مبلغ الأقسام ان جموعنا حوت الجزيرة غير ذات رجام
جمعوا الجزيرة والقياب فنفسوا عمن بمحص غيابة القدام
ان الأعزة والأكارم معشر فضوا الجزيرة عن فراج الهام
غلبوا الملوك على الجزيرة فانتهموا عن غزو من يأوي بلاد الشام

وبخلصت الجزيرة للعرب الى يومنا هذا الا بعض القرى الشمالية الشرقية ، حيث يقطن
بعض العشائر الكردية ، والا عدداً كبيراً من القرى الواقعة شمالي سكة بغداد الحديدية

فانها ظلت بيد الترك وهم جادون في تبريك سكانها تارةً بالارغاب وطوراً بالارهاب .
قال ياقوت في معجم البلدان «والجزيرة صحيحة الهواء جيدة الربيع والنماء واسعة الخيرات
بها مدن جليلة وحصون وقلاع كثيرة ومن امهات مدنها حران والرها والرقه ورأس عين
ونصيبين وسنجار والخابور وماردين وآمد وميافارقين والموصل وغير ذلك . وقد صنف لاهلها
تواريخ وخرج منها أئمة وفيها قيل :

نحن الى ارض الجزيرة قبله وفيها غزال ساحي الطرف ساهره
يؤازره قلبي علي وليس لي يدان بمن قلبي علي يؤازره» انتهى
وجميع تلك المدن هي اليوم بلدان صغيرة او متوسطة عدا الموصل . ومعظمها تابعة
للعراق او تركية ولا يتبع الشام منها سوى رأس العين والرقه والخابور . ومن الغريب
ان نصيبين نفسها قد تركت لتركية في معاهدة انقره مع انها واقعة جنوبي السكة
الحديدية . ويقال ان سبب ذلك غلطة غلطها الذين تابوا عن الشام في وضع تلك المعاهدة .
وكانت الجزيرة من اغنى الولايات في عهد الخلفاء والملوك العرب ، وكانت فيها
لبعضهم قصور يقيمون بها في بعض فصول السنة كقصر الرصافة الواقع غربي الرقة على
طرف البرية ، وقد جدهه هشام بن عبد الملك . وكقصر الرقة الذي يظن انه كان
لهرون الرشيد وغيرهما .

حدود اللواء وتوابه وهواؤه — يحد لواء دير الزور والجزيرة شرقاً ارض العراق
وشمالاً ارض الجمهورية التركية وقضاء جرابلس ، وغرباً قضاء منبج فلواء حمص وجنوباً
بادية الشام والعراق . واذا مرنا على خط حدوده مبتدئين من جنوبي ابي كمال ومتجهين نحو
الشمال الشرقي فان اهم مانصادفه على تلك الحدود ملححة الحديد فجيل سنجار فالدجلة بالقرب
من فيشخابور فجزيرة ابن عمر فتصيبين (وعلى الطريق الروماني القديم الواقع بينها ثار
الخلاف الذي تعلونه بين فرنسة وتركية) فسكة بغداد الحديدية فحدود قضاء جرابلس
بين كول تبه على السكة المذكورة وتل شمس الدين على الفرات فالفرات بين تل شمس الدين
ودبسي جنوبي مسكنة فامرية في الشمال الشرقي من جبل اليلعاس فعين الكوم غرباً
فالخان الجديد غربي قرية السخنة فحدود العراق جنوباً .

واذا اعتمد النظار في هذه المساحة الواسعة التي تزيد على ٦٠٠٠٠ كيلو متر مربع

كما قلت ادركتم ما يمكن ان يكون لهذا اللواء من الشأن اذا صححت العزيمة علي تعهده
بمختلف العدايات .

وتنسب معظم ارضه جيولوجياً الى العهد الميوسيني والبليوسيني من الحقبة الثالثة عدا
وادي الفرات فان ارضه من راسبات الحقبة الرابعة وعدا بعض ارضين ير كانية متفرقة
واخرى طباشيرية . و تراب وادي الفرات كامل من حيث بناؤه الطبيعي اي ان مقدار
الكلس والطين والرمل فيه يجعله صالحاً لزراعة مختلف الزروع والأشجار . وهو غني بالعناصر
الغذائية ايضاً من آزوت وحامض فوسفوريك وبوطاس ، وسببه ما يحملة النهر منها في طميه .
والتراب جيد ايضاً حول الخابور والبلخ والجفجف والرد . اما في الانحاء السائرة فالتراب
يختلف باختلاف المواقع فتراه رملياً في بعضها لا اندماج فيه ولا صلاحية تطير به سافيات
الريح فتسكون من مجموعه كثبان صفار . وتكثر هذه الأتربة الرملية بين السفنة ودير
الزور وفي بقاع كثيرة من بادية الجزيرة بين الخابور والفرات . وترى التراب رملياً كلسياً
أو رملياً طينياً حول الجفجف والخابور أو كلسياً رملياً ايض اللوت بالقرب من الحامية
جنوبي الميادين أو بالقرب من الحسكة عند مصب الجفجف في الخابور وفي اماكن أخرى
عديدة . وهواء هذا اللواء جاف في الجملة وحرارته في الصيف شديدة ربما أربت في
بعض الأيام على ٤٥ درجة في الظل . وهي تختلف فيه بين ٣٠ و ٤٠ درجة إجمالاً .
لكنها في الشتاء تهبط الى مادون الصفر يضع درجات أحياناً ولهذا لا تدرت في ارض
اللواء نخیلاً . وهو من حيث الأمطار ينقسم قسمين : الأول القسم الواقع شمالي خط
يمتد من مسكنة الى تل السمن على البلخ فجبيل عبد العزيز فالحسكة ، فامتداد نهر الرد ،
فحدود الشام على الضفة دجلة . فأرض هذا القسم الواقعة شمالي الخط المذكور يبلغ ارتفاع
أمطارها السنوية ٢٠٠ - ٥٠٠ ميليمتر فهي إذن صالحة في الجملة لزراعة الحبوب الشتوية
عذياً بلا إسقاء . اما القسم الواقع جنوبي ذلك الخط فأمطاره قليلة لا تكفي لزراع الحبوب
في البعل من الارض ولذلك ترونها مقفرة من السكان على اتساعها الا على ضفاف الأنهر
الكبيرة حيث تسقى الزروع بمياه تلك الأنهر . وقد قيس ارتفاع الأمطار في مدينة
دير الزور خلال ثلاث سنين وهي ١٩٢٦ الى ١٩٢٧ و ١٩٢٧ الى ١٩٢٨ و ١٩٢٨ الى ١٩٢٩
فبلغ في كل منها ١٥٥ و ١٠٠ و ١٣٩ ميليمتراً وهي مقادير لا تكفي لزراعة الحبوب الشتوية .

والأقطار التي تهطل بين قرية القرمانيّة ونهر دجلة هي غزيرة تكفي لزراعة صيفية بدون إسقاء كالذرة البيضاء والسمسم والبطيخ والقمح . لكن هذه الكورة ضيقة المساحة اذا قيست بمساحة اللواء العظيمة ومع هذا فان فيها عشرات من القرى العامرة . أما الأقطار بين رأس العين ومسكنة فهي متوسطة ويمكن هناك تأسيس مئات من القرى تعيش على المطر . ويعوز هذه الناحية استنباب الأمن على حدود الأتراك .

جبال اللواء وسهوله وأنهاره . — جميع ارض اللواء سهول لا يحدّها الطرف هذا ثلاثة جبال كبيرة المساحة قليلة الارتفاع وهي جبل البشر في الشامية اي في الجهة الغربية من الفرات ويظهر ان هذا الجبل يحتوي على معدن من الجمر والقار لم استطع درسه لضيق الوقت ، وفيه مياه كبريتية في بعض أطرافه . وجاء في حجم البلدان ان في جبل البشر اربعة معادن : معدن القار والمغرة والطين الذي يعمل منه البواتق التي يسبك فيها الحديد والرمل الأبيض كالاسفيداج الذي يعمل منه الزجاج في حلب . وقال إنه من منازل تغلب بن وائل . قال عبيد الله بن قيس الرقيّات :

أضحت رقيّة دونها البشر فالرقيّة السوداء فالغدر

بل ليت شعري كيف مربها وبأدلبها الأيام والنهر انتهى

والجبل الثاني يسمى جبل عبد العزيز وهو يقع في قلب الجزيرة في الشمال الغربي من قرية الحسكة وفي جنوبي قرية رأس العين بطوله نحو مائة كيلومتر وعرضه نحو ٢٠ كيلومتراً وقد صعدت في إحدى نواحيه وسرت بين أشجار البطم النابتة نباتاً طيباً في أرضه . وذكر لي أحد الذين اخترقوه ان فيه حراجاً واسعة من أشجار البطم الملتفة تفوق حراج جبل البداس شرقي سلمية .

أما الجبل الثالث فهو جبل سنجار وقسم كبير منه تابع للعراق . وثمة جبال أخرى لا شأن لها وتلال عديدة . وأهم الأنهار الفرات والخابور والجفجف والبلخ . فأما الفرات فانه يجري في تركية (حيث منبعه) والشام والعراق . ويبلغ طول مجراه في الشام بين جرابلس والبوكمال نحو ٤٠٠ كيلومتر دون حساب تعرجاته الكثيرة وهي ضعف طولها ويسير في أرض قليلة الانحدار (١/٣٥٠٠ تقريباً) ولهذا تكثر في أرضه في الصيف والخريف على (٤) كيلومترات في الساعة . ومجره عريض لا يضيق الا عند جبل البشر

بين قرية تبني وقصر معدان حيث القلعتان القديمتان اللتان كانتا أيام الفرس الأقدمين . وهما تسميان اليوم حالية وزلية . ويظن ان هنالك كانت مدينة الزياء . وعرض الفرات في غير ايام الفيضان ٢٥٠ - ٣٠٠ متر . فاذا طغى في الربيع زاد عرضه على ٦٠٠ متر وربما زاد على خمسة كيلومترات في بعض السنين وهذا نادر . ومقدار الماء الذي ينصب منه في الثانية يختلف مع شهور السنة . ففي ايلول وتشرين الاول لا يزيد هذا المقدار على ٣٠٠ متر مكعب اما في زمن ذوبان الثلوج أي في آذار ونيسان فانه يبلغ ٢٥٠٠ متر مكعب . ومن روافده الخابور والبلخ .

فالخابور نهر عظيم هو ذوت الفرات لكنه اكبر من العاصي نبعه في رأس العين وينضم اليه عدد من الانهار تأتيه من جبال الاناضول كالزرقاني وعرادة وجرجب والجفجف وغيرها . والجفجف هذا يُصب ماؤه في الخابور في بلدة الحسكة . ولعله النهر الذي كان يسمى نهر الهرماس قال ياقوت : « هو نهر نصيبين مخرجه من عين بينها وبين نصيبين ستة فراسخ مسدودة بالحجارة والرصاص . . . وفاضل مائه يصب الى الخابور » . وقال : « وينضاف الى الخابور فاضل الهرماس ومدّ وهو نهر نصيبين فيصير الخابور نهراً كبيراً يمتد فيسقي هذه البلاد ثم ينتهي الى قرقيسيا فيصير عندها في الفرات » . قلت ولعل نهر مدّ الذي ذكره ياقوت هو نهر الرد اليوم وهو من جملة الأنهر العديدة التي تصب في الجفجف قبل ان ينتهي الى الخابور . اما قرقيسيا فانها بلدة البصرة اليوم .

وطول الخابور من مخرجه الى مصبه ٢٦٠ كيلومتراً تقريباً وقد كان له في التاريخ شأن كبير حتى ان اسمه غلب على الارض التي يسقيها فنسبت اليه وكانت ولاية واسعة وبُلداناً جمة . وورد ذكره في آيات أخت الوليد بن طريف ترثي اخاه :

يا شجر الخابور مالك مورقاً كأنك لم تجزع على ابن طريف
فتى لا يحب الزاد الا من التقي ولا المال الا من قني وسيوف
وقال الربيع بن ابي الحُفّة يتي من بني قُرَيْظَة :
دور عنت بقرى الخابور غيرها بعد الانيس سواني الريح والمطر
ان تمس دارك ممن كان يسكنها وحشاً فذاك صروف الدهر والغير
وقال ابن الأعرابي :

رأت ناقتي ماء الفرات وطيبه أمراً من الدقلى النعاف وامقرا
وخت الى الخابور لما رأت به صياح النبط والسفين المقيرا
فقلت لها بعض الحنين فان لي كوجدك الا انني كنت اصبرا

واما البلخ فقد سمع الفلاحين على ضفافه يسمونه بمجر النحس لأنهم صغير يسهل انشاء سدود عليه وهو يعلو ارضين واسعة فيسقيها بأهون وسيلة . وهذا النهر دون الخابور لكنه اكبر من بردى . وهو مجتمع عيون كثيرة اهمها عين في حران . وتجتمع العيون في قرية عين عيسى او عين العروس . وطول البلخ مائة كيلومتر ونيف ومصبه في الفرات في الشرق الجنوبي من الرقة . وذكروا ان مسلمة بن عبد الملك بنى على هذا النهر حصناً اسفله قدر جريب وارتفاعه في الهواء اكثر من خمسين ذراعاً واجرى الماء تحتها فاذا خرج من تحت الحصن يسمى بليخاً . ويتشعب من ذلك الموضع انهار تسقي بساتين وقرى . وقال ابو نواس :

على شاطئ البلخ وساكنيه سلام مسلم لقي الحماما
وكان عند مصب البلخ في الفرات دير يسمى دير زكوى وفيه يقول الرشيد .
سلام على النازح المغترب تجية صب به مكتب
غزال مرانته بالبلخ — الى دير زكوى فحسرا خشب

حيواناته ونباتاته ومعادنه . — لا تختلف دواب اللوات البرية وطيوره عما يوجد منها في انحاء الشام . وتكثر الغزلان سواء في الجهة الشامية ام في الجزيرة . وغزلان الشامية تضرب الى اللون الرمادي اما غزلان الجزيرة فالى حمرة . ويوجد كلب الماء في الأنهار الكبيرة كالفرات والخابور والجفجف . وهو احمر اللون يبلغ طوله ٦٠ — ٨٠ سنتيمتراً شعره ناعم مرغوب فيه ويساوي جلده اكثر من ليرة ذهبية . وفي جبل عبد العزيز قليل من الاوعال سائرة نحو الاندثار كما اندثر حمار الزرد . وفي بعض الادغال حول الفرات خنازير برية يجب اتقاء شرها . اما الحيوانات المفترسة فاهمها الذئب والضبع والثعلب وابن آوى . ويكثر من صباع الطير الصقر والبازي والشاهين والعقاب والباشق ، ومن غيرها القطاة والكركي والحبارى والبط البري الاسود والوزيمالك الحزين والزرزور والحجل والحمام البري والزاع وغيرها . والقطا تشي في البادية اذ تجدهما تشربه في ذاك الفصل .

وتربغ وتصيف بالقرب من الانهار الكبيرة ، وهي تكثر في بعض السنين كثرة هائلة فتضر بالزروع ضرراً فادحاً . اما الزراير والزراغ فانها تدأب على التنقيير عن البزور التي بذرت قبل ان تنش فتأكل منها مقداراً . وهي تكثر في اطراف الجزيرة شمالاً .

ومن النباتات الطبيعية التي تلفت النظر حراج مهمة من الطرفاء حوالي قرية السبينة ومساحات واسعة من عرق السوس في اطراف الرقة من الجهة الشامية ، حيث تقتلع منه شركة فوربس الاميركية وغيرها مئات من القناطير سنوياً ، فتسحقها وتصدرها الى الولايات المتحدة الاميركية . وينبت الحور الفراتي « الغرب » طبيعياً على ضفاف الفرات وفي الجزر الصغيرة التي تتكون من تبدل مجراه فيسوق ويتفرع بسرعة عجيبة . وهم يستعملونه وقوداً في الشتاء كما يستعملونه في بعض المصنوعات الخشبية . ومن النباتات المضررة التي تكسو الارض في وادي الفرات الجمبوط او « الخرينية » Prosopis وهو من الفصيلة القرنية له جذور غلاظ تضرب في الارض الى غور بعيد فيشق على محراثنا استئصالها . وما يصادفه المرء فيه الشوفان البري والبابونج والخردل البري وغيرها . اما في البادية فالشيخ والسنبل والروثة والحرملة والعاقول واضرابها من نباتات بادية الشام التي تقتات منها الابل .

ولا يوجد في الجزيرة بل لا يوجد في بلاد الشام معادن مهمة اقتصادياً « خلا املاح البحر الميت ومعادن الحمر في حاصبيا » ولكم اشاد المؤلفون بذكر معادن الشام وأنواعها العديدة . والحقيقة أن هذه المعادن على كثرة انواعها ليست مما يلتفت اليه ، لان استخراجها وعملها عن العناصر الاجنبية المختلطة بها ، وتقلها الى الاسواق التجارية ، يجعلها غير مفيدة من الوجهة الاقتصادية ، او تجعل فائدتها قليلة فالشام ليس بلاد معادن . وليست الجزيرة اكبر حظاً في هذا الصدد من انحاء الشام السائرة . ففي جبل البشر كما ذكرت يكون الحمر والمغرة ، وفي رأس العين الكبريت ، وفي قرية الصور نحاس غير خالص وفي بعض القرى يوجد ملح البارود فيصنعون البارود من خلطه بالنفخ . ويكثر الجبصين في اماكن عديدة ولا سيما بالقرب من قرية ابي هريرة . واجمل ما يشاهده الانسان في بيوت دير الزور رخام غير خالص لكنه بديم الشكل يستخرج من مقالع قريبة من المدينة فتحلى به اقواس الابواب والشبايك وارض الشرفات . وهذا المنظر يلفت نظر القادم من دمشق حيث يبني معظم السكان بالخشب والطين والآجر لغلاء ثمن الاجار فيها . ولقد قلت مرة لرئيس

بلدية الدير اليس من غرائب الدهر ان تبثوا بيتوتكم في الدير بالرخام ، ونحن نكاد لا نجد في دمشق احقر الاحجار لبناء القصور بها . فاجاب على الفور الحمد لله الذي جعل الناس تحسدنا حتى على الحجر .

بلداته ومصانعه ومدنه القديمة . - مركز اللواء دير الزور وهي مدينة صغيرة على ضفة
الفرات الغربية لا يزيد سكانها على ٢٠٠٠٠ نسمة . وفيها جزيرة صغيرة يحيط بها الفرات يصلها بالمدينة جسر صغير . وتبني الحكومة جسراً عظيماً معلقاً على الفرات يصل بلدة الدير بالجزيرة . ويقسم اللواء الى خمسة أقضية وهي الميادين والبوكمال والرقه والحسكة والقامشلية . وأهم القرى الواقعة على الفرات من الجنوب الى الشمال هي البوكمال والحامية وعشاره والميادين والبصرة والتبني والسبحة والرقه والحمام وابو هريرة . اما الخابور فأهم قرى من الجنوب الى الشمال البصرة والصور والفدغمي والشدادية والحسكة وتل الرمان والمجدل ورأس العين . وأهم قرى البلخ خربة الرز وتل السمن والتل الأبيض . وفي قضاء القامشلية عدد كبير من القرى مثل القرمانية وكرو وعمودة والعرادة وانتورية وعشرات غيرها . ومن البلدان القديمة القريبة من حدود اللواء الحاضرة بالس جنوبية مسكنة وهي اليوم خرابات واسعة كان فيها مسجد لا تزال مئذنته الثلثة الأضلاع قائمة الى يومنا هذا . ويستدل من كتابة عليها انها جددت ايام الملك العادل ابي بكر محمد بن ايوب المدفون بالعادلية في القبة التي هي بجانبنا . والملك المشار اليه عاش بين السنة ٥٤٠ هـ و ٦١٠ هـ المجرية وكانت بالس من بلدان الروم الشهيرة وكانوا يسمونها (Barbalissos) . وقد جلا أصحابها ايام ابي حميدة وأسكن فيها العرب . وعسكر فيها مسلمة بن عبد الملك في احدى غزواته وحفر نهراً يستقي أرضها وأرض صفين وقرى أخرى وكان يعرف بنهر مسلمة . وقد ورد ذكرها في أماكن عدة من صفحات تاريخ العرب . وصفين الشهيرة في التاريخ كانت بين بالس والرقه على الفرات .

ويشاهد في قرية دبسي على نحو ١٢ كيلومتراً جنوبي مسكنة أنقاض . والآجر الذي كان يستعمله البابليون والآثوريون . ويقال ان الاسكندر الكبير قطع الفرات منها لمحاربة دارا ملك الفرس . وعلى بضعة كيلومترات جنوبي ابي هريرة ترى قلعة جعبر في جهة الجزيرة . ذكر ياقوت أنها قرب صفين وانها كانت تسمى دوسر فملكها رجل من

بني قشير يقال له جعبر بن مالك وكان يخيف ابناء السبيل ويلتجئ اليها ثم استولى عليها السلطان جلال الدين ملك شاه بن أرسلان وأقطعها سالم بن مالك بن بدران بن مقلد العقيلي صاحب قلعة حلب عوضاً عن هذه القلعة . ووليها ولده الى ان أخذها نور الدين محمود بن زنكي ، ثم انتقلت الى بني أيوب . وفيها قبر احد الملوك العثمانيين ولهذا اشترطت الجمهورية التركية في معاهدة لوزان وضع شُرْذمة من الجنود الترك في قلعة جعبر لحراسة هذا القبر ، وربما كانت الأجداد حراسة الأحياء من هذه الأسرة ، لكن هذه القضية لاتهمنا فالترك بها أدري .

وعلى نحو اربعة كيلومترات شمالي مخفر الحمام تقع العين على أنقاض قلعة قديمة أثرية . ولعل هنالك موضع سُوراء الذي ذكره الأديبي . والرقعة من أعظم مدائن الجزيرة في خلافة الأمويين وخلافة العباسيين خاصة . وأتقاضها لا تزال بادية للعيان يحيط بها سور محيطه خمسة كيلومترات تقريباً . وفيها بقايا مسجد لا تزال بعض جدرانها العربية البديعة قائمة وفي احدها كتابة تدل على ان المسجد تجدد في أيام الملك العادل ابي القاسم محمود نور الدين زنكي (٥١١ - ٥٦٩ هـ) ومنارة هذا المسجد لم تهدم وهي مبنية على قاعدة من الرخام والاشجار الأخرى المتينة . وقد صعدت الى رأسها فاذا هنالك منظر من أجل المناظر لخرائب الرقة القديمة ، وبلدة الرقة اليوم والفرات والبساتين . وذكر بعضهم ان المسجد بني في خلافة عمر بن الخطاب وجدد ايام الملك العادل محمود نور الدين . ويوجد شرقيه بعض جدران من قصر عربي قديم يقال انه كان لهرون الرشيد ويقال انه كان للملك العادل على بعد ما بينهما من السنين ولا يوجد كتابة ترشدنا الى الحقيقة . وفي الجناح الجنوبي من سور المدينة باب لها من أجل ما بني على الطراز العربي يسمى باب بغداد . ويستنتج من هذه الآثار التي أبقى الدهر عليها انه كان لمدينة الرقة في تاريخ العرب شأن كبير ولهذا لا نستغرب الأبيات التي وصفها بها ربيعة الرقي :

حبذا الرقة دار أو بلد بلد ساكنه ممن تود
ما رأينا بلدة تعدلها لا ولا أخبرنا عنها احد
انها بركة بحرية سورها بحر وسور في الجدد
تسمع الصلوات في أشجارها هدهد البر ومكاء غرد

لم تضمن بلدة ما ضمنت من جمال في قریش وأسد
وكانت تسمى الرقة البيضاء . وجنوبها بالجانب الغربي من الفرات كانت مدينة ثانية
تعرف برقة واسط وكان بها قصران هشام بن عبد الملك . وعلى البلج كانت الرقة السوداء
وهي بلدة ذات بساتين كثيرة قيل وكان الجميع متصلاً .

ومن الخرائب المهمة الرصافة وتعرف برصافة هشام بن عبد الملك وهي في الجنوب
الغربي من الرقة على طرف البرية جنوبي قرية الحمام . كانت من المدن القديمة جداً جدد
بناها هشام وكانت يسكنها في الصيف . وقد ورد ذكرها في شعر الفرزدق وجريز
وغيرهما . وفيها بقايا دير من أعظم الديرة .

وعند مصب الخابور أي عند قرية البصرة اليوم كانت مدينة قرقيسيا دمرها احد
ملوك الآثوريين مع ما يجاورها من كورة الخابور ثم أعادها دارا الاول ملك الفرس الى
سابق مجدها وحفر الأنهر على الخابور والفرات وجعل تلك الأصقاع أعظم مستغلات
للحبوب في مملكته . وكانت قرقيسيا أيام الرومانيين مدينة فيها ٦٠٠٠٠ نسمة من السكان
وليثت كبيرة الشأن في الخلافات العربية ثم طاحت معها بعد ان هدمت الأسداد ورُدمت
الأنهار في غزوات برايرة الشرق من مغول وتتر . ويشاهد منها اليوم بعض عمد من الرخام
وحجارة رومانية وقلعة عربية .

وعلى اربعة كيلومترات غربي الميادين تبذل لك قلعة عظيمة هي رحبة مالك بن طوق
ولنسبتها الى مالك المذكور قصة طويلة جرت مع هارون الرشيد فأقطعته الرحبة فبنى فيها
تلك القلعة . وموقعها من أهم المواقع على طريق بغداد ولهذا كان لها شأن في التاريخ قبل
العرب اي في أيام الآثوريين فالفرس فالرومانيين .

وفي العشارة مسجد قديم ينسب الى الامام علي لم يبق الدهر منه سوى المنارة وبعض
الجدران .

ومن أعظم المدن القديمة الصالحية بين الميادين والبوكمال على الفرات ، لا تزال بعض
جدرانها الضخمة قائمة مع بقايا من العمد وقواعدها ولم نشاهد فيها غير ذلك . وقد وجد
الاثريون في طيات أرضها كثيراً من الأواني الخزفية وغيرها ونقلوا الى دار الآثار بدمشق
قطعاً من الجبصين عليها رسوم ملونة كانوا يضعونها على الجدران .

وفي شمال اللواء آثار عظيمة كُشف عنها في جهات رأس العين والتل الأبيض وغيرهما وهي حثية أو رومانية . والخلاصة ان الجزيرة من البلاد التي قامت فيها مدنيات عديدة . ولم تبق الأيام على المصانع والديرة والمدن التي قامت في أنحائها لأنها سهل حجارة البناء فيه قليلة فكان السكان يبنون بالآجر غالباً وهي لا تقاوم زوَب الدهر كالحجر .

قبائل اللواء — أهمها قبيلتان وهما عتزة وشمّر . فالأولى كثيرة الفروع والمنازل فمنها العمارات أو عتزة العراق ومنازلهم تمتد من كربلا الى جنوبي جبل سنجار ومنها البشر ورئيسهم محجّم بن مهيد وهم الفدعان والخرسا والقمصنة وفرع من السبعة ومنازلهم جنوبي حلب وفي القسم الغربي من لواء دير الزور، ومنها ايضاً عتزة الجزيرة ومنازلهم في الجهة الغربية الشمالية من الجزيرة بين مسكنة والرقّة والتل الأبيض وشمالي الخط الحديدي .

اما قبيلة شمّر فرئيسها مشعل باشا الجربا ومنازلها حول الخابور وبين النهرين . ومنها فرقة كبيرة في جبل شمّر في الشمال الغربي من نجد .

وقبيلتا عتزة وشمّر تقومان على تربية الابل والخيّل والضأن وهما من القبائل الرحل التي يتنادر فيها المشتغلون بالفلاحة . ومن قبائل اللواء التي يكثر فيها الأكادرون قبيلة الجبور ومنازلهم على طول الخابور والجفجف وهم ردعاء أهل زرع وماشية . ويقسمون ثلاثة بطون ورئيسهم مسلط باشا آل ملحم .

ومن القبائل التي يشتغل بعض رجالها في الأرض قبيلة الشرايين وقبيلة البقارة ومنازلها شمالي الحسكة الى رأس العين على ضفتي الخابور . ومن منازلها جبل عبد العزيز . وبين الدير والرقّة على الفرات منازل عشيرة ابي شعبان . ويتبعها بعض عشائر فرعية كأبي عساف والسجّة وولد الجزيرة والثامية . وبين الميادين والبوكمال منازل قبيلة العقيدات ويتبعها عشائر فرعية كأبي خابور والشميطات والشويطية والبي كامل . ومنها ايضاً عشيرة أبي السرايا شمالي الدير . وفي الشمال الشرقي من اللواء بعض قبائل كردية تقوم على تربية الضأن واستغلال الأرض وهي الكيكية والمرسينية والشينية والدقورية والملية وغيرها . وهناك ايضاً بعض قبائل عربية كطني وحرب .

طرقه وصناعاته ومدارسه . — ليس في هذا اللواء المترامي الأطراف طرق معبدة في يومنا هذا الا بعض كيلومترات بين الدير والرتة وبينها وبين العور (عرض وادي الفرات) وبعض منافذ قصيرة يشق سلوكها ، عيبتها وزارة الأشغال العامة ان لا تكون عقبة تحول دون اجتياز السيارات . ورأيت العمال يعملون بجهد بالترب من مسكنة على الطريق التي تمتد اليها من حلب . واكثر الطرق تشعثا التي على مقربة من الرقة . وقلة الأمطار مع كثرة السهول . ونوع التربة لا تجعل ثمة حاجة كبرى الى تعبيد الطرق والسيارة تجتازها بسهولة . ويحول درن تعبيدها طولها الذي لا حد له فان بين دير الزور والبوكمال ١٢٥ كيلو متراً (منها ٤٥ كيلو متراً بين الدير والميادين) . وبين الدير والقامشلية على طريق قرية الصور ٢٦٥ كيلو متراً (منها ١٧٥ كيلو متراً بين الدير والحسكة) . ومن الدير الى الرقة ١٣٣ كيلو متراً . ومن الحسكة الى رأس العين ٩٠ كيلو متراً . ومن الرقة الى التل الأبيض ١٠٤ كيلومترات وهكذا .

واللواء خلو من الصناعات المهمة . والحكومة في مدينة دير الزور مدرسة تجهيزية ناقصة الصفوف . ولها في مراكز الأقضية الخمس مدارس ابتدائية ناقصة الصفوف ايضاً . اما الحسكة وهي مركز اللواء اليوم ففيها للحكومة مدرستان احدهما للذكور والثانية للاناث . وسمعت تذكراً في دير الزور من تقص المدارس فأجبتهم بأن لادارة أملاك الدولة في حمص وحماة وحلب نحو ٩٠٠ قرية ومزرعة ليس فيها للحكومة سوى خمس مدارس مع ان حصة المعارف وحدها التي يدفعها سكان تلك القرى والمزارع من مماصيلهم تكفي لفتح خمسين مدرسة ولهذا لا أظن ان سكان لواء الدير أنعس حظاً من غيرهم من حيث قلة ما هو مخصص للمعارف في موازنة الدولة بل الجميع سواسية في ذلك . قلت ولو رأيت المتذمرين في هذه الآونة بعد ان ظهر سيف لبنان عتول ونيات قضت بلفو عدد كبير من المدارس الابتدائية والمستشفيات لأجبتهم بان يحمدوا الله الذي لا يحمده على المكروه سواء .

على انها الأيام قد صرن كلها عجائب حتى ليس فيها عجائب

تجارته وزراعته . لا يوجد في اللواء منتجات مهمة يصدرها . وحاجات سكانه قليلة ولهذا فهم لا يشترون من خارجه الا مالا غنى لهم عنه كالنفط (البترول) والمنسوجات والسكر وامثالها . وموقع اللواء بين الشام والعراق وشرقي الاناضول يجعله واسطة لنقل البضائع بينها . واهم تجارة تمر به تجارة الضأن من الاناضول والعراق الى مدن الشام الكبيرة . ويليهما تجارة الخشب على الفرات بين الاناضول والعراق . اما ما يرد من العراق الى الشام عن طريق الدير فالعبآت والتمر خاصة .

والجزيرة بلاد زراعية لا صناعية ولا تجارية . فقد دلنا التاريخ على ان الاقدمين كانوا يحتفرون الانهار ويحولون اليها ميناء الفرات والخابور والجفجف والبليخ فيسقون بها مساحات واسعة من الارض تعيش من محاصيلها سكان مدن وبلدان كثيرة . ولا تزال آثار بعض هذه المشتقات بادية للعين الى يومنا هذا لاسيما على الخابور حيث يشاهد من مخرجه الى مصبه آثار الأنهر الآتية وهي اولاً نهر تل حلف قريباً من رأس العين وهو يستفاد منه اليوم قليلاً . ثانياً نهر يبدأ بين سفح الجبل ورأس العين ويمتد غرباً نحو البليخ . ثالثاً نهر عبيئات او هما نهران يحصلان من سد كان على الخابور بين تل الرمان وتل الجدل . رابعاً نهر سبع مكور وقد زرته برفاقة مشعل باشا الجرباء . وهناك سد قديم على الخابور جنوبي الحسكة لا يزال قائماً في وجه الماء لكن ارتفاعه اليوم هو دون ما كان سابقاً ولذلك لا يشرب من النهرين اللذين ينشئان عنه الامساحات صغيرة . خامساً نهر الطف وهو جدولان على خمسة كيلو مترات جنوبي طابان عند تل الذهب وهما مدروسان . سادساً نهر الحمراء شمالي تل الشدادة وهو يمتد الى قرب قرية مرقدة . سابعاً نهر دوارين وهو اهمها مخرجه من الخابور على نحو ٢٠ كيلو متراً شمالي البصرة ومنتهاه على بعد نحو مائة كيلو متر عند قرية الباعوز على الفرات بالقرب من البوكمال ، ولا تزال آثاره بادية للعيان .

هذا بعض ما كان على الخابور ومعظمه اليوم دارس ، اما البليخ والجفجف فانه يستفاد من مياهها قليلاً لأنه سهل انشاء سدود عليها وتحويل مياهها الى انهار او جداول صناعية . ويوجد الآن على البليخ ٣٣ جدولاً تقريباً تسقي مساحات لا يستهان بها كما يوجد على الجفجف عدة جداول . لكن ما يبقى ببعض مياه هذين النهرين لا يعد شيئاً مذكوراً

إذا قيس بما يجب ان يسقى مياه الفرات والخابور . والفلاحون يستعملون واسطتين لرفع المياه من الخابور والفرات ومما اولاً بكرة عليها حبل يشد الى احد طرفيه قربة كبيرة والمى الثاني ثور يجير اخبل فيه في انقربة مملوءة ماء . ثانياً الناعورة المعروفة وهي على قسمين التي تدور بقوة جري الماء كنبوع غير جملة ثم انتي تدبرها الحيوانات . فالأولى من هذه النواعير لا تشاهد إلا على الخابور لأن قوة جري الماء فيه لا تجول دون استعمالها . اما نواعير القسم الثاني فيوجد منها قليل في بعض جزر الفرات . ولا يزيد عدد نواعير الخابور على ١٥٠ ناعورة تسقى واحديها ١٠٠ - ٢٠٠ دونم . اما الدلو على البكرة فيسقى نحو ٤٠ دونماً ولم اشاهد محرراً واحداً لرفع الماء من الفرات أو الخابور او غيرها من الانهار في الجزيرة وإذا كان ثمة محركات لم ارها فهي بلا شك لا تتجاوز عدد الاصابع .

واخلصة ان تراب الجزيرة وهواءها ووفرة المياه فيها جعلتها صالحة لزراعة جميع الزروع والأشجار المثمرة التي تعرفونها ولا سيما القطن والكتان والسمسم وقصب السكر والشوندر السكري والتبغ وأنواع الحبوب وأنواع الحوامق والزيتون وغيرها . ولا يستغل اليوم من ارضها الواسعة عشر ما يمكن استغلاله منها . ومن المستطاع إعادة بعض السدود وكرى جداولها القديمة على الخابور واسقاء الوي من الدونمات بمبالغ لا يعسر على ابناء البلاد الشامية تداركها ، كما انه من المستطاع فتح جداول جديدة على البلخ والجفجف ووضع محركات على الفرات وغير ذلك من الأعمال . ولا يظن ان اعمال الري هذه تستلزم كلها بذل نفقات عظيمة قد لا تقوم بها الا رؤوس المال الأجنبية ، فان في طاقة ابناء البلاد القيام بكثير منها ، اذا اتحدوا واسسوا شركات صغيرة او كبيرة . ثم ان هواء الجزيرة صحي وليست الحرارة فيها اشد منها في العراق او في مصر . واهلها عرب مثلنا وهم غير اذكياء ذوو نجدة يتمنون الاشتراك في اعمال كهذه مع ابناء الشام ويسرون بلفائهم ، بدلاً من اصحاب الأوجه الكالحة الذين يدلفون اليهم من الشمال ، وهم يرطنون بلغات لا تفهم ويأتون اعمالاً صغيرة يزاحمون بها الفقير على قوته .

هذه خلاصة مادونته في تلك الرحلة . ولقد ودعت الجزيرة بالآيات الآتية نظمها

في السيارة بين الرقة وحلب :

إطرب الجزيرة سكنها والدورا الشارين من الفرات نهرها

واستودع الله البلخ وأهله . فالمدّ فالهزّ ماسّ فالخابورا
 كور بها للعرب أكبر دوحة رصنحت على وجه الزمان عصورا
 ان أقفرت جنباتها فرحابها كانت تضيق حداثقا وقصورا
 أو أطفئت أنوارها فلطالما سطعت تضيء الحالك الديجورا
 أيام كانت العرب في إبانهم سدّ ما تشعّ كواكباً ويدورا

* * *

يا وقفة عند المغيّب بمسكة والشمس تقذف تبرها المنشورا
 والماء في الشاير يشكو علة والريح تسطر في المياه مطورا
 أذكرتني اسداً حنالك قلت اظفارها وتشاءما وصقورا
 وبعثت في النفس الأسمى فتجيت «فوزي»^(١) يمدّث جائثا مسرورا
 متهللاً في فيه متيقنا من فوزه متفائلاً محبورا
 لله ساعات مردت حوالكا أضرم من في يس الفؤاد سعيرا

* * *

كرمت منابتها ديار ربيعة وزكت على كر الزمان دهورا
 مصطفي الشهابي

(١) هو النقيذ فوزي بك الفزي أحد اشرعما الوطنيين الذين كانوا نفوا الى الحسكة
 وكان من أعز أصدقائي .

لباب الاستعارات والكنايات

والملاحن والالغاز

— التي وردت في كلام العرب —

— (١) —

اما ما جاء في قول العرب من الاستعارات فكثير منه قولهم : هذا رأس الامر ووجهه
ورأس المال . وهذا الامر في جنب غيره يسير . وهؤلاء رؤوس القوم وجماجمهم وعيونهم
ووجوههم . وفلان ظهر فلان ولسان قومه ونابهم وعضدهم . وهذا كلام له ظهر وبطن .
وخرج علينا عنق من الناس . وله عندي يد يضاء . وهذه عين الماء . وحاجب الشمس .
ولسان النار . وانف الجبل . وبطن الوادي . وكبد السماء . وساق الشجرة .

ويقولون في التفرقة : انشقت عصام وشالت نعمتهم ومروا بين سمع الارض وبصرها .
ويقولون في اشتداد الامر : كشفت الحرب عن ساقها . ابدى الشر ناجذيه . حي
الوطيس . دارت رحي الحرب .

ويقولون في ذكر الآثار العلوية : اقترأ الصبح عن نواجذه . نعر الصبح في قفا الليل .
وهي نطاق الجوزاء . انحط قنديل الثريا . ذر قرن الشمس . بقى وجه النهار . نوّرت
حدائق الجو . شاب رأس الليل . ويقولون : قام خطيب الرعد . خفق قلب البرق .
انحلّ عقد السحاب . انحلّ شريان الغمام . تنفس الريح . أنّ ان يجيش مرجل الصيف
ويثور قسطله . دبّت عقارب البرد . شابت مفارق الجبال .

ويقولون في محاسن الكلام : الأدب غذاء الروح . ويقولون : النار فاكهة الشتاء .
النبذ كيمياء الفرح . الوحدة قبر الحي . الدّين داء الكرام . النّمام جسر الشر . الشكر
نسيم النعيم . الريح شباب الزمان . الولد ريحانة الروح . الشمس قطيفة المساكين .
ويقولون للمطر سماء . قال الشاعر :

إذا نزل السماء بارض قوم رعيناهما وان كانوا غضابا

ويقولون : لقيت من فلان عرق القربة (وأصل هذا ان حامل القربة يتعب من ثقلها حتى يتصبب عرقاً) . ولقيت منه عرق الجبين . والعرب تقول : بارض فلان شجر صائح : وذلك اذا طال فتبين للناظر بطوله ودل على نفسه لان الصائح يدل على نفسه بصوته . وما جاء ايضاً في هذا الباب في القرآن وكلام الصحابة وغيرهم مائتة : أذاقها الله لباس الجوع والخوف . اشتعل الرأس شيباً . وصب عليهم ربك سوط عذاب . قال علي : اما وقد اتسع نطاق الاسلام . وقال الحجاج : دلوني على رجل سمين الامانة أعجف الخيانة (والأعجف النحيل) . وقال عبدالله بن وهب : لاخير في الرأي الفطير والكلام القضيبي (القضيبي بمعنى المقضوب اي المقطوع والظاهر ان المراد هو الكلام المقطوع عما قبله أو عما بعده مما يحتاج اليه السامع ليفهم تماماً المقصود منه) .

ولما بايعوا علياً قال : دعوا الأمر يغيب . فان غيبوه يكشف لكم عن محله (ومعنى يغيب يبيت) . وقال اكثم بن صيفي : الحلم دعامة العقل . وقال خالد بن صفوان لرجل : رسم الله أباك فانه كان يقري العين جمالاً والاذن بياناً . وقيل لرؤية كيف تركت ماوراءك . قال : التراب يابس والمال عابس . وقال المنصور لبعضهم : بلغني انك بنخيل قال : ما أجد في حق ولا أذوب في باطل . وقال ابراهيم الموصلي : قلت للعباس بن الحسين : اني لأحبك . قال : رائد ذلك عندي . وقال اعرابي : خرجت في ليلة خندس قدالقت على الارض أذراعها فمحت صورة الأبدان فما كنا نتعارف الا بالآذان . وقال اعرابي لآخر : يسار النفس خير من يسار المال ورب شعبان من النعم غرثان من الكرم (غرثان معناه جائع) . وقال آخر في حرب : جعلوا الحرب أرشية الموت واستقوا بها أرواح العدو (أرشية اي حبال مفردة رشاء) . وقال احمد بن يوسف وقد شتمه رجل بين يدي المأمون : رأيته يستلي ما بلقىاني به من عينيك . ومدح رجل أعرابياً قال : كان يفتح من الرأي أبواباً منسدة ويغسل من العار وجوهاً مسودة وان للصنائع لغارة على أمواله كغارة سيوفه على أعدائه (الصنائع أعمال المعروف ومفردتها صنعة) .

ومدح أعرابي آخر رجلاً فقال : انه ليعطي عطاءً من يعلم ان الله مادته . وسأل اعرابي (أي سأل صدقة) فقيل له عليك بالصيارف . فقال : هناك قرارة اللؤم . وذم

أعرابي^١ قوماً فقال : يصومون عن المعروف ويفطرون على الفحشاء . وقال بعضهم : ما زال فلان يتحمل مرارة الاخوان ويسبغهم العذب . وقيل لأعرابي : لم لا تشرب النبيذ . فقال : لا أشرب ما يشرب عقلي . وقال بعض الاطباء : الماء مطية الطعام .

واما الكنايات فالعرب يلجأون اليها في عدة اغراض منها ارادة التعريض صماتة شفع ذكره . فيكنون عن الاعور بالمتع وعن الذي في عينيه نكتة بياض بالمكوكب : تؤمن في وجهه اثر ضربة بالمشطب . ولبعضهم في ابرص :

اخولم اعارك منه ثوباً حينئذ بالقميص المستجد

اراد باخي ظم الملك جذية الابرص اللخي . وللمصاحب بن عباد في الجرب :

ابا العلاء هلال الهزل والجد كيف النجوم التي يطلعن في الجلد
ويكنى عن الحول بالتأخر . وقال الدؤلي كناية عن الفقر :

بيض المطايخ لا تشكو إمؤم طبخ القدور ولا غسل المناديل
ومثله قول الآخر :

ثياب طبأخهم اذا اتسخت اتقى يياضاً من القراطيس

وقول ابي بكر الخوارزمي :

فتى مختصر المأكول والمشروب والعطر

نقى الكأس والقصبعة والمنديل والقدر

ويكنون عن الجاهل بانه من المستريحين . ويروي ان خلافاً وقع بين بعض الخلفاء وبين نديم له في مسألة فاتفقا على رأي بعض أهل العلم فأحضر . فوجد الخليفة مخطئاً فقال : القائلون برأي امير المؤمنين اكثر (يريد الجمال) . واذا كانت الرجل أحق قيل : نعته لا ينصرف . (لأن لفظ أحق ممنوع من الصرف بالوصفية ووزن الفعل) . وكان قابوس بن وشمكير اذا وصف رجلاً بالبله قال : (هو من أهل الجنة) . ويقولون : فلان خفيف على القلب^٢ (يريدون مقلوب^٣ صفة الخفيف وهو الثقيل) .

وكان الشاعر العربي الاطروش اذا خاطبه احدهم ولم يسمع قال له : ارفع صوتك فان باذني بعض ما في روثك (يريد ان باذنه بعض الثقل الذي في روث مخاطبة) .

وتنظر المزداني الى رجل طويل بارد فقال : اقبل ليل الشتاء . ودخل رجل علي مريض يعود وقد اشفى فقال : ماتجد فديتك . قال : اجدك (يعني البزد) . ويقولون في الكذاب : فلان يلطم عين ميزان (ميزان رجل اشتهر بالكذب) . واذا كان الرجل ملولاً قيل : « هو من بقية قوم موسى » . واذا كان ملحداً قيل : قد عبر (اي عبر جسر الايمان) . وابن كان سيء الادب في المؤاكلة قيل : تسافر يداه علي الخوان ويرعى ارض البيران . فان كان خفيف اليد في الطر والسرة قيل : هو احدث يد التميمص (اي مقطوعها والسارق يقطع بدقيمه ليكون اقدر علي ما يريد سرقة) . فاذا كان قتل الثوب قيل : فلان بعرض العيد . قال صاحب :

وجوشه ترتع في جنبه وظفره يركب للصير

واذا كان الرجل يتشاعر وليس يبيد قالوا : هو نبي في الشعر . اشارة الى قول القرآن في النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) : « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » . ويقال فلان رابع الشعراء . اذا كان متخلفاً منحنط الطبقة لقول الشاعر :

الشعراء في الزمان اربعة فواحد يبري ولا يبري معه

وواحد يخوض وسط المعمة وواحد لا تشتهي ان تسمعه

وواحد لا تشتهي ان تصفقه

وسئل حائك عن صناعته فقال : كسوة الاحياء وجهاز الموتى . ويكون عن القروي باخضر الاسنان من كثرة اكل البقول . ويقال في من يكثر الاسفار : فلان لا يضع العصا عن عاتقه .

وجاء في القرآن : « ائحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا » . فانه كنى عن الغيبة لأن المغتاب يقع في العرض بمنزته كما يمزق الاكل اللحم . ويقولون : لبس فلان جلد النمر وجلد الارقم (الانعى) كناية عن العداوة .

ومن ظريف الكنايات ما جاء عن الجواز وقد قيل له : اي البقول احب اليك ؟ فقال بقلة الذئب . (يعني اللحم فان الذئب لا يأكل بقللاً) . ورأى رجل من اضافوه يطيلون الغناء ولا يأتون بطعام فقال :

مخيلي داويتا ظاهراً فمن ذا يداوي جوى باطنا

فعلوا انه جائع . وروي عن الجاحظ انه اكن مع محمد بن عبد الملك الزيات فالوذجا
فامر ابن الزيات ابن يجعل بين يدي الجاحظ مارق من الجام فأمرع في الأكل حتى
نظف ما بين يديه . فقال له محمد : يا أبا عثمان سرعان ماتقشعت سماؤك . فقال : أصلحك
الله لأن غيما كان رقيقا . ويقولون : ركب فلان الأغرا لأشقر . أي قتل . ويزيدون
بالأغرا لأشقر الدم . ويقولون : فلان عف الثوب أو عف الازار . أي مستقيم مثزه
عن العيب . وفلان غمر الرداء . أي كثير المعروف . وعرضت لفلان قتره أي وخطه
الشيب . ومثله أقر ليلة . ونور غصن شبابه . وفرض الزمان ابنوسه .

ويقال للدعي في بني هاشم : هو ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم من الدلدل . والدلدل
بغلة إهداها المقوقس صاحب الاسكندرية الى الرسول وهي اول بغلة رؤيت في الاسلام .
ومن الكناية عن الموت قولهم : لحق باللطيف الخبير . لعق اصبعه . استوفى أكمله .
استوفى أجله . مك به علي أبي يحيى . وأبو يحيى كنية ملك الموت . ويكنون عنه
بهادم اللذات . ويقال : شالت نعمته . طارت به عنقه مغرب . ويقولون في البلاء
بالموت : لا عد فلان من نقره . أي فُقد من بينهم بالموت .

ومن حكاياتهم في التورية تخلصا من الكذب ما روي ان رجلا من الخوارج ألزم
رجلا من الشيعة ان يبرأ من علي وعثمان فقال : انا من علي ومن عثمان بري . أراد انه من
علي أي من شيعة علي وأنصاره وانه بري من عثمان . ومثله ما روي عن علي بن أبي طالب
(رضي الله عنه) انه قال : ان الله قتل عثمان وانا معه . وأراد : وسيتلني معه . قاصداً
بذلك تسكين الفتنة .

وروي انه أقبل محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم مردفاً ابا بكر رضي الله عنه
فيلقى الرجل ابا بكر وهو يعرفه فيقول له : يا أبا بكر من هذا الذي بين يديك . فيقول :
رسول يهديني^(١) السبيل . فيحسب السائل انه يهديه الطريق . واما أراد ابو بكر سبيل الخير .
ومرض زياد بن أبيه فدخل عليه شريح القاضي فلما خرج مثل : كيف تركت الامير ؟
فقال : تركته يأمر وينهى . فقال السائل ان شريعا صاحب عويس . (عويس الكلام
أي الصعب الغامض منه) فأسأله ما أراد فقال : تركته بأمر بالوصية وينهى عن البكاء .

(١) [المجمع] وكان ذلك اثناء هجرتها خفية من مكة الى المدينة المنورة .

وأنت دلالة قومًا تخطب إليهم فتاة لم يقلوا لها : ما صناعة الخاطب فقالت : يكتب
يقل من حديد ويختم بالزجاج . فعملوا أنه حجام . وسئل الشعبي عن رجل فقال : أنه لنافذ
الطعنة ركين العقدة . فإذا هو خياط .

ومن كنائياتهم : أبو مالك . عن الجوع (لأنه يملك صاحبه) وريح أبي سعيد أي العصا .
وأبو جعدة الذئب وكذلك أبو مزنة . وأبو الحارث الأسد . وأبو الحصين الثعلب .
وأبو أيوب الجمل . وأم عامر الضبع . وأم عوف الجرادة . وأم حيو كرى وأم طبقى
الباهية . وأم النجوم الثريا . وأم الخلل النمر . وأم النمر العنب . وبنت العنقود وبنت
الخان وبنت الدنان وبنت الإبراهيمي النمر . وأم مرزوم ربح الشمال . وعاصم بن حبة الخبز .
وكذلك جابر بن حبة وأبو جابر . وتحيمة إبراهيم اللحم . ويقال إن مسلم بن قتيبة قال للشعبي
ما تشتهي ؟ فقال أعز مفقود وأهون موجود . قال يا غلام اسقه ماء . ويكونون بابي مصلح
عن الملح وأبي ثقيف عن الخلل وأبي اليقظان عن الديك .

ويقولون فلان من قوم موسى إذا كان ملولاً . وفلان بضعة البلد كناية عن غنمه
وعن ذله . وفلان ليس له علي الله حجة . أي متكامل فضله . وعاري الخوان أي بخيل .
وكذلك يخفق كلبه (لكيلا ينبح فيبدل الضيف على المنزل) . ويكونون عن الدرهم
بالآخر من النجس . وعن القلم بالناطق الأبيهم .

ويقولون فلان له قرابات في اليمن . أي فيج الصورة مثل القروء . (والقروء كثيرة
في اليمن) . ويكونون عن الأعمى بالمحجوب . وعن تلو البيت من الطعام بقلة الجرذان .
ويقولون فلان من تربية القاضي . أي لقيط لا يعرف له أب . وقيل للاستاذ الطبري :
شعر فلان كالماء . فقال نعم ولكن كماء البئر في الصيف (أي أنه بارد) .

ويقال فلان قد ليس شعار الصالحين . أي اتخبر . وجاءنا في قبض أشكل الدهر
عليه وشرب . كناية عن التبدد والبلية . ومثل ذلك جاءنا في حجة تقرأ : (وإذا السماء انشقت)
ويقال فلان جاءه النذير . أي شاب . وكذلك : لاح الأفحوان في نفسه .

وأما الملاحن والألغاز فقد كانت العرب تتعمدها إذا أرادت التعمية أو التورية .
والملاحن مأخوذة من اللحن وهو الفطنة . وأصله أن تريد شيئاً فتؤري عنه بشيء آخر . ومن
هذا القليل ما رواه العنبري قال :

كان اسير في بكر بن وائل فسألهم رسولاً الى قومه فقالوا له لا ترسل الا بمحضرتنا لانهم كانوا قد ازمعوا غزو قومه فخافوا ان يندرم . فجئ بعبد اسود فقال : ابلغ قوتي التحية وقل لهم ليكرموا فلاناً (يعني اسيراً كان في ايديهم من بكر) فان قومه لي مكرمون وقل لهم ان العرفج قد ادبى وقد شكت النساء وصرخن انت بعروا ناقتي الحمراء فقد اطلوا ركوبها وان يركبوا جملي الاصهب بآية ما اكلت معكم حبساً واسألوا الحارث عن خبري فلما ادى العبد الرسالة قالوا لقد جئنا الاعور والله ما نعرف له ناقة حمراء ولا جملاً اصهب . ثم سرحوا العبد ودعوا الحارث فقصوا عليه القصة فقال : لقد اندركم . اما قوله : « ادبى العرفج » فيريد ان الرجال قد استلأموا اي اذرعوا ولبسوا السلاح . وقوله : « شكت النساء » اي اتخذت الشكا وهي اسقية الماء للسفر . وقوله (عروا ناقتي الحمراء) اي ارتحلوا عن الدهناء . « واركبوا الجمال الاصهب » اي اقتصدوا الجبل . وقوله : « اكلت معكم حبساً » اي ان اخلاطاً من الناس يغزونكم لان الحليس يصنع من التمر والسمين والأقط . فامثلوا ما قال وعرفوا لحن كلامه وانتفعوا به . ومن امثلة التورية ما ذكره ابن دريد قال : تقول « والله ماشأت فلاناً في حاجة قط » والحاجة ضرب من الشجر له شوك . « وما رأيت » اي وما ضربت رثته . « ولا كئنه » اي جرحته . « ولا اعلمته » اي ماشقت شفته العليا . فمن كان مشقوقاً فهو اعلم فاذا كان مشقوق الشفة السفلى فهو افلح . « ولا اخذت منه كلياً » وهو المسبار في قائم السيف « ولا فهداً » وهو المسبار في وسط الرجل . « ولا جارية » وهي السفينة . « ولا شعيرة » وهي رأس المسبار من الفضة . « ولا صقراً » وهو دبس الرطب اي التمر الناضج . « ولا كسرت له سناً » وهي القطعة من العشب تنفرق في الارض . « ولا ضرساً » وهي القطعة من المطر تقع متفرقة في الارض . « ولا خربت له رحي » وهو من الاضراس . « ولا لبست له جبة » اي جبة السنان وهو الموضع الذي يدخل فيه من الريح . « وما ظلمت فلاناً » اي ماسقته ظليماً وهو اللبن قبل ان يروب . « ولا اخبرته » اي مارعيت له خبيرة وهي شاة يشترها القوم ويقتسمونها بينهم . « ولا جلست له على حصير » وهي اللحمة المعترضة في جنب الفرس . « ولا رأيت سعبداً » وهو النجم . « ولا سعبداً » وهو النهر يسقي الارض منفرداً . « ولا جعفرأ » وهو النهر الكبير (ولا سهلاً) وهو ضد الوعر « ولا سهلاً » وهو اسم نجم . « وما

وطئت لفلان أرضاً» وهو باطن حافر الفرس . « ولا اخذت له يضة » وهي يضة الحديد يضعها المقاتل على رأسه من أسلحة الدفاع « ولا عسلاً » وهو نوع من عدو الذئب أي جريه . « ولا خللاً » وهو الطريق سيف الرمل . (وما عرفت لكم طريقاً) وهو النخل الذي ينال باليد . (ولا أتلفت لفلان ثمرة) وهي طرف السوط . (ولا كسرت ساقه) وهو الذكر من الحمام . (ولا أخذت لفلان فروة) وهي جلدة الرأس . (ولا عرفت له وجهاً) أي قصداً . (وما عرفت لفلانة بعلاً) وهو النخل لا يسقيه أصحابه بل يشرب ماء السماء . (وما لي جبل) وهو من سمك البحر .

ومن الأبيات التي يحتاجون بها ويسمون بها أبيات المعاني قولهم :
 وزهراء إن كفتها فهو عيشها . وان لم اكفنها فموت مجل
 يعني النار وهي زهراء أي بيضاء . يقول ان قدحتها فخرجت فلم أدركها بخرقة
 أو غير ذلك ماتت . وقولهم :

وما ذكر فات يكبر فأنتي شديد الأزم ليس له ضرور
 هو القراد لانه اذا كان صغيراً فهو القرد فاذا كبر سمي حمة . وقولهم :
 عافت الماء في الشتاء فقلنا برديه تصاديه سخينا
 قوله (برديه) أي (بل رديه) ادغم اللام والراء ادغام المتقاربين فصار كلمة واحدة .
 وقولهم :

اقول لعبد الله لما سقاؤنا ونحن بوادي عبد شمس وهاشم
 الاصل في قوله : (وهاشم) هكذا (وهي شم) . ومعنى وهي سقط . وثم أنظر .
 وتحرير المعنى : اقول لعبد الله لما سقاؤنا وهي أي سقط ونحن بوادي عبد شمس
 أي انظر .

وقولهم :

واشعث كفار غدا وهو مومن . وراح ولم يؤمن برب محمد
 قوله مومن أي قاصد اليقين والفعل منه آمن . فلم يبق في البيت إشكال أو غرابة
 بنسبة الايمان والكفر الى رجل واحد بين صباح ومساء أي عند غدوه وعند زواجه .
 اللاذقية : ادوار صراخ

جامع التواريخ

— أو —

« نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة »

— ٧ —

حدثني ابو الحسن علي بن احمد الحاجب المعروف بابن الخراساني وكان
يحجب لمعز الدولة قال كنت مع معز الدولة يوماً في دار الخلافة بمحضرة المطيع
لله فلما انقضى الموكب قال لي قل له اني أريد ان أطوف في الدار فأراها
وأشاهد بساكنيها وصحونها فيأمر من يطيفني فيها قال فقلت ذلك للخليفة
بالعربية فأمر الخليفة شاهك خادمه وابن عمر (١) حاجبه ان يطيفاه فيها فلما
مشيا بين يديه وانا وراءهما أمشي وبعدنا عن حضرة الخليفة وقفنا فقالا أيها
الامير انه لا يصلح ان تطوف الدار الا ومعك نهران أو ثلاثة أو نحو هذا
فاختر لنفسك من تريد ورد أصحابك قال فأخذ الصميري كاتبه معه ونحو
عشرة غلمان من حجابيه وغلماؤه وترك باقي غلماؤه وجيشه في صحن السلام فتوقفت
أشد منطقتي فسبقني ودخل مع شاهك وابن أبي عمر ولم ينتظروني وأسرع
في مشيه فشددت منطقتي ولحقته وجذبت ثيابه من ورائه فالتفت فقلت

(١) لعله : ابن أبي عمر .

بالفارسية في أي موضع انت مالك تعدو على وجهك وليس تعلم انك في دار قد قتلت الف أمير والف وزير . أيش كان غرضك في طوف هذه الدار وحدك ما كان يؤمنك لو وقف لنا عشرة من الخدم او عشرون نفساً في هذا المر الضيق فتقتل . قال فكنت أكله بالفارسية وأصحاب الخليفة لا يفهمون فقال له الصيمري بالفارسية قد صدقك فقال لنا ان انا رجعت الساعة علموا اني قد فرغت فضعت هيبتي في نفوسهم ونظروا الي بعين جبان (١) ولكن التفوا حولي فان مائة من هؤلاء لا يقاومونا ولا صاحبهم يحسر ايضاً على الحيلة علي وأسرع في مشيه حتى اننا لم نثبت ماشاهدناه حتى تثبته حتى انتهينا الى دار فيها صنم من صفر على صورة امرأة وبين يديها أصنام صغار على صور الوصائف فما رأينا شيئاً قط أحسن من ذلك وخاصة المرأة قال فتخير معز الدولة وسأل عن ذلك وقالوا هذا صنم يقال له (شغل) حمل الى المتقدر من بلد من بلدان الهند وكان يعبد به اهل ذلك البلد ففتحه صاحب عمان وملكه وحمل الصنم فقال معز الدولة قد والله عشقت هذا الصنم لحسنه ولو كانت تجارية مع زهدي في الجواني لاشريتها بمائة الف دينار . قال : أريد أطلبه من الخليفة يكون قريباً مني فأراه في كل وقت فقال له الصيمري لا تفعل فانك تنسب في ذلك الى أخلاق الصبيان قال وأسرعنا الطوف والخروج فما عقلنا ولا رجعت نفوسنا اليها حتى صار مع عسكره وغلماؤه

(١) الكلمة غير واضحة . [المجمع] بل المعنى انهم ينظرون اليه بالعين التي ينظرون بها الى الجبان أي بعدونه جباناً .

فلما نزل الى طياره التفت الى الصيمري وقال يا ابا جعفر قد زادت محبتي للخليفة لانه لو كان يضمري سوءاً و كان فيه شر لكن قد قتلني اليوم باسهل حيلة فقال له الصيمري الامر كذلك فاحمد الله قال فلما رجع الى داره امر ان يحمل الى الطالبين عشرة آلاف درهم ليفرقها فيهم شكراً لله عز وجل على سلامته ففرقت ولم يعرفوا سبب ذلك .

* * *

حدثني ابو محمد عبد الله بن داسة قال حدثنا ابو الحسين احمد بن الحسن ابن المثنى قال حدثنا ابي قال كان في بني منقر بالبصرة طبيب يختلف الى عيسى بن ابان القاضي ايام مقامه بالبصرة اسقيه في كل سنة دهن الخروع اياماً متوالية من كل سنة فاذا فرغ وقع الى وكيله بمائتي درهم قال فغلط سنة من السنين فوقع له بمائتي دينار فلما عرض الطبيب الرقعة على الوكيل استراب بها وقال حتى استأذنه وجاء اليه فأراه التوقيع فقال ما أردت هذا ما أردت الا المائتي درهم التي هي رسمه ولكن هذا شيء أجراه الله على يدي لا أرجع عنه اعطه اياه فأعطاه .

* * *

وحدثني ابو محمد قال حدثني ابو سهل بن زياد العطار قال كان علي بن عيسى يدخل في كل اسبوع يوماً الى زوجته والدة ابي القاسم ابنه وكان ابو القاسم قد نشأ وترجل فلما كان يوم النوبة أدخل ابو القاسم أمه الى حجرة وقفلها عليها وأخذ المفتاح فوافى علي بن عيسى فانكر فعلها فقال له الجوارى

ان ابا القاسم ابنه فعل ذلك فاستجيبا وعرف غرضه فلم يدخل الى أمه بعد ذلك الا لعيادة أو حال ظاهرة .

وحدثني قال حدثني ابو الفرج منصور بن القاسم القنائي الكاتب قال دخل ابو عمر القاضي علي ابي علي بن مقلة وهو وزير وعلي بن عيسى عنده جالس فرفع ابا عمر عليه فامتنع فرفعه ثانية وامتنع وجلس دون ابي الحسن فانصرف فراسله الى طياره واستدعى ابنه ابا الحسين فجاء اليه فقال تقول لابي عمر اني ما رفعتك علي علي بن عيسى فتخالف أمري وتمتنع من ذلك وتجلس دونه فعاد اليه ابو الحسين فقال له ما جرى فقال له ارجع اليه وقل له هذا رجل رأس عليّ ثم أزال الزمان منه فكرهت ان ارتفع عليه فيتصورني الوزير بصورة من يرتفع على رؤسائه وما فعلت ذلك الا لك واعظاما للرياسات فعاد ابو الحسين الي ابن مقلة وأعاد ذلك عليه فقال قل له أحسن الله جزاءك فمنك يتعلم العقل .

حدثني ابو محمد قال حدثنا ابو الحسين محمد بن عبيد الله بن نصرويه عن شيوخه ان المعتضد لما قبض على اسماعيل بن اسحاق القاضي وقال له بلغني انك تعلم ان اسماعيل بن بلبل زنديق فماتقول في قتله فقال ما أقول في رجل تكنى وسُمّيَ ابوه بالطيور فعلم المعتضد انه يدافع فقال ليوسف القاضي هل عندك من امره شيء فقال نعم أمرني الموفق بالنفقة على المومنم وتقدم الى اسماعيل ان

يعطيني المال فكنت الزم مجلسه أطلبه بذلك فلزمته يوماً منذ الغداة الى المغرب مارأيته صلى ولا نهض من موضعه ثم لزمته اياماً متتابعة وكانت هذه حكمه فقلت لعله يقضيها ليلاً فقال لي في آخر يوم بت عندي الليلة لاعطيك المال وجلس يتحدث وانا بين يديه الى ان نعس فأراد اكرامي فأمرني بالنوم بحضرتة فتمت وما رأيته في خلال ذلك صلى . فقال له المعتضد انصرف فقد أخبرني بما أردت منك وقتله .

حدثنا ابو محمد قال حدثنا ابو الحسن بن ابي نصر ان ابن ابي الوليد بن ابي عبد الله بن ابي داود قال حدثني ابي ان عمرو بن الليث كان له بيت بنام فيه ويحرسه غلمان له ليلاً فانتبه ليلة فوجد بعض الغلمان قد استند الى الحائط ونام قائماً فجعل مرفقه على صماخه وغمز عليه حتى قتله فما رأى في داره نائماً ممن كان يحرسه بعد ذلك .

حدثنا ابو محمد قال حدثني ابو الحسين احمد بن الحسن بن المثنى قال حدثني ابي قال حدثني عمي قال قال ابن عيشاش كنت آكل مع حميد الطوسي فضربت يدي الى دجاجة مشوية ثم رغبت عنها شبعاً فلم اكسرها وانقضى الطعام وغسلت يدي وخرجت فاذا بضوء ضاء في الدهليز واذا برجل يبكي فقام اليّ وقال يا رجل أحي نفسي كنت انت سبب قتلها فقلت ما الخبر فقال أنا طباح حميد وانك مسست دجاجة ثم لم تكسرها فقد ر حميد اني شويتها

ولم أنضجها فأمر بقتلي فعدت الى حميد فحين رأي قال والله لا شفعتك في الطباخ قلت لسمع الامير ما أقوله ويعمل ما يراه قال قل فحلفت بالايمان المغلظة ان الدجاجة كانت نضيجه وانما رغبت عنها ان الشبع صدي . ثم اتبعت المسألة في امر الطباخ فقال أهب لك ذنبه على انه لا تدخل داري انا قد أيسنا من الآخرة وانما هي هذه الدنيا فلا نحتمل والله لأحد تنغيصها علينا .

وحدثني (١) قال حدثني ابو يحيى بن مكرم القاضي البغدادي قال حدثني ابي قال كان في جوارى شيخ يعرف بابي عبيدة حسن الأدب كثير الرواية للأخبار وكان ينادم اسحق بن ابراهيم المصعبي فحدثني ان اسحاق استدعاه ذات ليلة في نصف الليل بعدة رسل قال فهالني ذلك وأوحشني لما أعرفه من زعارة أخلاقه وشدة اسرعه الى القتل وخفت ان يكون قدنم علي شي (٢) في العشرة او بلغه عني باطل فاحفظه فيقتلني فخرجت طائر العقل حتى أتيت داره فأدخلت من دار الى أخرى الى ان أدخلت دار الحرم فاشتد جزعي ثم أدخلت الى حجرة لطيفة فسمعت في دهليزها بكاء امرأة متخافاً (٣) وهو جالس على كرسي وبين يديه سيف مسلول فذهب علي أمري وسلت ووقفت فقال اجلس يا عبيدة فسكن روعي وجلست فرمى الي قصصاً فاذا هي رقاع أصحاب الشرط في الارباع يخبر كل واحد منهم بخبر يومه وفي أكثرها

الفرج بعد الشدة ٢: ٦١ (٢) يريد شيئاً . (٣) لعله : متخافاً . وفي الفرج : ونحيبها ودخلت .

أخبار كبسات وقعت بنساء من بنات الوزراء والروساء من الكتاب وبنات القواد والامراء مع رجل على رتب (١) وانهن محضلات في الجبوس ويستأذن في امرهن فقلت قد وقعت على هذه الرقاع فما يأمرني الامير فقال ان هؤلاء كلهن أجل آباء مني واكثر حسبا (٢) ومالا وقد أفضى بهن الدهر الى ما قد رأيت وقد وقع لي ان بناتي سيبلغن الى هذا وقد جمعتهن وهن خمس بالقرب من هذا الموقع لاقتلن كلهن الساعة وأستريح فماذا ترى في هذا فقلت أيها الامير ان آباء هؤلاء المحبسات اخطأوا في تدبيرهن لانهم خلفوا عليهن النعم ولم يحفظوهن (٣) بالأزواج فخلون بانفسهن ففسدين ولو كانوا علقوهن على الاكفاء (٤) ما جرى هذا منهن والذي أراه ان تستدعي فلانا القائد فله خمسة بنين كلهم جميل الوجه حسن النسوة (٥) فتزوج كل واحدة منهن بواحد فتكفي العار والنار فقال أحسنت يا أبا عبيدة أنفذوا الساعة اليه وافرغ لي من هذا قال فزاسلت الرجل فما طلع الفجر حتى حضر وأولاده وعقدت النكاح لهم على بنات اسحاق في خطبة واحدة وحمل اسحاق بين يدي كل واحدة خمسة آلاف دينار عينا وشيئا كثيرا من الطيب والثياب والدواب والبغال والغلان فأعطاني كل واحد من الأزواج شيئا مما وصل اليه وأنفذ لي أمهات الاولاد هدايا في الحال وشكرتني على تخليص بناتهن وأنقلبت الحال الى السرور

- (١) لعله : على رتب . وفي الفرج : نساء وجدن على فساد من بنات الوزراء والامراء والأجلاء الذين بادوا وذهبت مراتبهم . (٢) بالاصل : حيثما وعبرة الفرج غير هذه . (٣) بالاصل : يحفظهن . (٤) بالاصل : الاكفاء . (٥) يريد النسوة او النساء . وفي الفرج : النسوة .

فخرجت وقد حصل لي ثلاثة آلاف دينار عينا وشي كثير من الطيب والثياب (١).

حدثني الحسين بن محمد الجبائي قال حدثني أبو القاسم بن عمرو بن زيد البزاز الشيرازي المقيم ببغداد قال حدثني أبو حمدون (٢) النديم عن آبائه أن أحدهم أخبره أن المتوكل كان مشغوقاً بالهود المندي فشكا إليه ذات ليلة إغوازه فقلت له يا أمير المؤمنين الملك لا تستعجب أن تستهدي من الملوك طرائف ما في بلادها فلو أنفذت إلى ملك الهند هدية حسنة واستهديت منه عوداً هندياً ما كان ذلك عيباً قال فتكون أنت الرسول فأيت فأزمني إلى أن أجبت فتمنيت أني لم أكن أشرت عليه بالرأي وإن كان صحيحاً لا جسر على الخطر بالنفس وقلت في نفسي قد كان يسني السكوت واعد المتوكل الهدايا وتأهبت للخروج ووصيت لأبياسي من الرجوع فلما أجدت بي الخروج قلت ليس إلا إن أحمل ممي شرباً كثيراً فاذا اشتدت الأمواج شربت وسكرت ولا أعقل أن غرقت ولا أحس بعظم الأمواج مع السكر فاستكثرت من الشراب القطريلي والغناء (٣) الحسن والتفاح الشامي وجعلت يعضه في العسل ليقي وخرجت فأقمت بالبحر شهوراً وعابنت أهوالاً عظيمة إلى أن وصلت إلى الساحل من بلد الهند فأركبت الظهر وسرت من بلد إلى آخر

(١) قد غير المؤلف عبارة الفرج بعد الشدة في مواضع كثيرة .

(٢) كذا بالأصل والنديم المشهور هو ابن حمدون وكان اسمه محمد أو أحمد واسم

صاحب الحكاية زيد . (٣) له : النوب

الى ان دخلت بلهور (١) وهو الملك الاعظم من ملوك الهند وهو اسم الملك الاعظم هنالك فوصلت الى البلد مع أصحابه وقد تلقيت واكرمت وخدمت وأنزلت داراً أحسنه من دورهم ثم جلس مجلساً عاماً فدخلت اليه وهو في حفله وتأهبه وجيشه ورعيته وقد جلس على سرير ملكه وعليه مئزران حرير صيني وقد اشبع باحدهما وابتزر بالآخر وفي حلقه خيط فيه صبرة من ذلك الخرز (٢) لا أدري ما فيها وكنني بترجمانه وقال يقول لك الملك لأي شيء قصدت فقلت له ان امير المؤمنين أحب صلة الحال والمودة بينه وبينه فبعثني لذلك وحمل على يدي هداياه وسألت ان يأمر بتسليمها فأعاد الترجمان عنه جواباً حسناً جميلاً فانه قد أمر بقبض الهدية وانصرفت ورسله معي فتسلمها وترددت الى المجالس العامة دفعات فلما كان بعد ايام استدعاني في نصف نهار وكان الزمان حاراً فدخلت دار العامة التي كنت أصل اليه فيها فلم اجد فيها كثير احد فأدخلت من موضع الى آخر حتى أدخلت اليه وهو جالس في حجرة في غاية الحسن والسر والظرف والملاحة وفخر الآلات كأنها من حُجَر دار الخلافة ودست طبري في نهاية الحسن والملك جالس فيه وعليه قميص قصب في نهاية الخفة والحسن وسراويل ديبقي بتقطيع بغدادي وعلى مسورته ردى (٣) قصب فاخر جيداً وبين يديه آلات ذهب وفضة وصياغات كثيرة عراقية كلها حسنة مملوءة بالكافور والماورد والعنبر والتند والتماثيل (٤) فلما دخلت كنني بالعربية

(١) يريد لاهور . وفي الجملة اضطراب ولعل المراد : وهي حضرة الملك الاعظم الخ وسقط اسم الملك . (٢) لعله : الخرز . (٣) يعني رداء . (٤) هي قطع من التند .

بلسان طلق ذلق وقال كيف انت من قشف بلادنا فشكرت انعامه وقرظت
 بلاده وذكرت له اني في ريف من تفقده وبرّه فباسطني وطاولني واستطاب
 حديثي وأفضت معه في فنون من الأمور حتى تكامل انبساطه اليّ وتأملت
 أمره كله فاذا رجل عراقي متأدب . فسقاني من شراب بين يديه أصفر في
 قدح في صينية وقال إشرّب هذا وقل لي هل عندكم مثله فقبّلت يده وقبلت
 القدح وشربته وقلت هذا في غاية الطيب والحسن والجودة فقال اصدقني هل
 عندكم مثله فوصفت الشراب القطريّلي وذكرت منافعه وفضائله وطيبه وزدت
 في الوصف وبسطته فرأيت في عينه استبعاداً لقولي فقلت له اني كنت استصعبت
 منه شيئاً في طريقتي وقد فضل منه فضلة لأرضائها لحضرة الملك ولكن ان
 أمر باحضارها ليعتار (?) بها صحة ما ذكرته له أحضرتها فقال افعل . فقلت
 لغلامي احمل كلما بقي عندنا من الشراب فجاء الغلام بادن (١) يسيرة وقلت له ان
 يحمل شيئاً من التفاح الشامي فحمل مما كان في العسل عدة تفاحات ومنسجها من
 العسل وكان في بعضه قد بقيت منه بقية صالحة . فلما وضعت الدنان بين يديه
 أمرت غلامي بيزلها في قدح وشربت منه أولاً ثم دفع اليه فاستحسن ذلك ثم
 أخذ التفاح فلما رأى لونه رأى شيئاً غير ما عنده وشبه فكاد ان يشق استطابة
 وشربه وتقدح (٢) بشيء من التفاح وقد كنت كسرت واحدة وأكث
 نصفها في حال شربه وترك نصف الآخر بين يديه فتنقل به ومسح فاه
 ثم قال لي ما ظننت ان في الدنيا مثل هذا الشراب ولا مثل هذا النقل ولقد

(١) يريد ادنان . (٢) يريد تنقل اي انجذ نقلاً .

بهُدَّ في نفسي ما أخبرني به فلما شاهدته صدقتك وعظم في نفسي بلد يكون مثل هذا فيه مبتدلاً ولم أصدق ذلك لو لم أشاهده . ثم قال لي ويحك تشربون مثل هذا وتنتقلون بمثل هذا وتموتون ان هذا الامر عجيب . ثم صار يستدعيني كل يوم الى تلك الحجرة فأكل معه ونشرب ويخرج اليّ بالأحاديث فلما أنست به قلت له أيها الملك أتأذن لي أن أسأل عن شيء ؟ قال قل : قلت ان الله عز وجل قد جمع لك من الملك العظيم انك جالس في هذه الحجرة في قطعة من دار الخلافة بالعراق بلا فرق ولا شك وقد أعطاك من حسن الرأي والفهم واللسان العربي ما جعلك به كأنك رجل من اهل بغداد فمن أين لك هذا ؟ فقال ويحك ان ابي كان من اولاد الملوك وقُتل ابوه وابتز على ملكه بعض قواده ثم خرج عليه (١) ولم يكن من اهل بيت الملك فهرب ابي خوفاً على دمه الى عمان فدخلها مستخفياً وتنقل في البلدان الى ان وقع ببغداد في زي التجار ومعه من يخدمه ويكتم امره وطاف بلاد العراق وكانت المادة تُحمل اليه من هاهنا فأقام بالعراق سنين حتى تفصح بالعربية وتأثر اهل العراق ونكح منهم وخالطهم وتطاولت السنون به ومات ذاك الخارجي الذي قتل اباه وغصبه الملك فأوقف اهل المملكة الملك عليه وكتبوه بالصورة واستقدموه وامتدوه بالأموال فاستصحب قوماً من العراقيين من اهل الأدب والعشرة واهل الصنائع فقدم فملك الأمر وجعل غرضه طلب العراقيين واسنى لهم العطايا فكثروا عنده فبنوا له هذه الحجرة وخدموه بهذه الآلات . فكان يجلس لاداء

(١) لعله : وابتز ملكه بعض قواده قد خرج .

المملكة في زعيم لثلاثين عليه مخالفتهم في الزي وينقص بين ملوكهم فيهمون
 امره عندهم ويجلس في خلوته هكذا . فلما ولدت اسلمني الى العراقيين
 والهنديين فكلوني باللغتين فنشأت أتكلم بهما ثم أدبني العراقيون وغلبوا عليّ
 فلما مات سلم الملك اليّ فاتبعت طرائقه في الجلوس العام لأهل المملكة بزيهم
 والانفراد عنهم في الخلوة بهذا الزي . قال ققلت له فما ذلك الذي تعلقه في
 حلقك والصرة ؟ فقال هذه الصرة فيها عظم من عظام الرجل الذي جاء بعبادة
 البدن (الوثن) واقام هذه الشريعة لهم وله كذا وكذا الف سنة وذكر عشرة الوف
 سنين وقال ان الرجل لما مات وصى بان يجعل في تابوت بعد تابوت كذا وكذا
 الف سنة فما يزال كلما يلي شي من عظامه احتفظوا بالباقي ونحو البالي اثلاثين
 الف سنة الى الصحيح الى ان لم يبق منه الا هذا العظم الواحد فخافوا ان يبلى ايضاً
 فجعلوه في حق من ذهب وجعلوهما في صرة وصارت الملوك تعلقه في جوارقها
 في خيط تظيماً وتبركاً به واشرفاً بمكانه وصيانة له عن البلى . فقد داني
 في حلق كذا وكذا ملك مدة ايام ملكهم كذا وكذا سنة وذكر امراً عظيماً
 وقد صار عندنا كالبردة انني اصاحبكم يلبسها خلفاؤكم . قال : فلما طال
 مقامي وضجرت سأله الاذن في تسريمي وأعلمته إعجاب الخليفة بالعود المندي
 واشترت عليه بالاستكثار منه وقلت هو احب اليه من جميع ما تهديه اليه
 من غيره فأنفذ منه شيئاً عظيماً هائلاً كثيراً وفيه من الطرائف ما لم يسمع بمثله
 وأنفذ مع (١) الجواهر واليواقيت والتوتيا وطرائف بلاده ما يكون قيمته

مالاً جليلاً واضعاف ما حملناه اليه . فلما اردت توديعة قال اصبر . ثم دعا بصندوق ففتحه واخرج منه مفتاح ذهب (١) واخرج منه قطع عود هندي لطافاً فأعطانيها وقد كان قد (اي قدر) ما اعطانيه نصف رطل ودعا بدرج وجعله فيه وقفله وسلمه ومفتاحه الي وقال هذا خاصة ترسله من يدك الى يده . قال : فانكرت ذلك في نفسي وقالت ابنت الهدية (٢) الا الحق قال فبان له التكر في وجهي فقال اظنك احتقرته فقلت وما هذا حتى توصيني فيه بمثل هذا . فقلت الملك يقول . فقال يا غلام هات بحجرة ونارا فأتي بهما ودعا بمنديل لطيف لكم فأتي به واخرج من ذلك العود شظية مقدارها اقل من نصف دائق فضة فطرحها على النار وبخر بها المنديل ثم قال شم فشممت شيئاً لم ادري ما هو لا يشبه الند ولا العود ولا شيئاً طيباً نتبخر به ماشممت مثله قط فقلت يحق لهذا ان يوصيني به الملك بما وصى فقال اصبر حتى اريك منه اعجب مما رأيت ودعى بطشت وماء فأحضرهما وامر بغسل المنديل بالصابون فغسل بين يديه ثم امر ان يحفف في الشمس ويحضر قال ففعل ثم قال شمه فشممت الرائحة بعينها لم تتغير ولا نقصت فأعاد الغسل بالصابون والتجفيف دفعت تقارب العشرة الى ان انقطعت الرائحة في الاخيرة فمالي ذلك فقال اعرف الآن قدر مامعك واعلم انه ليس في خزائن ملوك الهند كلها من هذا رطل واحد غير ما اعطيتك وعرف به اجبك فضياه قال فودعته وانصرف وورزق الله السلامة ودخلت على المتوكل فسر بقدومي وأكرمني وسلت اليه الهدايا فحسن موقعها منه واعدت عليه اكثر حديثي مع

(١) لعله : ففحه بمفتاح ذهب . (٢) لعله المندية .

الملك الى ان بلغت الى خبر النصف رطل عود واخرجه فسلته اليه ولم اشرح له خبر الحرقه فاستحق الرجل . كما استخفته فقصصت عليه الشرح واخرجت المحترمة والنار وخرقة وفعلت كما فعل الملك فهاهنا ذلك امر أعظيماً وسراً به سروراً شديداً وقال هذا النصف رطل بسهرتك . قال الحسين فقال لي ابو حمدون زيد فاستبعت امر هذا العود الى ان حدثني بعض التجار البقات المشهورين بدخول الهند دفعات بمحدث هذا العود ووصفه لي فخرج الحديثان واحداً على اتفاق . فقلت هل سمعت ما سبب قتله فقال سألتهم عن سبب ذلك فقال ليس ينبت الا في موضع واحد في قلة جبل بيننا وبينه مشاق وغرر واطار ووحوش ضارية كثيرة فالملوك تكلف اتفاق الأموال العظيمة على مرور الايام والشهور والأغوام حتي يصل اصحابهم الى ذلك الجبل ويصعدون منه الى حيث يمكن فيبلغون الى حيث لا طريق فيه ولا حيلة ويرون تيوساً كالتيوس الجبلية التي هاهنا ترعى في تلك الأشجار من بعد فربما اتفق ان يروا الواحد وهو في الذروة وفي فيه قطعة من هذا العود يأكله فيرمونه بالسهم فان اتفق ان يصيبه السهم فيسقط التيس اليهم بحمية السهم وفي بعد ذلك العود فيتناولوه من فيه والا فلا سبيل الى شيء من حصول (١) العود البتة ففي سنين طوال تتفق هذه القطعة البندرية بعد المشقة العظيمة على مر اصدمة الرجال بذلك فهذا السبيل يقل .

« للبحث صلة »

(١) لعله : من الحصول على شيء من العود .

آراء وافكار

(تن)

كلمة فارسية بمعنى (بدن . جسد) وفي اللغة العربية (القديمة والحديثة) عدة كلمات مبدوءة
او مختتمه بكلمة (. تن) مما يدل على ان اصلها أعجمي . من ذلك :

« تنبل » بكسر اوله على وزن (درهم) معناه في اللغة الفصحى القصير . وأما هو
بفتح التاء على وزن (جعفر) فقد قال صاحب التاج في مستدركه إنها كلمة عامية يريدون
بها البليد الثقيل قال السيد (أدي شير) الكلداني إن (تنبل) بمعنى بليد كسلان فارسي
معرب وهو محرف عن (تنبول) وتنبول محرف عن (تنير . ور) وهما كلمتان : (تن) بمعنى جسد
بدن و (پرور) بمعنى مربى مغذيه . فالبليد الكسلان تراه مشغولاً براحة بدنه مكثراً
لتغذيته بالوان الطعام فيسمن ويضخم ويصبح غير قادر على السعي ولا نشيط الحركة في العمل .
(تجفاف) بكسر اوله كلمة عربية واردة في فصحى كلام العرب ويراد بها ما يلمبسه
الفرس في الحرب وقاية له من وقع الأسنّة كالدرع للانسان . قال ابن الجواليقي : التجفاف
معرب ومعناه ثوب البدن . وقال العلامة الخفاجي في (شفاء الغليل) : (التجفاف) لفظ
معرب عن الفارسية واصله (تنشاء) أي حارس البدن اهـ . ولا أرا في مرتاحاً الى ما قالوه من
تعريب التجفاف فانه بالكلمات العربية أشبه . والى صيغها ومعانيها أقرب : فالتجفاف
بفتح اوله بمعنى التبييس كالتجفيف . ويؤيده ما قاله صاحب المصباح في تعليل تنحية تجفاف
الفرس تجفافاً - وقيل سمي بذلك لما فيه من الصلابة واليبوسة .

(تنبان) السراويل القصيرة يلبسه الملاحون والمعارعون قالوا وهو معرب عن الفارسية
واصله (تنبان) - فالظاهر انه مما نحن فيه ويتكون مركباً من (تن) بمعنى بدن و (بان) بمعنى
تخاض أو حافظ .

(متنان) ثوب معروف كالصدار الا انه يكمن ويكون قصيراً لا يتجاوز مراق البطن . وقد وقع فيه تحريف كثير إذ أت أصله (الفارسي) كما سيف كتاب (كنز اللغات) — (نيمتن) : (نيم) بمعنى نصف و (تن) بمعنى بدن فهو ثوب يستر نصف البدن ثم ان نيمتن تحرف الى (نيمتان) ثم الى (مينتان) و (متنان) ومن المستبعد ان يكون (متنان) عربي الأصل من الثن وهو الرائحة الخفيفة ويكون محرفاً عن (منن) وجمعه مناتين يقال رجال مناتين وأباط مناتين أي ذات ثن والثوب المسمى (متنان) يكون له رائحة كذلك . هذا بعيد والاول أحسن وأقوم .

(تنوره) ثوب على عكس المتنان أي انه يخيطن بالجسم من الوسط الى القدمين وهو بتشديد النون . أما أصله الفارسي فيتحققها . وهو مركب من كلمتين (تن) بمعنى بدن و (نوره) لم اكتب الى معرفتها . وكلمة (التنورة) من الفاظ العوام المتأخرين . (تنباك) اسم النبات المعروف الذي يمتص دخانه بواسطة الار كيلة أو السارجيلة وقد قال بعض الكتاب المعاصرين ان كلمة (تنباك) فارسية وهي مركبة من كلمتين (تن) بمعنى بدن و (باك) بمعنى مطهر (أو ظاهر) أي مطهر البدن . وهذه التسمية ناشئة عن أسطورة إيرانية تفسر لنا اصل اكتشاف التنباك . وذلك ان رجلاً ابتلي بقروح في بدنه تولدت فيها الديدان واعيت الأطباء فهام الرجل على وجهه في البرازي حتى امتدس اخيراً الى هذا النبات المسمى (تنباك) فجعل يربط أوراقه على قروحه فامتضت رطوباتها ونفتها من الديدان وهكذا شفاه الله فسمى الناس هذا النبات (تنباك) أي مطهر الجسد ومنقته من الآفات .

هكذا قال بعضهم ولا أراه صحيحاً وإنما الصواب فيه ان كلمتي (التنباك) و (التبغ) اختان وهما محرفتان عن كلمة Tabōgō اسم جزيرة من جزر الإنديز في أميركا اجلب هذا النبات منها وهو لم يعرف قبل اكتشاف أميركا ويشهد لهذا ان اسمه باللغة الأثرنسية (Tabac) .

المغربي

مطبوعات حديثة

— (١) —

معجم الحيوان

« بقلم الدكتور امين باشا المعلوم من ٢٧١ من قطع المقتطف »

الدكتور امين باشا المعلوم هو في هذا القرن اول من بحث عن الألفاظ العربية للحيوان مخترعاً ما يقابلها من الأسماء العلمية حتى صار مؤلفه جديراً بأن يدعى معجماً مضبوطاً لبعض أسماء هذا القسم من الأحياء . وقد كان العلامة المشار إليه نشر هذه الأبحاث تباعاً في المقتطف بأسم « معجم الحيوان » بدءاً من عدد تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٠٨ ، ثم جمعها اليوم من اجزاء المقتطف العديدة و اضاف اليها ما حققه حديثاً ، ورتبها ترتيباً على حروف المعجم وطبعها كتاباً جملة المقتطف هدية للمشتركين فيه . والمؤلف من انصف العلماء اكل اصحاب الأسانيد الذين اقتبس منهم سواء اكانوا على قيد الحياة ام من طواهم الدهر في طياته ، وسواء أحسنوا اليه على اعتقاده ام اساءوا . فقرأ مثلاً ينقل عن معجم شرف المطبوع سنة ١٩٢٨ استعمال لفظة « غُراء » لأحد انواع الضباع ولفظة (كُبَّع) للحوت المسمى جل البحر ويشير الى هذا الإسناد على حين انه متأكد كل التأكيده ان الدكتور محمد شرف بك نقل الى معجمه عشرات من الفاظ « معجم الحيوان » المنشور في المقتطف دون ان يذكر معجم الحيوان في جملة الأسانيد التي اعتمدها بل تخطاه الى الأسانيد الأصلية التي لقي امين باشا من مراجعتها عرق القربة . وهذا لا يجوز بين العلماء . وقد كنت اشترت اليه في هذه المجلة ^(١) . ولا شك عندي ان عالماً يقدر الاجتهاد حتى قدره كالدكتور شرف

لم يهمل ذكر «معجم الحيوان» في جملة المراجع التي استعني منها الاسهوا ، ولو كنت مكانه لأعلنت هذا السهو على الناس مادام كل حي عرضة للنسيان .

ويمتاز معجم الحيوان بصحة التحقيق العلمي ودقته وبكثرة المراجع التي رجع اليها المؤلف في تأليفه وأهمها في نظري حقيقة الحيوانات ومفاتها ومثالك يستطيع الانسان المجد ان يضع الاسماء في مواضعها امام الحيوان نفسه حياً أو مخطئاً أو ميبساً . وتأني بعد ذلك كتب علماء اجانب مشهورين من رواد البلاد العربية الذين تحروا حيواناتها ودوتوا اسماءها العلمية كما دوتوا ما اتصل بهم من اسمائها العربية بالفصحى أو العامية مثل فورسكال وشوينفورت وسنت هيلز ودرمر وبولنج ومينرتزهاجن وبوست وغيرهم دع علماء العرب مثل الأب أنستاس الكرمللي واحمد فارس الشدياق واحمد كمال باشا واحمد ندا ويعقوب صروف ومحمد حلمي السباع من المعاصرين والجاحظ والدميري والقزويني والمسعودي والادريسي وابن سيده وغيرهم من الأقدمين . ولا أعلن انه فات المؤلف كتاب يعول عليه في هذا الباب دون ان يراجع حتى انه ما كاد يتصل به صدور كتاب جديد في حيوانات الشام المائبة لمؤلفه الفرنسي غرولب (Gravel) حتى بحث عنه لعله يجد في هذا الكتاب الجديد لفظة ما جديدة .

فلنذه الاسباب جميعها جاء معجم امين باشا آية في التحقيق العلمي ومرجعاً معاً ومضبوطاً لكل معجم افرنجي عربي يؤلف وبخاصة لمعجم المصطلحات العلمية الذي طالما تمينا ان يتكاتف العالم العربي على اصداره في المستقبل القريب . واذا شاء المطالع الوقوف على غرط التحقيق في معجم الحيوان فليراجع ما كتب صاحبه عن البر والنمر ، والنسر والعقاب ، والخلد والطوبين (الخلد الأوربي) والبئذت هل هي عربية ام لا الى عشرات من الألفاظ التي لم يكتب المؤلف بوضعها مقابل اسماء العلمية بل ناقش وقارن واستدل الى ان استنتج ان اللفظة العربية الفلانية يجب ان تدل على الحيوان الفلاني بلا تردد او جدال . ولهذا لا يعد كتاب امين باشا معجماً لألفاظ الحيوان فحسب بل هو معجم لغوي لكل ما يتصل بالحيوانات الواردة فيه من اسماء عربية مما جاء في كتب علماء العرب الأقدمين . وربما ملأ المؤلف صفحة كاملة أو صفحتين في مناقشة ما أورده العلماء من الأسماء لحيوان واحد .

وعلى ذكر البحث وهي لفظة يطلقونها على الإبل الخراسانية نتيج من همل عربي ذبي

سنام واحد وفالج ذي سنامين) نقل المؤلف عن التاج : ان بعضهم يقول ان البجرب عتري
وينشد لابن قيس الرقيات :

« إن بعش مصعب فانا بجير قد أناا بعشنا مانزجي

يهب الألف والخيول ويسقي لبن البخت في قصاع الخلتج » انتهى

قلت ولدي دليل آخر على أصالة هذه اللفظة بسبب استعمالها قديماً وهي آيات احفظها
عن معجم البلدان في مادة (حاصر) في وصف طغیان الأنهر العظام (وهو الفرات في الآيات)
وتشبيهه كرم يزيد به ، قال الشاعر :

وما مزبد يعلو جلاميد حاصر يشق إليها خيزراناً وفرقداً (١)

تحرز منه اهل عانة بعد ما كساورها الأعلى غشاء منضداً

باجود سيباً من يزيد اذا بدت لنا بجته يحملن مجدداً وسودداً

ولقد قطعت البادية بضع مرات بين دمشق وحدود العراق على مقربة من عانة فلم أشاهد
الفالج ولا الأ ولاد الناتجة من الفالج والعربي لأن هذه يكون كلها او معظمها ذوات سنامين ،
ونستبعد استعمال مثل يزيد لها . ولهذا نرجع مع صاحب المعجم الحيوان ان لفظة البجرب
كانت تطلق ايضاً على بعض سلالات الايل العرب كما حقه .

وأظن ان المعجم على كبره لا يحوي اكثر من الف نوع ونيف (وهو ما وضع اجدادنا
له اسماء) مع ان دوحه الحيوان اليوم تحتوي على مئات الألوف من الأنواع ولا سيما
الحشرات فالمعجم يكاد يكون خالياً منها على حين ان فيها نحو مائة نوع على الأقل
اشتهرت بما توقعه من الأضرار في النباتات الزراعية ومن المفيد ذكرها وتسميتها باسماء
عربية وهو ماقت به في المقالة التي تنشر في العدد التالي .

ولفت نظري ايضاً ان العلامة امين باشا اعمل في المعجم الاسماء الفرنسية للحيوانات
مع انه كان ذكر كثيراً منها يوم نشر المعجم في المقتطف . وهذا لا يسر الذين تعلموا في
مدارس فرنسية - ولعل ضيق الوقت المحدد للطبع جعله يقتصر على الاسماء اللاتينية
والانكليزية دون الفرنسية . وضيق الوقت جعله يسو ايضاً عن ذكر بعض الاسماء
في اما كتبها فلفظة البخت مثلاً لم اجد لها في الفهرس العربي كما انني لم اجد لفظة (Otis)

(١) الفرقد نبات يكثر حول الفرات وهو باللاتينية (Nitaria tridentata) .

اللاتينية في مكانها وهي تبدل على جنس الخبارى مع انه لم يسه عن ذكر البخت ولا الخبارى
امام الامم الانكليزي . وهذه الهنات الطفيفة لا تقدر بهذا المصنف الخالد ، اثناب الله
المؤلف على ما بذله من جهد مضم في خدمة اللغة العربية .

مصطفى الشهابى

✽ أمالى ابن الشجرى ✽

هو الشريف ابو السعادات هبة الله توفى سنة ٥٤٢ هـ ولم يبق بعد علماء اللغة والنحو
الأولين من يشبهه في تحقيق مسائل هذين العلمين اذ كان اماماً مبرزاً فيها وقد قال ابن
خلكان ان كتابه (الأمالى) اكبر تأليفه وأكثرها إفادة . املاه في اربعة وثمانين مجلساً .
وهو يشتمل على فوائد جمّة من فنون الأدب وختمه بمجلس قصره على آيات من شعر ابى
الطيب المتننى . وبين ايدينا الآن نسخة مطبوعة من هذا الكتاب مصححة ومضبوطة بعناية
أحد علماء الازهر (الاستاذ عبد الخالق مصطفى محمد) . وتولى نشره جماعة يرأسهم الشيخ
(عبد الحفيظ سعد عطية) بالازهر نشروا الجزء الأول منه في (٣٨٦) صفحة بلغوا فيه
المجلس التاسع والاربعين . ووعدوا بنشر الجزء الثانى . وطريقة المؤلف في بحال هذا
الكتاب هي طريقة المتقدمين . من علماء اللغة في أماليهم كالمبرد والثعالبي فهو يفتح المجلس
ببيت شعر من كلام العرب أو بآية كريمة أو بمسألة من مسائل النحو واللغة أشكل أمرها
فيشرح كل ذلك شرحاً وافياً ويذكر من الشواهد ونصوص اللغة والأدب ما يستدعيه
المقام . فالكتاب كتاب تطبيق وتمرين لا يستغني عن الاستفادة منه طلاب اللغة والنحو
وكل من أراد الاختصاص في علوم الآداب العربية . وقد اقتابنا المؤلف أحسن الله اليه يجوز
تفسير الكلمة اللغوية بمرادفها من كلام العامة . فانه في بحث حذف لام حرف الجر (على)
الواقعة قبل لام التعريف كراهة اجتماع المثليين فيما حكاه سيديويه من قولهم (ع الماء بنو تميم)
يريدون (على الماء) ومثله قول قطري بن النجاء :

(عبداء طقت ع الماء بكر بن وائل . وعجنا صدور الخيل فجو تميم)

— فسر المؤلف ابو السعادات فعل (طفت) بقوله (قفت) وقد وجد على هامش الأصل مانعه :

«تفسير طفت بفت وهم لأن الطفو علو الشيء فوق الماء وضده الرسوب والقفو تتبع الشيء
الأن هذه الكلمة تخطئ فيها العامة في بغداد فتقول (قفا) أي (طفا) فذكرها (أي
المؤلف) على عادتهم فيها اهـ». والاستاذ المولع بالتعليم والتفهم أمثال ابن الشجري لا يباقي أن
يودع كتابه المملوء فصاحة وعروبة كلمات عامية مادام فهم المغنى يتوقف عليها وغموضه
يتجلى بها فإذا أريد مثلاً أن تفسر كلمة (ثدي) بمرادف يفهمه السامع بسهولة فلا بأس
على مذهب ابن الشجري أن يقال (الثدي هو البر) والبر بكسر أوله وتشديد زايه يستعمله
العامة كثيراً بمعنى الثدي ولا يندري من أين تسرب إلى لغتنا وقد قال التاج في مستدركه
(والبر بالكسر ثدي الإنسان هكذا يستعملونه ولا أدري كيف ذلك) .

المغربي

(كتاب الإفصاح)

«عن معاني الصحاح»

تأليف الوزير ابن هبيرة المتوفى سنة ٥٦٠ هـ طبع سنة ١٣٤٨ هـ بالمطبعة العلمية
في حلب صفحاته (٤٤٨) .

موضوعه الأحكام الشرعية على المذاهب الأربعة في العبادات والمعاملات في مائة
واثنين وعشرين باباً يبين في كل منها ما اتفق عليه وما اختلف فيه بين الأئمة الأربعة وهو
أقدم ما ألف في هذا الموضوع من الكتب المتداولة بين الأيدي في عصرنا كبداية المجتهد
لابن رشد الحفيد ورحمة الأمة للقاتني التتائي والميزان للشعراني . وعبارة الإفصاح بعيدة
عن التكلف روعي فيها جمع المعاني الكثيرة بالكلمات البسيطة مع السلامة من الإفراط
. التفريط في الإيجاز والتطويل . ولا جرم أن الوزير مؤلف الإفصاح هذا عناية بهذا
الموضوع . قدما فيه القدح المعلن ، وبهذا الأقران في ميدانه وجل ، وله كتاب بمعناه أيضاً
سماه الإشراف على مذاهب الأشراف . والوزير ابن هبيرة كان يهتم بكل ما له مساس
بالمصالح العامة . فلا عجب إذا رأيناه قضى معظم حياته وهو يدرس هذا الموضوع الذي خدم
به الأمة الإسلامية جميعاً . ولم يجعل لكتابه الإفصاح هذا مقدمة اكتفاء بما ألفه قبله

من الكتب الجامعة للفروع وادلتها تحرياً للصحة أحكام الفروع التي اقتصر عليها في الافصاح على انه قد يذكر الأدلة في بعض المباحث اذا اقتضاها الحال .

وقد استعمله ناشره الاستاذ الشيخ محمد راغب الطباخ الحلبي بتصديره أو دعه فوائد الكتاب ووصف ما أثر عليه من مخطوطاته وترجمة مؤلفه الوزير ثم ختم تصديره بصورة صفحة الافصاح الأولى نقلاً عن نسختين قديمتين من مخطوطاته احدهما محفوظ في خزانة المكتبة الظاهرية بدمشق والأخرى عن نسخة في خزانة كتب المرحوم العلامة أحمد تيمور باشا . وقد وقع في الكتاب من السهو والخطأ المطبعي ما عسى ان يتلافى في طبعته الثانية كالأشياء في الصفحة الثالثة عشرة وصوابه الأشيرى بالمشاة التجنية وكنصور النخيري في الصفحة الحادية والأربعين والصواب نصير بن منصور وكقوله في اول باب تفرقة الزكاة : إلا أن يقدم منهم أحد والصواب إلا أن يفقد او يعدم منهم أحد فيوفر حفظه على الباقي الخ . وكقوله في الصفحة (٢٩٠) قال الوزير رحمه الله تعالى انه (أي العزل) مكروه عندي لانه جنس من الوداء والصواب جنس من الوداء . هذا ولو رأيت سقم خط المخطوطات التي نقل الاستاذ ناشر الكتاب عنها لعذرته بل لشكرته لما بذل في هذه السبيل من جهد جاهد .

عبد القادر المبارك



النسبة: ١٣٣٩ هـ الموافقة ١٩٢١ م
تشر في دمشق مرة في الشهر

شباط سنة ١٩٣٣ م
الموافق شوال وذى القعدة سنة ١٣٥١ هـ

دمشق :

المجمع العلمي العربي

— «ت» —

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ٢٥٠ قرشاً سورياً
الدفع مقدماً { وفي جميع الاقطار ٦٠ فرنكاً

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

في الداخل ٥٠٠ من السنة الاولى الى السادسة الى كل سنة منها

== ٣٠٠ == السابعة الى الثانية عشرة ==

في الخارج ٦٠٠ == الاولى الى السادسة ==

== ٣٥٠ == السابعة الى الثانية عشرة ==

حفلة تأيين

« امير الشعراء »

— احمد شوقي بك —

لم يكدر قأ الدمع على شاعر النيل حافظ بك ابراهيم حتى فجأنا نعي امير الشعراء
و«عضو» مجمعنا العلمي العربي احمد شوقي بك رحمه الله ، فنكي الجرح ، واشتد البرح .
ولقد اراد المجمع ان يُعرب — باسمه واسم السوريين كافة — عما خامر قروصهم
من الوجد والامسى على الراحل العظيم ، فأقام يوم الاربعين من وفاته (٢٥ رجب سنة
١٣٥١ و ٢٣ تشرين الثاني سنة ١٩٣٢) حفلة تأيين كبرى في ردهته في دار المجمع تحت
رعاية صاحب الفخامة رئيس جمهورية سورية محمد علي بك العابد المعظم شهداها نخاسه
وطائفة من وزراء سوريا وعلمائها واعيانها وجمهور كبير يبلغ الفاً وخمسمائة نفس من فضلاء
البلاد وأدبائها ونحو مائة سيدة من عقائل دمشق وأوانسها المهديات .
فافتتح الحفلة الاستاذ الشيخ عبد الله المنجد بعشر من القرآن الكريم ثم تلاه الاساتذة
محمد كرد علي بك رئيس المجمع العلمي بخطاب موضوعه (حياة احمد شوقي) ثم فارس بك
الخوري (خطاب : فجيعة العرب بشوقي) ثم خليل بك مردم بك (قصيدة : خلود شوقي) ثم
عن الدين بك التنوخي (خطاب : شوقي واللغة) ثم الدكتور اسعد الحكيم (خطاب : شوقي
والمرسح) ثم الامير مطيع الشهابي (خطاب : شوقي والنزعة العربية) ثم شفيق بك جبري
(قصيدة : في ظلال كرمه ابن هاني) ثم ختم الحفلة صاحب الفخامة محمد علي بك العابد المعظم
بكلمة تلاها عنه سعادة الدكتور نجيب بك الارمنازي رئيس الغرفة الخاصة وبعد ذلك
وقف صاحب السعادة محمد سري بك قنصل المملكة المصرية في سوريا ولبنان فالتى كلمة
شكر وها نحن ننشر الخطب والقصائد حسب الترتيب :

﴿ خطاب صاحب الفخامة محمد علي بك العابد ﴾
« رئيس جمهورية سورية المعظم »

أيها السادة

دلت الأمة السورية بما قامت به من إظهار عواطفها يوم فقدتها أعظم شعراء العرب
أحمد شوقي بك على قدرها بعظماء الرجال أقدارهم ، وإنها لا تبكي من المحسنين إلا من تعدى
إحسانهم إلى الجماعة . واي إحسان أعظم من إحسان شوقي حسن هذا العصر .

ليست النجينة بأمير الشعراء خاصة بمصر ، بل خطبه خطب كل أرض عربية ، لأن
شعره كان من الشعر الشريف بمقاصده ، يدعو الناس فيه إلى الخير ، ويجمع بحكمته
الاهواء المتفرقة . وبه طالما أدب وأطرب وأعجب ، وتنطوي كل نعمة من نعماته على
ما يأخذ بمجامع القلوب والعقول .

أذكر لشوقي منبتين في جملة المزايا التي تحلى بها : غرامه بصناعته ، وتفانيه باتقانها .
عرفت منه هذا يوم كنا في سن الطلب نلتقي العلم في معهد واحد في باريس ، وصكنا على
اتصال وثيق على ما يكون الترب مع تربه . وكانت من رفاقنا من يعترض على شوقي
لصرفه الأوقات في نظم الشعر ، ولكن الشاعر المبقر ما كان يبالي بالاعتراض ، بل
هو على الدوام يتقن شعره ، ويدرس ويمعن في درسه . وما كان ينظر بالبال أن هذا الفتى
المصري الذي كان يتلهم بالشعر في صباه ومسائه ، فيجمل بين جنبه شاعراً استطبق
شهرته الشرق والغرب . وتبكي لنبوغه اليوم الشعوب العريضة جمعاء ، لأنه أرواها من
منهل يئانه العذب نحو خمسين سنة ، وعليها من علمه ما لم تعلم ، وأسمها وترأ جديداً وتلمينا
تغريباً ، فكان في عمله المجد الخالد له ولأمته .

كلف شوقي بالشعر وكلف بتجويده ، وبثقافته العالية التي تلقاها في مصر وفرنسا ،

وبطول تجارية وبعد نظره ، شرف فنه كل التشريف ، وكان كثير من ينظرون الى الشاعر نظرم الى طالب عطاء لاشأن له الا ان يعيش من الصدقات لامن كدته وجدته . ولقد كان من ظهور مثل محمود سامي باشا البارودي واسماعيل باشا صبري اول المجددين لحياة الشعر بمصر ثم نبوغ شوقي وحافظ ، ان دخل الشعر في طور جديد حبيب الى القلوب . وما غزل الشعراء المحدثين وسبغ طليعتهم شوقي الا صورة أخرى غير الغزل الذي كنا نستظهره ايام الصبا . وكذلك مديح شوقي هو غير تلك الاماديح المبهودة لانه يرمي الى غاية نبيلة ، منها بعث الهمم الخاملة ، ونهج طريق الخير للعالمين ، وهكذا يقال في جميع أوضاع شوقي وموضوعاته .

ما أظن بيتنا احداً لم يطرب لقصيدة شوقي التي يقول في مطلعها :

خدعوها بقولهم حسناء والغواني يغرن من الثناء

هذه القصيدة الفريدة التي رواها ووعاها كل من يحب الشعر والموسيقى ، نظمها شوقي في باريز ، وهو في التاسعة عشرة من عمره . فان كان في تجويده الشعر على هذا الطراز وهو فتى يافع ، فالى اين ياترى بلغت به مواهبه السامية ، وماذا فتحت عليه قريحته الوفادة في دوره الاخير ، وكان كل يوم يتعلم ما يقبني للشعر ، وهو ابداً يبالغ بالتأني في معانيه ومبانيه . وليس من المستغرب بعد ذلك ان اقبلت عليه الدنيا ، فعاش يجده مرفهاً منعماً ، ومات عزيزاً مكرماً .

نعم كان شوقي مغرمًا بالشعر ، مغرمًا ياتقانه ، وهذا ما نتمناه لابناء بلادنا ، بل نتمناه كل وطني يهتم لارتقاء أمته . نتمنى ان يحب كل انسان صناعته حباً جماً ، ويجد في إتقانها حق الإتيقاف . علماً منا بأنه متى كثر مثل هؤلاء الأفراد في كل قوم فهناك السعادة ، وهناك النعمة ، وهناك الحضارة ، وهناك الخير كل الخير للبلاد وما كثرها . ولا راحة قليلة الا بعد تعب كثير ، وما كان الخامل كالعامل ، ولا الجاهل كالعالم والله لا يضيع عمل عامل .

ومن الغريب في سيرة شوقي انه ظل على الإيجادة الى آخر ايامه ، ما غيرت السنون من روائ شعره ، بل زادته متانة ورقة ، خلافاً لعادة أكثر الشعراء في الدهر الغابر والحاضر . فقد رأينا الشاعر الافرنسي كورنيل يضع في شبابه أجمل رواياته التمثيلية ،

وبها خلد اسمه في تاريخ آداب الفرنسية ، مثل رواية السيد واوراس وسينا وبوليوكت .
ولما شاخ شاخ شعره ، وحاول ان يضع روايات أخرى ، فلما أخرجها للناس لم يكن لها ذاك
القبول الذي كان لقصصه في الشباب . هذه هي القاعدة المطردة في الشعراء على ما أرى
أما فابقتنا فشدت عنها ، وابدع وامتع .

شوقي ياسادتي مثال مجسم من النبوغ الشرقي ، تكبر فيه عنايته بصناعة الشعر ،
وجعله منه أداة للنهضة ، وسبيلاً إلى التهذيب والتربية . وأنا لندرجو ان يكون لأمتنا
من تراثه الثمين ما تستعين به على تعليم ابنائها وبناتها ، وإذا فجعنا بفقد الرجل الخالد فعزأؤنا
فما تعلمناه من أدبه ، وفيما سنتناقله الايام من أدبه ونظمه ، ويدعو كل عربي
لصاحبه بالرحمة .



❖ حياة احمد شوقي ❖

«للاستاذ محمد بك كرد علي رئيس الجمع العلمي العربي»

حدثني امير الشعراء احمد شوقي بك ان اصل جده لايه وجد العلامة احمد تيمور باشا من اكراد الجزيرة ، هبطا مصر في سن الصبا يحملان وصاة من احمد باشا الجزار والي عكا الى محمد علي باشا والي مصر فضمهما الى جملته ، وابانا عن ذكاء ومضاء وامانة فنبلا ونسلا . وجد والدته شوقي تركي الجنس اسمه احمد بك النجده لي (ولعله النيكديلي) جاء من الاناضول فاستعمله والي مصر ابراهيم باشا في حكومته ، ثم زوجه بمعتوقته قمرار وهي يونانية امرتها الحملة المصرية من بلاد المورة ، وكانت في العاشرة من عمرها ، ونشأت في القصر العلوي وكان لها بأخرة مكانة بين اهله . وقمرار هي التي كفلت شوقي فأحسن كفالته ، وكان لها اثر في تربيته ، ولما مضت لسبيلها في التسعين من عمرها رثاها شوقي وندبها . ويقول شوقي عندما ترجم لنفسه انه عربي تركي يوناني چركي يبدته لايه ، اصول اربعة في فرع مجتمعته تكفله لها مصر كما كفلت ابيه من قبل فهو من حيث دمه سامي آري باثني .

ولد في القاهرة في سنة ١٨٦٨ في بيت عز وثمة ، ولما ترعرع دفعه ذوهه الى الكتاب ولم يتجاوز الرابعة ، ومنه انتقل الى المدرسة الابتدائية فالثانوية ، وتخرج في العلوم العربية باستاذة الشيخ حسين المرصفي صاحب الوسيلة الادينية ، ثم التحق بمدرسة الحقوق فدرس سنتين ، ودرس فن الترجمة فأحرز شهادتها . وكان في خلال الدراسة ينظم بعض القصائد في مدح الخديوي توفيق باشا فمنحه مشاهرة حتى يتم تحصيله ، وارسلته الحكومة المصرية الى فرنسا ليحكم الحقوق ويطلع على ادب الفرنسيين . ولما رجع الى مصر عين رئيساً للقلم الافرنجي في ديوان عباس حلمي باشا الخديوي السابق ، وظل في هذا المنصب حتى نشوب الحرب العامة فارادته السلطنة الانكليزية على الخروج من مصر فاختار

المقام في اسبانيا ، وعاد الى القطر عقب الهدنة لينصرف الى ادارة املاكه ، وفي سنة ١٩٢٤ عين عضواً في مجلس الشيوخ .

هذا شوقي من حيث المادة ولم يرزق مالم يصل اليه غيره ، فان مئات من الشبان مثله يدخلون المدارس ، ويستمتعون بطيب العيش ، ويعتقون انهم يتربون ، ويعاشرون ارقى الطبقات ، وتدر عليهم الدنيا اخلاف الرزق ، ويشرفون بالرتب والمناصب والوسمة ، ولكن لا ينبغي كمشوقي ، ولا يعملون عمله ، ولا يخلدون خلوده . ذلك لان الفاطر اودع فيه سرّاً لم يودعه غيره من ابناء العربية ، وخلقه شاعراً يستجمع ادوات الشعر . واستوفى اسباب محاسنه ، وصعبت مساماته في اخيلته البديعة وبنائه الرائع .

لم يخرج شوقي على اساليب العرب وقوالهم في شعره ، بل رعاها كلها وحرس على احيائها ، وزاد في موضوعات الشعر بلجداً المعاني الجديدة في قصائد مديحه ، وفي تشبيهه ، يطالع الناس بطريف من القول ، ويلبس الشعر حلة العصر ، وقد تقل لأول امره قصصاً منشورة ما علت كثيراً عن مستوى القصص المتعارفة بأسلوبها وبلاغتها . ثم الف واحتذى حكايات للاطفال فاستجادها الناس واستظفروا فتيان المدارس .

واعتذر عن نظم المديح فقال انه لم يجد امامه لأول نشأته غير دواوين يلموتى ، لا مظهر فيها للشعر ، وقصائد للأحياء يحذون فيها حذو القدماء ، والقوم في مصر لا يعرفون من الشعر الا ما كان مدحاً في مقام عال ، ولا يرون غير شاعر الخديوي صاحب المقام الاسمي في البلاد ، فما زال يمتنى هذه المثلة ويسمو اليها مخلصاً في حب صناعته ، صائناً لها عن الابتدال حتى وفق الى ما اراد . ولذلك أنفق معظم مديحه في الخديوي عباس ، ووفى له وهو صاحب الشأن الاول في مصر ، فكان يوالي من والاه ويعادي من عاداه ، وكذلك كان على الوفاء له بعد ان اعتزل الحكم . وقد نظم قصائد في حسنات محمد علي واسماعيل والسلطان حسين كامل وجلالة الملك فؤاد الاول الى غيرهم من آل محمد علي ممن لم يجد حرجاً في التنويه بهم ، وأشار الى اعتزازه بيت محمد علي بقوله :

أخوت اسماعيل في ابائهم ولقد ولبت آيات اسماعيل
ولبت نعمته ونعمة يتيه فلبست جزلاً وارنديت جميل
ووجدت آباءى على صدق الهوى وكفى بآباء الرجال ذليلاً

وقال في مدحه احد أعيان القبط دفاعاً عن مذهبه في الاشادة بالمناقب :

يظهر المدح رونق الرجل الما جد كآسيف يزدهي بالصقال
رب مدح أذاع في الناس فضلاً وأناهم بقدوة ومثال
وثناء على فتى عمّ قوماً قيمة العقد حسن بعض الآلي
انما يقدر العكرام كريمة وبقيم الرجال وزن الرجال

وفي الحق ان أماديج الشاعر انطوت كعمامة موضوعاته على حكم وأغراض اجتماعية وأخلاق وتربية ، واشارات تاريخية وفلسفية وأدبية . أما المسائل الوطنية الكبرى التي تستهوي قلوب الناس ، فما كان يخوض عباها الا بالقدر الذي لا يخرجها عن الرسميات ، لأنه كان مضطراً بحكم عمله ان لا يخرج مقام مولاه مع المحتلين ، ولا يقول الا ما يروقه من عامة نواحيه . وكان محيطه وهو من عمال البلاط الخديوي مشبعاً بروح الرسميات ، وهو على اتصال دائم بالاجانب من رجال السياسة والمال والأدب والفن ، فخذق بذلك مداخل السياسة ومخارجها وأوامرها ونواهيها . وغريب في شاعر هو أسير خياله والهامة في ليله ونهاره ، ان يخضع مختاراً لهذه القيود والتقاليد ، ولكنه لولا ذل الخدمة أعواماً طويلة ما ذهب الشاعر بهذا الغز ، والعز في الشرق ينبعث عن طريق صاحب السلطان ، والناس لا يرون فوق ذلك مظهرآ .

ثم ان اتصال مصر بالصلة الرسمية مع السلطنة العثمانية ، وغرام المصريين يومئذ بالعثمانيين والخلافة ، دعا الشاعر الى ان ينظم عدة قصائد في مدح السلطان عبد الحميد الثاني ، كما مدح بعض الأعيان ممن كانت لهم صلة به ، او منزلة في المجتمع أمثال مصطفى كامل ومحمد فريد وسعد زغلول وعبد الخالق ثروت ، وان لم يشاركهم في دعاياتهم وأحزابهم ، بل كانت مشاركتهم لهم في مصيرتهم وقوميتهم فقط . وكان من دواعي التنويه بهم بحارة الرأي العام . وقد يحيش صدره في موضوع ويردّه عن ورود حوضه مقامه في الدولة ، كما وقع له ان قال من قصيدة يخاطب بها قبط مصر ، يوم هاجوا لمقتل احمد رجالم بطرس غالي باشا ، فقال يخاطبهم وهو مما لم ينشره في حياته :

بني القبط إخوان النهور رويدكم هبوه «يسوعاً» في البرية ثانيا
حملتم لحكم الله صليب «ابن مريم» وهذا قضا الله قد عال غاليا

قضاء و مقدار و آجال انفس اذا هي حانت لم تؤخر ثوابها
نبيد كما بادت قبائل قبلنا ويبقى الأنام اثنين : ميتاً و ناعياً

بنا من أوائل قصائده التي خرج بها عن مألوف الشعراء ملحمة التي ألقاها في المؤتمر
الشرقي في جنيف عام ١٨٩٤ وكان مندوباً فيه عن الحكومة المصرية ، أتى فيها على تاريخ
والطبيخ الميند عرف إلى اليوم ، وضمنها حكماً وعبراً وسياسة ، ومنها قصيدته الكبرى
تسليخ نهمج البوراء ومدح بها الرسول على طريقة البوصيري وعرض فيها لما صح من معجزاته
وأياته بلطالوب محصري ، خال من الشوائب . ومن قصائده ملحمة في وصف الحرب العثمانية
اليونانية . ومن بدائعه سينيته في الاندلس التي عارض فيها سينية البحري في وصف
إليوان بكسير على ، وفيه قصيدة في معارضة قصيدة ابن زيدون المشهورة إلى ولادة ،
وهو مشتمل في صنو قوليلش ، نسج في هذا على منوال الموشحات الاندلسية . وكثيراً ما كان
يتحدث عن التاريخ والاعتقادي من الشعر وأبو تليخ . وله عشرات من القصائد في موضوعات
القبائل والدينية والأشكال الاجتماعية مختلفة مثل الهجرة النبوية ، توت فتح آمون ، ذكرى
مكرثافون ، وفي هذه القصيدة الإبداعية ، كتبت قصيدته في مسجد اياصوفيا ، على سفح الاهرام ،
إلى ما ملك ، في مشيوع مائز ، لا فير يور ، جنسها البيغور ، وكان في هذا العناية ، أنس الوجود ، طوكيو ،
بجيف ، في مائة مائة ، الكونكوري ، في مائة مائة ، في مائة مائة ، في مائة مائة ، على قبرنا بليون ،
الاندلس الجديدة ، أو تليطاطي اليس ، في مائة مائة ، في مائة مائة ، في مائة مائة ، في مائة مائة ،
حوادث ملنل و مائة مائة ، في مائة مائة ، في مائة مائة ، في مائة مائة ، في مائة مائة ،
ومدح الالالالاصحابية الخلافة المملوكية ، في مائة مائة ، في مائة مائة ، في مائة مائة ، في مائة مائة ،

فلما قضى على الخلافة تأثرت نفسه فعاتبه ، وهنا انقره ان اصبح عاصمة وكان مجباً بفروق ، ولطالما ردد آيات جملها . كل اولئك تغنى به وندبه ، بذقة طويل وابداع غير قليل . وتراه على الغالب يرسم الصور الجميلة ، ويترك لغيره ما وراءها ، علماً منه بان الشعر شعر مها حمل من الحقائق ، ويعتبر للشاعر مالا يعتبر للناقد المؤرخ : ولو تم لشعره ان نقل الى احدى لغات العلم الحديث نقلاً صحيحاً لسقط فيه الغربيون على ابتكارات وغرائب قد تروقههم ، كما راقهم ديوان عمر الخيام لخروجه على المؤلف وانيانه بالجديد احياناً .

قال بعض من ترجموا لشوقي انه تجامى النخول في بعض المسائل الاجتماعية الكبرى من مثل مسألة المرأة ، فلم يرسل عنان فكره في اصلاحها ولم يعم في نصحتها وارشادها ، بل شفق عليها لما رأى بعض أغنياء مصر يتزوجون في سن عالية فتيات الاشتانة يطمعون بهن بالمال على غير كفاءة بين الزوجين ، ويترك المصري زوجته واولاده . ولعله ازاد ان لا ينغص على المرأة عيشها ، وحافظ على عادات لا يرى الاقتراب من تزعمها ، وابقى هذا الموضوع للزمن يختصر فيه رأس غيره ، فيواجه وحده صعبه ، وليس من المحتم على كل شاعر ان يعاني كل شأن من شؤون العالم ، على ان جريدة اعماله في الشعر طويلة ، ربما كان يحسن اختصارها ايضاً ، ويضاف الى هذا ان المروء من خالقه التلطف مع كل احد ، فلا يرى ازعاج غيره ولا نفسه ، بل يكتفي بأن يعظ وينصح ويسلي ويطرب .

لا جرم ان الشعر انتقاد باعتته لشوقي . واسلس له قياده اي اسلاس ، وما كان يعجز عن لباس كل معنى اللباس الذي يحاول ان يكسوه به . وهو نسج وحده غيره مدافع ولا منازع ، وقد سهلت عليه منافذ النظم ، بقدر ما تنقف من ادب القدماء ، وجنى من تراكيبيهم واحيى من الفاظهم ، وما لقف من علم المحدثين ، وأخذ من معانيهم وأغراضهم . ومن اهم ما عناه شوقي بعد عودته من الاندلس ، وقد تحرر من رق عمله ، ونامت فيه النزعة السياتية قليلاً ، تأليف روايات مسرحية صنف بضعاً منها بشعره المرقص واسلوبه الزفيق ، ليكون في العرب بمثابة شكسبير عند البريطانيين . ونظم مقاطيع في الغزل مؤنثة ومذكورة ، وجرى تلحينها فخدم بها الموسيقى ، وأدخلت في اسطوانات الحاكي ، فسمعها ووعاها ابن القاصية والدانية . وهذا مما لم يكتب لشاعر عربي قبله . واثبت بقصصه ومقاطيعه وملاحمه ان اللسان العربي بل الشعر العربي لا يضيّق ذرعاً بكل المعاني والصور القديمة

والحديث ، وانه يصلح لا كبر الملاحم صلاحه للابداع في اليتين والثلاثة ، على شرط ان يكون الشاعر متمكناً من لغته ويتسع له أفق النظر بما تلقفه من المعارف اللازمة . ولقد خدم برواياته المسرحية فن التمثيل ، وبمقاطيعه الملحنة خدم الموسيقى ، وبجمال خياله ، واشراق ديباجته ، وانتقاء الفاظه ، برز على كثير من المشار اليهم بالبنان من انقضاء .

هو يرتجل الشعر اذا اراد ، ولكنه يؤثر ان يجوده قبل ان يخرج له للعالم ، ويختار للنظم في العادة المزيج الثاني من الليل ، وقد رقدت العيون وعم السكوت والسكون ، كأن الزهرة ربة الجمال لا تتجلى له فتجلى عليه الا في تلك الساعات الهادئة . ويقول فيه صديقه وعشيرته خليل مطران بك انه ينظم بين أصحابه ، فيكون معهم وليس معهم ، وينظم في المركبة وفي السكة الحديدية ، وفي المجتمع الرسمي ، وحين يشاء وحيث يشاء ، ولا يعرف جلسه انه ينظم الا اذا سمع منه بادي بدء غمضة تشبه النغم الصادر من غور بعيد ، ثم رأى ناظره وقد يزق ، وتواترت فيها حركة الحجرين ، ثم بصير به وقد رفع يده الى جبينه وأمرها عليه إصراراً خفيفاً هنيئاً بعد هنيئة فاذا قوطع في خلال النظم انتقل الى أي حديث ، يباحث فيه حاضر الذهن صافيه ، جميل البادرة كعادته في الحديث ، ثم استأنف ذلك المنظوم ولو بعد ايام طوال ، وعاد اليه كأنه لم ينقطع عنه مستظهِراً ماتم منه ، حافظاً لبقية المعنى الذي يضمه ، يكتب القصيدة بعد تمامها وربما نسيها شهراً ، ثم ذكرها فكتبها في جلسة واحدة .

وقال انه يكلف أحياناً بمعارضة المتقدمين ولا يندر عليه ان يبتدئ ، لا يجهد فكره ولا يكده في معنى أو مبنى ، فأما المعنى فيجيشه على مراده ، أو على أبعده من مراده ، ولا ينضب عنده ، لانه يستخلصه من عقل فوار الذكاء ، ومعارف جامعة الى أفانين الآداب في لغات الافرنج والعرب : فلسفة حقوق ، حقائق التاريخ ، وغرائب السير التي يحفظ منها غير يسير ، الى مشاركات علمية ، وتنبيهات فنية ، استقفاها من مطالعته صنوف الكتب ، واتخذها من ملحوظاته ومسموعاته في جولاته بين بلاد الشرق والغرب . وأما المبنى فله فيه أذواق متعددة بتعدد مقامات القول ، ترى فيه من نسج البحري ، ومن صياغة أبي تمام ، ومن وثبات المتنبي ، ومن مفاجآت الشريف الرضي ، ومن مسلسلات مهيأ ، وفي المجموع تجد صفة عامة للنظم ، وهي انه من نظم شوقي ، ذلك شعر البقرية والتفوق .

ومن جميل بديهته المطواعة ما شهدته منه ليلة تكريمه في المجمع العلمي العربي ، فقد نظم قصيدة ثم أبطلها لانه ما ارتضاها ، ونظم سيفي الحال غيرها بحضور من أصحابه في دار نخري بك البارودي ، وأجمع العارفون بالشعر انه لم تمدح دمشق بمثل هذا اللسان ، ذلك لان الشاعر مدحها بل رثاها ، متأثراً بغابرها وحاضرها فبكى واستبكى . وقصيدته في الثورة التي خاطب بها دمشق وقصائده في لبنان تذوب كلها عذوبة وسلاسة ، سارت في البلدان على كل لسان . ومن أمعن في شعره المنشور المتداول ، يوقن ان شوقي كان يحب الشام كما يحب مصر ، ويعشق الترك كما يعشق العرب ، ويعطف على المسيحيين كما يعطف على المسلمين ، ويعجب بالمدنية الغربية كما يعجب بالمدنية العربية ، ويحنو على الانسان والانسانية ويدعو باعتدال الي الكمال ، ويردد ابدأ ذكرى الاسلام والمسلمين ، وعلى معظم قصائده تتجلى مسحة جميلة من هذا المعنى تستهوي أفئدة الخاصة والعامة .

نشر شوقي خلال هذا العام كتاباً في النثر أسماه « أسواق الذهب » جرى فيه على نمط « أطواق الذهب » لزمخشري و « أطباق الذهب » للافطاني وقصد من تقليدهما في كتابيهما باسمهما ورسمهما ، ان يقول انه عزَّ عليه ان يقطع مع عهد الأتباع ، وشاء ان يقول وهاكم أكبر شعراء العصر يقوم على احتذاء مثال الاقدمين في منشورهم ، يتصره على الحكم العملية الجميلة لا على الزهد المضعف للنفوس ، وأكثر مبيعات هذا السفر مرصعة موزونة ، ومنها ما جاء شعراً مقفى على غير قصد ، ومنها ما جاء مع الطبع وعفو الخاطر وهو قليل ، وأجمل ما في أسواق الذهب هذا الجزء اللطيف من حكمه المرسلة التي أوردتها في آخره وفيه زبدة تجاربه وعنوان أدبه البارع .

وهناك ظاهرة غريبة في معاناة شوقي للشعر ، وهو انه بقي يجيده ايام الهرم على نحو ما كان يبدع هذا الابداع النادر في كهولته وصباه . ومن العادة ان ينقطع الشاعر في الشيخوخة عن قول الشعر ، اما نابغة الشعر العربي فكانت على مثال بعض المعمرين من شعراء الافرنج أمثال كيتي وهوغو ممن بلغوا سنّاً عالية وظلوا ينتجون أجمل إنتاج ، وما عاقبتهم مراحل الأعواء التي قطعوها عن السبق في مضمار الإجازة ، بل كأن الشيخوخة فتحت أمامهم كل مغلق من أبواب القريض ، فصار نظمهم طيعة ثانية فيهم ، وكما أسنوا عرفوا كيف يصلون به الى مراتب الأحكام والإطراب .

لاحظت عيون السعادة شوقي منذ صغره الى ان شبّ وشاب، فما اهتم منذ وعى على نفسه بشيء من هموم الدنيا : أضاع والده ثروة جده فعاش شوقي مع هذا موسعاً عليه ، تفتح أمامه الطرق الصعبة بذكائه ولطيف حيلته ، وقد بسمت له الدنيا فارتاش وأثري .
وقل ان كتب لشاعر عربي في المحدثين والأقدمين مثل غناه ورفاهيته ، اللهم الا ما يروي عن بعض شعراء الانكليز وكتابتهم اليوم وعن طاغور شاعر الهند . وفي القصر الفخم الذي بناه في الجزيرة ودعاه كرمة ابن هاني مثال من هذه النعمة السابغة . نال المنصور لمن استنحه (البلاغة والغنى اذا اجتماعا لا مريء أبطراه) يبدان شاعرنا لم تبطره ، وعرف كيف ينفقها .

وكان على نعمته صاحب ترتيب في كسبه وعطائه ، يحاسب غريمه حساباً مدققاً ، وينزل عن مال كثير ينفق على الادباء والشعراء وأرباب البؤس . وقد رأيناه مع شدة حرصه على خدمة الفن حباً بالفن ، لم تسمح نفسه ان يتساهل مع مديري الجوقات فأغلى ثمن رواياته المسرحية ، وتقاضاهم أكثر ما يكون من أجر ، انهم — كما قال لي بصراحة — احترام الأدب فيؤدوا لأهله بعض قيم قرائتهم ، وكثروا من قبل يعيشون بهضم حقوق المؤلفين . ومن شدة كلفه بالبلاط أحب ان يستأثر بهذه الخدمة لا يشاركه فيها أحد ، ولذلك حاول ان يحول بين البلاط وبين من أراده أو أراد التقرب منه .

تمتع شوقي بطيب العيش طول عمره ، وتهناً بالنعيم فلم يفلت منه شيئاً ، وتذوق مباحج الحياة تذوق شاعر عملي قدّر له ان يحقق الخيالات ، ويجعلها قيد حسه ، دانية من نظره .
وأحسن الانتفاع بشعره ، ونهج السبيل للعرب ليعجبوا بما يقول ويتداولوه ويتدارسوه .
وأكثر نقاد الشعر ورجال العلم باللغة والأدب وفي مقدمتهم أستاذنا العلامة الشيخ طاهر الجزائري ، يجمعون على انه لم يرق بين أبناء العريضة منذ عهد المتني والبحري وأبي تمام ، أسلم ديباجة ، وأمتن لغة ، وأرق عاطفة ، وأجمل خيالاً ، وأشرف مزجاً ، من شاعري مصر في هذا العصر شوقي وحافظ ، أجزل الله ثوابهما .

وصف الأمير شكيب أرسلان شعر شوقي الذي كان شعره خلال خمسين سنة مجدداً للشعر والعرب والشرق فقال :

يتمثل العصر الحديث بشعره حق التمثيل من جميع جهاته

ولرب بيت يستقل بجملته	تغني عن التاريخ في صفحاته
لم يفتن من عصره بمساوي	كلاً ولم يغمطه من حسناته
ما حلّ بالاسلام حيف مصيبة	إلا وكان بها لسان شكاته
كانت قصائده هي الصوت النبي	سرى عن الاسلام ثقل سباته
بعثت به روح الحياة كأنها	هي صور إسماعيل في زعقاته
قد كان أدرى الناس بالداء الذي	قد حط هذا الشرق عن صهواته
داء هو الاخلاق في اضمحلالها	فلذا ترى الاخلاق رأس وصاته
أشعاره تحي وتحي أمة	تجد الحياة الحق في كلماته



﴿فجيعة العرب بشوقي﴾

« وإمارة شوقي على الشعراء »

— للاستاذ فارس بك الخوري —

كلنا يذكر أخبار تلك الحفلة التاريخية التي شهدناها منذ بضعة أعوام في مصر القاهرة نخبة مختارة من أدباء العرب وشعرائهم وعقدوا فيها لواء إمارة الشعر لأحمد شوقي وكيف تلقت الأقطار العربية هذا النبأ بالغبطة والارتياح .

وإذا كانت فئة قليلة من أعلام الأدب العربي في مصر والعراق والمهجر قد انكروا هذه البيعة وزعموا أن الرجل غير أهل للمنزلة العالية التي برأه إياها فريق من أصدقائه المعجبين بشعره فإن القطر الشامي كان باجماع حملة الأقلام فيه موافقاً على إقامة أحمد شوقي أميراً للشعراء ومقرراً له بالجدارة والاستحقاق لاحتلال هذا المقام الذي لم يكن بين شعراء العصر من يجزأ أن ينازعه إياه أو يزاحمه عليه . كما كان المعارضون أنفسهم يقفون واجمين عندما يقال لهم إيتونا بمن هو أجدر منه أن كنتم صادقين .

وكان تلك المشاغبات الخفية والأصوات الضعيفة التي كانت تسمع بين حين وحين من الناقدين الناقمين كانت لها عند شوقي ما يكون لمثلها عند أصحاب النفوس الكبيرة والأخلاق النبيلة فلم يقابلها بالجدل العقيم والنقاش الذميم ، ولا تصدّى لنقد شعر خصومه ، وتفنيد مزاعمهم ، ولا عمد إلى المشاحنات والمهازات بل اتخذ من الشعر وسيلة ناجعة ليحجج المكابرين ويقنع غير القانعين بأنه صاحب الحق البارز بإمارة الشعر ، فكان يطلع على الناس كل يوم براءة جديدة من روائع قريضه ، ويقدم لهم حجة أصرح ودليلاً أوضح على أنه أمير الشعراء غير منازع ولا مدافع ، يريهم غبارهم ويدعوهم للحاق به ، أن كانوا يريدون النضال حتى بلغ ما جادت به قريحته الفياضة في خمسة أعوام بعد البيعة أضعاف ما أنتجته في الأربعين عاماً قبلها . وأخذت أصوات الإنكار تخف وتتلأشى حيال تلك

الجماليات الجبارة والكبرات القهارة التي توالى بلا فاصلة وفي كل منها من تقاسة الأسلوب وبدائع الابتكار مما لا يدع مجالاً للمكابرة والإنكار ، خرج شوقي من المعركة ظافراً وعاش هذه السنوات الأخيرة من حياته المباركة وهو متربع في دست الامارة بلا منازع مستوياً على عرش الأدب العالي محاط بالتكريم والإجلال .

لماذا اجمع العرب في هذا العصر على تلقيب شوقي بأمير الشعراء ، ولماذا خصوه به دون غيره من فحول القريض ؟

انظروا الى الشعر العربي قبل هذا العصر وما كانت اهدافه وأغراضه . هل كانت فيه غير المديح والرثاء والنسيب والمهجاء والفخر والدعاء .

انه كاد يكون خالياً من غاية التعليم والارشاد ، وتنبيه الامة الى مواطن الضعف في عاداتها وأخلاقها ، واحياء النعرة القومية في نفوس ابنائها ، وتوجيه ميول الشعب نحو الوحدة العربية واصلاح الفاسد من المناهج الاجتماعية ، وقلماً تجدد فيه شيئاً من الاغراض السياسية العالية الرامية لاستنكار الظلم والتخريض على الظفافة الظالمين ، ودعوة الامة للنهوض من كبوتها ، واليقظة من غفلتها ، وتذكيرها باجسادها الفاسدة ، ومفاخرها العابرة . الى ان جاء عصر شوقي وهو في طليعة حملة اللواء يبعث في العرب روح الحرية ، ويدعوها الى ما هي بحاجة اليه من فك القيود ونفض غبار الجود واعداد العدة لهذا الكفاح العمراني الصعب المراس ، فكانت قصائده السياسية والاجتماعية اشد حافزاً للعرب للتنبيه الى ما يكاد لم ، والاستعداد لاحباط ما يراد بهم .

وكان الأدب العربي خالياً من الشعر القصصي خلواً ينكره علينا ناقدو الغرب الى ان جاء شوقي وسد هذه الثغرة فوضع قصة كليوباترا ومجنون ليلى وعنترة بأسلوبه الرائع ، واستن لشعراء العرب سنة حسنة رفعت الشعر العربي الى المستوى الموفور الجانب .

فلا ريب اذن ان البيعة التي احرزها شوقي بالحق والانصاف لا تنحصر بالامارة على الشعراء المعاصرين ، بل تتعداها الى من سبقهم في العصور الماضية . فيعد ان استقامت له هذه الامارة على شعراء القرن الرابع عشر للهجرة لاغزو في امتدادها الى شعراء القرون السالفة ، اذ ان هذا العصر الذي عاش فيه شوقي قد ازدهرت فيه دولة الادب في المنظوم والمنثور ازدهاراً لم تعهد له هذه اللغة مثيلاً في تاريخها الماضي ، بما اعتدق عليها من شيق النثر والشعر

في الاجتماعيات والآداب والفنون وسائر ضروب معاش الناس حتى اذا دعونا عصر اللغة الذهبي لانكون مغالين .

لا اظن احداً يرتاب في حقيقة التفوق الذي احرزه شعراء هذا القرن على شعراء الف سنة قبله اذ ان الشعر العربي منذ مطلع القرن الخامس للهجرة بدأ فيه عهد التراخي والانحطاط في مهب متدارج، الى ان تولاه الجمود واذعن لعوامل الانداس التي اجتاحت بضعة قرون لم يظهر فيها الا تزر يسير من المقلدين الضعاف في مذاهب التصوف والمدح والنسيب . وبعد ان انصرم عهد ابي تمام والمتنبي والبحتري والشريف الرضي وابي العلاء المعري لا تعود نعت في تاريخ الادب العربي على اثر للنمو والتجدد الذي هو علامة الحياة ، بل تستشر التقهر والتدني نحو الفناء حتى مطلع هذا القرن الرابع عشر حين بدت بوادر النهضة الادبية الحديثة وكان شوقي مرافقاً لها ومستفيداً من بواعثها السياسية والاجتماعية وحاملاً لواءها في مقدمة الناهضين بها حافظاً لنفسه الزعامة فيها الى ان لبى دعوة ربه ، وهي في أعلى مرتبة عرفها لها مؤرخوها .

اكثر الرجال في هذا الشرق العزيز يبلغون قنة مجدهم ويتكبدون سماء ازدهارهم في عهد شبابهم وكهولتهم ، ويندر بينهم من يستمر في شوطه صعوداً الى دور الشيخوخة والهرم . خصوصاً اذا بلغ الدرجة العليا فوق اقرانه في سلم ارتقائه ، فيتولاه الكسل ولا يعود يرعى به حاجة للجد والعمل ، بعد ان أقر له الناس بالتفوق والتبوغ . ومن أحرز البطولة الاولى في امر ما يبدأ دور تقهره بما يستولى عليه من الفتور بعد بلوغ الغاية على حد قولهم :
اذا تم شيء بدا نقصه توقع زوالاً اذا قيل تم

اما احمد شوقي فقد افلت من هذا القيد ، وشذ عن هذه القاعدة ، وبقيت همته في صعود وقرىحته في نهوض ، غير مبالية بهبوط قواه الجسمية ، وتداعي صحته الغالية ، وغير مغرور بلقب امير الشعراء ، ولا متوان عن اقتحام المشاريع الشاقة بتأليف الروايات الشعرية الكبيرة على اسلوب لم يسبقه اليه احد من شعراء العرب الاولين والآخرين . وهذه معجزاته التي انتجها ذهنه الوقاد بعد الستين تملأ دفات الدواوين وتبعث حياة جديدة في مسارح التمثيل وقاعات الفناء ومجالس الطرب ومحافل الحكمة والأدب .

لو ان غيره احرز هذه المرتبة ربما كان اكتفى بها ، فخطم بعدها اليراع ، واخذ الى

الراحة والدعة ، ونام على الثقة التي نالها بمجدارة واستحقاق ، ولكن شوقي رجل الجند والطموح ، ومثال العزم والاقدام ، يوم اقر له الناس بامارة الشعر ، اقر لهم بالواجب المحتوم ، عليه ليبقي مستحقاً لهذا اللقب وجديراً بالاحتفاظ به ، فكان بعد بلوغه السدة اكثر نشاطاً واجرى بياناً وافعل سحراً منه قبل ان يبلغها ، وازاد الى مجموعة الشعر العربي هاتيك القهف النفيسة التي مدت فراغها ، وشغلت الخالي من رفوفها .

منذ عهد حسان والشعراء يزورون دمشق ، وينعمون باكرام اهلها وحفاوتهم وتقديرهم لاعلام الادب ، كما ان هذه المدينة الخالدة كانت ومازالت منبعاً طيباً لجهاذة المنظوم والمنثور في كل عصر ، ولكننا لانجد شاعراً غير شوقي خصها بالقصائد الخالدة ، والبسها من نتاج خياله العالي حللاً ابقى على الدهر من جنائنها وغياضها . لو جمعنا كل ما قيل في دمشق في هذه القرون الاربعة عشر لما وجدناه يقاس بمقطع واحد من نونية شوقي أو قافيته في وصف امجادها ، واستعراض تاريخها ، وايضاظ الهاجع من ابناء سكانها ، ونخوة ابنائها . فهو قد اضاف الى خلودها في مطاوي التاريخ خلوداً آخر في صفحات الادب العالي والتقريض الباقي ، وكان له من العطف على هذا القطر الشامي العزيز ، والحب لارجائه وقطانه ، ما جعله بعده وطناً ثانياً ويحله من نفسه في مستوى واحد مع وطنه الاول . فاذا اكبر العرب المصاب بمصرع شوقي قبلاد الشام بعد مصر اولام بهذا الاكبار ، واجدرهم بعرفان جميله وتخليد ذكراه بين خنايا الصدور .

يتهمس الناس في من يكون خلفاً لشوقي ويلقب بعده بامير الشعراء ، فهل اخلي شوقي مكانه ليحتله امير آخر ، ان اماره الشعر ليست منصباً ادارياً يتعاقب عليه طلاب المناصب الواحد بعد الآخر ، وانما هي عرش قائم في النفوس والقلوب ، لا يجلس عليه الا من يستحقه ولا فرق بين ان يكون هذا الجالس عليه في عداد الاحياء المعاصرين ، اولاً - حقاً بالاموات الغابرين ، فهو لا يخلي هذا العرش الا لشاعر اكبر منه ، ومتى ظهر هذا الشاعر ينزل له شوقي عن تخت الامارة ، وكما جلس ابو الطيب المتنبي على هذا العرش فخر الف سنة الى ان ظهر شوقي وازاله عنه ، ربما يبقى امداً طويلاً متفرداً بهذه الامارة ، قبل ان يظهر للعرب شاعر يزحزحه عن سدة الجند التي تبوأها .

ولعل الوثبات السريعة التي يشهدها العلم والادب في هذا العصر لن تدع عهد الدولة

الشوقية طويلاً ، ولا بد أن يأتينا هذا الجيل الناشئ بعجائب النبوغ ومعجزات الابداع ،
ويجعل حظ الشعر لا يقل عن حظ غيره من الفنون الجميلة والصناعات النفيسة فينسخ الآتي
آية الماضي .

رب فائل يقول ان الذين لقبوا بشوقي امير الشعراء لم يطلقوا له هذه الامارة على
شعراء العرب كافة منذ نشأة الشعر الى هذا اليوم ، بل ارادوا بهذا النعت انه أشعر معاصريه
فليس له ان يجعله فوق الفحول الاولين من الشعراء ، وتقدمه على المتنبي والبي تمام والبحتري
وبشار والفرزدق وجريز والأخطل وامري القيس وزهير وليد وطرفة وامثالهم من الافذاذ
الخالدين . غير أن الذين نعتوا شوقي هذا النعت ، لم يقيدوه بعصر دون آخر ، بل تركوه
مجرداً عن قيود الاحتراز ، والمطلق يجري على اطلاقه . هذا فضلاً عن ان اصحاب هذا
الاعتراض لا يسهل عليهم ان يأتونا بشاعر واحد من الذين يعدونهم . يرجح احمد شوقي
في كثير من المزايا الشعرية وربما رجحه المتنبي في حكمته وامثاله والمعري في فلسفته وغيرهما
بأمر آخر ، ولكن اين هذا من غزارة المادة وامتداد الشوط وسعة المواضع ، وانطلاق
الجولة في كل فن ، ولو اتسع هذا الافق للتنظير بين شوقي وافذاذ الشعراء الاقدمين واحداً
واحداً ، لما عدنا الدليل على رجحانه ، وتفوقه على كل من سلف . ولا بد أن يتصدى
جمابذة الادب لهذه المقايسة ويأتونا بما فيه الغنية والقناع .

اما الآن فنهدي الى روح شوقي تحية قومه العرب الميامين به وهو الحي بينهم بشعره
الخالد يسامرهم في العزلة ويؤنسهم في الوحشة .

فهو الذي اوقد النار التي خمدت	وسلّ ستر الوفي عن معشر الضاد
وايقظ الكامن المرموس من هم	شدوا عليها باغلال واصفاد
واطلق الجذوة الميمون طائرًا	من ريف طنجة حتى شط بغداد
لولا قصائده ما كنت متنبذاً	غياهب السجن في اغوار ارواد
ولا طويت على الرمضاء بادية	بعاء تخرس فيها نائمة الحادي
فلنبك شجنا تماينا بنضرته	في جارة النيل او في جارة الوادي .

✽ خلود شوقي ✽

« للامتاز خليل بك مردم بك »

أنا لست أدري كيف أرثي واحدا أمسى برغم الموت حيا خالدا
أبقى من الأهرام في آثاره وأجل مآثرة وأبلغ شاهدا
دبّ الفناء له فعاد بخيبة خزيان ينظر مستحيطا حاقدا
ما نال منه ولو علاه سكونه فالبحر بحر زاخرا أو راكدا
شوقي وهل أرثيه يوم خلوده فالسيف ينبغي شاهرا لا غامدا
دعني أشدّ بالعقرية أنها كالشمس إن غربت أرتك فراقدا
العقرية تفحة قدسية تحيي الرميم وتستثير الخامدا
أوشعلة لمعت فجأت غيبا وهدت أبا جور وردت حائدا
تتمخض الأجيال اعصارا بها حتى يتبع الغيب منها وافدا
كالبحر بندرات يجود بده وتراه بالأصداف يقذف جائدا
فاذا أراد الله نهضة أمة أهدى إليها العقرية قائدا

شوقي وأنت رسالة علوية مرت على سمع الزمان نشائدا
روح من الله الكريم ورحمة أحياء بها ميتا وأيقظ هاجدا
رضت القريض على اختلاف فنونه في كل واد حمت كنت الراشدا
أما القديم ففرت منه يروعة وجلوت من أي الجديد مشاهدا
فرفعت للفصحى بمصر دولة كانت تطالع فيك نجما صاعدا
توجت مصر وشدت عرش فخارها وعقدت سيف جيد الثام قللدا
للغرب والاسلام في آلامهم كنت اللسان مترجما والساعدا

أضحى يسانك جامعاً أهواءهم ومن الخمول الى النباهة رائدا
ما ألقى الاسلام خطب فادح الا نهضت مواسياً أو ذا ندا
ودعوت للخلق الكريم؛ وشرُّ ما أودى بنا قد كان خلقاً فاسدا
ما زال فينا من يكيد لقومه كم ذا نطيق مداحياً أو كائدا ؟

* * *

كم موقف لك في دمشق وأهلها قد هنأ يقظاناً وتبه راقدا
غنتها لنا يفيض صباة فتأملت فيها الغصون تواجدا
وشركتها في بؤسها ونعيمها يا من رأى ولداً يشاطر والدا
في الجامع الأموي قمت مكبراً وذكرت مجد بني أمية ساجدا
خلفت في الزهراء دمك جارياً وتركت في الفيحاء قلبك واجدا
واسيت جلق في عظم مصابها ونضعت عنها بالبيان مجاهدا
صعدت أنفاساً وجدت بادهع في يوم محنتها فكن قصائدا
أشجباك ان تسمي الجنان بها لظى وثبتت دارات النعيم مراقدا
جعلوا منيفات القصور ومن بها للنار في غلس الظلام حصائدا
وأشد من هذا اثربانية الألى كادوا لها يلقون عيشاً راعدا
من كل عبد لليلغة وحزبه وتراه شيطاناً علينا ماردا
كم متعة في عيشها لو أنهم ما هكدروه مصادرهم وموارد
ديهات لا تنسى صنيعك انما جعلت بلابلها لساناً حامدا

* * *

والآت دع جفني ببع بشؤونه فالدمع أثقله كيناً جامدا
وذو الحزين ييث بعض شكاته فالصدر يخرج بالهموم حواشدا
لكن أخاف نليك تبريح الأمل يورس على جنبك جبراً واقدا
فأربط نلي قلب وطأمن لوعة واشدد على كبدي وصاير جاهدا
ياناشدا بالأمس نوماً شاردا هلاً نشدت اليوم صبراً نافدا
خطبات تلأ العرب قاسي منها جرحاً يسيل دماً وسماً قاصدا

ما جف دمعهم لمصرع حافظ حتى استهل يوم شوقي واردا
لم أنس مؤتمر النساء^(١) وقد نعي شوقي فظل من التفجع مائدا
ربع العقائل والاولانس اعولت وثرنت من بهراتهم فرائدا
أوجعن لي قلبي وهجن مدامعي وتركت جفني للنجعة سائدا

سر الحياة يدق عن فهم الوري حار اليب به فأطرق سائدا
لولا رياض الشعر في صحرائها كذت حياتك بحنة وشدائدا
تدنو باسباب الحياة الى الردي أنى اتجهت رأيت منه راصدا
والمرء في دنياه طير ما نجا من صائد الا يلقي صائدا
دع عنك تمحيص الحقيقة انها تدع الفتى في كل شيء زاهدا
وانصت الى وحي الخيال فانه لولاه كان العيش^(٢) معنى باردا
واذا بكيت على امري فابك الذي ملك اليبات طويته والتالدا

—*—

(١) اتفق ان اول بركة وردت الى دمشق بنعي شوقي قرئت في المؤتمر النسائي الذي كان معقوداً في دمشق اذ ذاك .

﴿ لغة شوقي ﴾

« خطاب الاستاذ عبدالدين بك التنوخي »

بلغ في القرن الماضي انحطاط البيان العربي شعره ونثره أسفل دركاته في جميع الأقطار العربية ولولا من تداركه من أمراء الشعر وزعماء النثر الذين تعهدوا روضه بالحرث والتشذيب والتهذيب لما اكتست لغتنا حلتها العصرية الزاهية ، ولما عادت الى مكانتها السالفة ، فعدت من اللغات الحية السامية ، ولما ظهر في مصر والشام والعراق من الشعراء المتصرفين في فنون الشعر الحلي والكتاب الايبناء من أعانوا من تقدمهم في الأخذ بناصر هذه اللغة العذبة المباركة فأعادوا اليها شبابها بما أحيوه من آدابها ، والا فان سخنة عين الأدب ما كان عليه البيان منشوره ومنظومه قبل الشيخ محمد عبده و ابراهيم الموبلحي والبارودي وصبري وحافظ وشوقي : تعابير سوقيمة مبتذلة ، وكلف بالصناعة وشغف بالتصنع ، والفاظ لا منخولة ولا معسولة ، ومعانٍ سقيمة مرذولة مملولة ، والغالب مع ذلك على النثر انطباعه على سجع ليس تحته رجع ، ولنا ان نعتبر البارودي هو المهلهل الثاني لأن الاول قد همل الشعر وقصده ، والثاني قد أنعشه وجده ، وعرض للناس أسلوبه الجزل المستعطر من أساليب البحري والمتني وأبي تمام والرضي وصريع الغواني وسائر من اختار لهم في مختاراته من حذاق القريض ورواض القوافي ، وقد حذا صبري حذوه في تنقيح الشعر وتنويقه ، إلا انه قد فاته بتقصيره وثرقيقه ، وقد باراهما حافظ وأخذ أخذهما في شد أسر الشعر وتجويد حبه ، واما راحنا الكريم فقد كان بادي الرأي يخشب الشعر في شبيبته بينما كان حافظ يبسّالغ في تنقيحه وتحكيكه ، فكان المولعون يومئذ بصناعة الشعر يفضلون في ذلك حافظاً على قريبه شوقي ، واما المولعون بقوة الشاعرية وسمو المعنى ، وسعة الخيال وخلود الحكمة والأمثال ويبعد الشعر عن التعسف وقربه من الطبع والطلاوة فكانوا في ذلك كله يفضلون شوقي على خدينه ، وكأن لسان حالهم يقول :

« اذا صح ان شوقيًا يخشب الشعر وحافظًا ينقحه ، فان خشب شوقي خير من تنقيح حافظ ، كما قيل مثل ذلك في جرير والفرزدق ؛ والحقيقة ان شوقي ما كان يخشب الشعر في شببته الا لسرعة خاطره ، وفيض قريحته التي كانت تجعله على قول الشعر على البديهة لا يكدر فيه طبعًا ولا يسهر عليه جفناً ؛ مع اننا رأينا بعد كهولته يعني بتنقيح لغة شعره حتى أوشك ان يجاري في ذلك أخاه حافظًا ذلك الذي كاد لغرط تنقيحه وتجكيكه للشعر يشبه الخطيئة الذي يقول : خير الشعر الحولي المنقح المحكك ، وبذلك حق لشوقي ان يقد إمامة الشعر ميمناه ومعناه معاً ، وقد كان العرب كما ذهب اليه صاحب الوساطة « انما تفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، وتسليم السبق فيه لمن وصف فأصاب ، وشبه فقارب ، وبده فأغزر ، ولما كثرت سوائر أمثاله وشوارد أبياته ، ولم تكن تبعاً بالتجنيس والمطابقة ، ولا تحفل بالابداع والاستعارة اذا حصل لها عمود الشعر ونظام القريض » وشوقي في الكثير من ذلك وبوفرة انتاجه ، وازدياد شعره شباباً وفتوة بازدياده شيخوخة وضعف قوة يتفوق على سائر المعاصرين .

تخرج شوقي في اللغة على الاستاذ النابغة المرصني صاحب الوسيلة ، وكان احب الشعراء اليه — كما اجاب به سائلاً — هو المتنبي قال مانصه : « وانا اعده استاذي الاول ثم يلي المتنبي ابن الرومي ، واحب شعراء الغرب اليّ فكتور هوغو ودي.موسه الذي لا أمل القراءة فيه » ؛ ومن ذلك نستنتج ان لغة امير الشعراء قد تأثرت كل التأثر بلغة نبي الشعراء ابي الطيب المتنبي ، الذي كان يذكره في شعره قائلاً :

ولو مشيت بي الليالي تحت كوكبه غادرت احمد نسيًا وابن حمدانا
وتأثرت بعده بلغة ابن الرومي ، ثم بلغة من عارضهم من فحولة الشعر وصاغة القريض كالبحثري الذي عارضه في شببته ، والحصري في داليتيه ، والابوصيري في البردة والمعرزية ، وابن زيدون في اندلسيته النونية ، وامثالهم ممن يمر كلامهم العذب على الآذان ممر الصبا على عذبات الاغصان ، وانما تأثرت لغة شوقي بمعارضة فلائدهم المشهورة لان المعارضة تدعو الى المضارعة ، فان كان المعارض جيد الحبك نقي المستشف اقتبس المعارض ذلك منه طبعًا وارتاض على طريقته ، وان كان المعارض ردي السبك ، ضعيف التأليف متجافياً عن مضاجع الرقة ومتجانفاً عن مذاهب السلاسة اثرت لغته بمقدار زمن المضارعة

والتقليد ذلك ان العبارة السقيمة اعلق بالنفس كما ذهب اليه الجاحظ من العبارة القوية ،
واسهل مراساً واهون اقتباساً ، والحقيقة ان التأمل في شعر شوقي واسلوبه وتعبيره
وتركيبه ، يوقن انه خلاصة اساليب فحولة القريض ، هذا في الشعر ، واما النثر فقد كان
يعجبه اسلوب ابن خلدون كما يظهر ذلك من شعره وتروقه لئسة المبرد في كامله قال في
تجليته لكتاب فتح مصر الحديث لحافظ عوض :

لغة الكامل في استرساله وابن خلدون اذا صح وصابا

ولغة المبرد امتازت بتانتها وابن خلدون بطلاوتها ، فشوقي على ذلك تعجبه لغة المجددين
من امراء الصناعتين وان كان لا يحسن استرسالهم الى تكلف في مجمع يرد الطبع كثيراً
منه ، ولا يعجب بلغاء الكتاب المترسلين .

ان الشعر على مذهب شوقي لا يسمى شعراً ما لم يكن عاطفة وحكمة وذكرى ، فاذا
ما نحن حللنا شعر ديوانه ، وأنعمنا النظر في أسلوب تفكيره وبيانته ، حكماً بان ذكره
وعاطفته الذئبة في شعره الوجداني قد قويتا فيه بتأثره بشعر ابي تمام والرضي وابن الرومي
والبحري وبشار ومهيار وأضرابهم ، وان حكمة التي أكثر منها في شعره ، وكثيراً من
أساليب بيانته قد احتذا فيها طريقة أستاذه الاول ابي الطيب ، كما قال في حكمة الشعر :

والشعر ما لم يكن ذكرى وعاطفة او حكمة فهو تقطيع وأوزان

ومن الأمثال الدالة على تأثير المتنبي في أسلوب شوقي قوله مثلاً :

ولا تبال بشعر بعد شاعره قد افسد القول حتى احمد الصمم

وشوقي يقول محتدياً أستاذه :

ولا تبال بكفر بعد بليسه اغلى البواقيت ما اعطيت والبرر

والمتنبي يقول في ابن العميد :

عربي لسانه فلسفي رأيه فارسية اعياده

وتليذه شوقي يقول في الخديوي سعيد :

عربي زمانه عربي عهده فيه رحمة ووفاء

وانظر الى قول شوقي في حور دمر والهامة :

والحور في دمر او حول هامتها حور كواشف عن ساق وولدان

تجد انه في تشبيهه الحور بالحور وقد كشف عن ساق ينظر الى قول مهيبار في الاشجار :

وعزت فصانت سوى ساقها وما ان اباحتها الا اضطرارا
تشم عن جلايبها لعادته ان يخوض الغارا
ثم انظر الى تأثره بشعر المعري مثلاً :

لعلاك المذكرات عبيد خضع والمؤنثات إماء
وابو العلاء يقول من قبله :

للك المذكرات عبيد وكذلك المؤنثات إماء
وكذلك يقول شوقي :

ومهد المرء في أبدي الرواقى كنعش المرء بين الناضحات
مثلاً قال المعري من قبله :

وشبيهه صوت النعي اذا قيد - من بصوت البشير في كل ناد -
وألفت نظرك بعد ذلك كله الى قول شوقي وهو يصف الأطلال المندثرة والرسوم
المبعثرة :

فلا تستبين سوى قرية - اجدة محاسنها ما اندثر
فتحبه ينظر الى قول ابي نؤاس في وصف الرسوم :

لمن دمن تزداد حسن رسوم على طول ما اقوت وطيب نسيم
ولا نكران أن تأثر الشاعر بمن تقدمه من فحولة الشعر امر طبيعي ، وقلنا نجا منه احد
من رواض القوافي ، بيد أن من التأثر ما يبعث اليه التقليد والتقليد مما لا يدعو اليه
مقتضى حال ، ولا يولده صدق عاطفة ، وهو ما يجب ان يتخلى منه الشعر المعبر عن الشعور ،
ولولا مثل هذا التقليد الناشئ عن تقديسه لاساليب الجاهلية لجب عن نفسه غيبة من تعجم عليه
من المجددين ، ولا ضعف من حجتهم عليه وان كان فيها كثير من روح التحامل ، فما اتقد
عليه قوله :

ريم على القاع بين الباب والعلم أخل سفك دمي في الاشهر الحرم
قالوا : لقد كان بإمكانه ان يشيب بريم مصري يرتع بين الجيزة وحلوان أو النيل
والاهرام فيقول مثلاً :

ريم على المرج بين النيل والهرم أحل سفك دمي في الأشهر الحرم !
ولكنه جرى تقليداً على أسلوب من سبقه من شعراء الجاهلية الذين كانوا يتغزلون
بما يعرفون في جزيرة العرب وما يشاهدونه ويشعرون به ، وأما من ترمم آثارهم من التابعين
فأية علاقة لهم بالبان والعلم وكاظمة وذو سلم ، والروحاء ودائرة العلم ، وأي ذكرى تهيجهم
لذكرها ووصفها ، فان قلنا لم ان شوقي ماتشوق الى البان والعلم — وهو في هذا الموطن
صحيح — الا لاتصال هذين الموضعين بمدينة النبي العربي المبين ، قالوا : فما باله إذن
لا يترك مثل هذا التشبيب في قصيدة يقولها في مشروع ملتر :

اثن عنان القلب واسلم به من ريب الرمل ومن سريره
وما باله يقول في قصيدة أخرى أنشدت في حفلة تكريم لمعتقلين يخرجون من
السجن :

يحدجن بالحدق الحواسد دمية كظباء وجرة مقتلين وجيدا
مقلداً في ذلك قول امري القيس وبينهما ما بينهما من القرون :
نصد وتبدي عن اسيل وتتنو ، بناظرة من وحش وجرة مطفل
الا سمعت ما قاله القاضي في وساطته : « ولا نلتفتن الى ما يقوله المعنويون في وجرة
وجاسم ، فانما يطلب به بعضهم الاغراب على بعض ، وقد رأيت ظباء جامم فلم أرها الا
كغيرها من الظباء ، وسألت من لا أحصي من الأعراب عن وحش وجرة فلم يروا لها
فضلاً عن وحش ضريبة وغزلان بسيطة ، وقد يختلف خلق الظباء والوانها باختلاف المنشأ
والمرتج ، وأما العيون فقل ان يختلف لذلك . »

وهذا لا يمنع ان شوقياً كان واقفاً على أسرار العربية ، عارفاً بفرائدها الفصيحة ، ميزاً
بين معسولها ومرذولها ، وانه كان لا يستعمل الوحشي الغريب الا اذا عن وجود الانسي
القريب ولم يقم مقامه في دقة التعبير وفي وضوح الدلالة والاشارة ، وكثيراً ما تهيئه للغريب
المهجور ضرورة القافية كالفنا المشجير ، واقام الصعر ، والخميس الدثر او ما هو أغرب من
ذلك كجرضى وحضوى والبوغاء بمعنى التراب والعماء بمعنى السحاب وهلم جرا ، ولعله لولا
طول نفس القافية في طوابعه التي يختلف عدد الواحدة منهن ما بين مائة وثلاثمائة بيت
تقريباً ، لولا ذلك لما اضطر الى استعمال غريب القوافي المهجور ، وترك القريب الحبيب

المشهور ، نعم ان من الموضوعات ما يلجى الشاعر بطبيعته الى الاضباب ، وانه مازالت الصلة بالشعر القديم وثيقة العرى ، غير ان الخلود في الشعر بهذا العصر لا يكتب الا للقصائر ، التي لا يلجأ فيها الشاعر الى العمل والضرائر ؛ على أن له من القصائر الخالدة لامتيازها بالفاظها المتغيرة ومعانيها العلوية وعواطفها المتأججة ما يتغنى به العاشق الشاكي والصندوق الحاكي في الشوارع والمجامع .

وفي لغة شوقي مفردات عامية كان يتجاوز في استعمالها ايثاراً لوضوح الدلالة ، وما ذا كان عليه لو نقي لغته من أمثال طار بمعنى اطار الواردة في قوله بصف قرص الشمس طالماً :
فسمت فكانت نصف طار ما بدا حتى اناف فلاح طاراً اكبرا
اذ لم ترد طار في القصصى بمعنى اطار الذي هو حلقة الشيء وما احاط به ومنه اطار الدف والمخل ، واطار البيت كالمنطقة حوله ؛ ومنها فعل حرق بمعنى اضرم فيه النار اذ لم يرد متعدياً الا بالهمزة ، واما الثلاثي فقد ورد بمعنى آخر وهو حرك بعض الاسنان ببعض من الغيظ والحنق نحو حرق عليه الارم ومنه قول الشاعر :

نبئت احماء سليمى انما باتوا غضابا يحرقون الأرم

ويقال : حرق الرجل مبنياً للمجهول فهو محروق اذا انفصلت حارقه وهي العصبية الجامعة بين رأس الفخذ والورك ؛ كانه جاء بمعنى برد الحديد بالمبرد ، فالافصح إذن ان يقال احرق لاحرق كما يقال اغلق لاغلق ؛ ومن هذه الالفاظ العامية لفظة دهان بمعنى نقش في قوله :

صحب الزمان دهانها حيناً عبيداً بعد حين

فالدهان جمع دهن ، وقد وردت في قوله تعالى : فكانت وردة كالدهان ، قال القراء : شبهها في اختلاف الوانها بالدهن واختلاف الوانها ؛ ويطلق الدهان على الجلد الاحمر ، فالدهان على ذلك لم يرد بمعنى النقش والطلاء Peinture ، الا اذا اعتبرنا الدهان من قبيل الجاز المرسل لحلول الدهن في الصبغ وهو زيت الدهانين المعروف ، ولو قال : «صحب الزمان نقوشها» لاستقام الوزن ولا صاب شاكلة القصي .

ومنها لفظة المعينة بمعنى الحاشية والبطانة في قوله :

قامت السراة به والمعينة النجب

فان البطانة محل محل المعينة ويستقيم الوزن معها ، والمعينة من مصطلح النحو بمعنى المصاحبة

واما استعمالها بمعنى البطانة فمن المصطلحات التركيبية لا العربية ، وفي استعمالها التباس ينافي التخصيص ولا حاجة في التعبير اليها .

يبدان من الالفاظ العامية ما يحتاج اليها لعروبة مادتها ورشاقة صيغتها ، ولعدم ما يقوم مقامها كلفظة مرفع بمعنى كرنفال ، فقد استعملها شوقي في قوله يخاطب النفس :

كم بنت فيه وكم خفيت كأنه ثوب الممثل او لباس المرفع
واذا نحن ايننا ان نستعملها فقد حجرنا واسعا وحملتنا الحاجة الى استعمال « كرنفال » ،
كما انا لو لم نستعمل جريدة لاضطررنا الى استعمال « جورنال » .

هذا وقد امتاز بما وفق اليه من حسن استعمال الاعلام الاعجمية مع المحافظة على رنة الشعر الموسيقية ، فتسمعه في مطلع قصيدة « طوكيو » التي وصف بها نكبة اليابان بزلزالها بقول :

قف «بطوكيو» وطف على «يوكاهاما» وصل القريتين كيف القيامة
وتصفي اليه في قصيدة اخرى يخاطب اللورد كرومر :

هل من نذاك على المدرس انها تذر العلوم وتأخذ الفوتبولا
فتجد للفظه الاعجمية في هذا البيت مع بشاعتها حسن الشيء يلى محله ، ثم يذكر لك
وزيرين انكليزيين ومدينة انكليزية في بيت واحد وهو :

واحمل بساقتك ربطة في لندن واخلف هناك غمراي او كيبلا

ومع ان الاكثار في الشعر من الالفاظ والاعلام الاعجمية الثقيلة مما ينافي لغة الشعر وسلاسته ، وهي اجمل حلاه ، ويجافي رنته الموسيقية وهي نشوة طلاء ، نجد الشاعر يحسن نصرفه وتأنيه وتلفظه يكاد يعرب لنا تلك العظمائية حتى نسيغها ، من ذلك التلطف قوله :

أم المالكين بني أمون ليهنك انهم تزعوا امونا

ولدت له المآمين الدواهي ولم تلدي له قط الامينا

فقد اتبع البيت الاول المنتهي بأمون بالتاني المنتهي بالأمين ، ومن هذه القوافي التي احكم وضعها قوله :

لك الاصل الذي نبتت عليه فروع المجد من « كرنارفونا »

خليلي اهبطا الوادي وميلا الى غرف الشموس الغاربتنا
 وخصا بالعمار وبالتحايا رفات انجد من «توتخميننا»
 واما قوله سيفي وصف ينبوع «كوك صو» بالاستانة فهو من مائه اعذب وتحيته منه
 اطيب :

تحيه شاعر ياماء «ككسو» فليس سواك للأرواح انس
 وله من التعابير ما اختص بها ، او احياها واذا دعا بشعره كقوله في دمشقته المشهورة :
 و «للحرية الحمراء» باب بكل يد مضرجة يدق
 وأعاد «الحرية الحمراء» في قصيدة أخرى بقوله :
 لا بد «للحرية الحمراء» من ساء - روى ترقد جرحها كالبلسم
 وأورد هذا التعبير والحرية موصوفة بوصف آخر في قوله :
 سلوا «الحرية الزهراء» عنا وعنكم هل أذاقتنا الوصالا
 فهذا التعبير مما اقتبسه شوقي من أستاذه الاول ابي الطيب ، وله فضل إذاعته ، فقد
 قال المتنبي يصف الحدث الحمراء لانصباغها بالدماء :
 هل الحدث الحمراء تعرف لونها وتعلم أي الساقين الغنائم
 ومن تعابيره الشوقية المتدعة قوله : «العلم بدري» فانه نسب العلم الى بدر مشيراً
 الى الأثر القائل : «ان اهل بدر مغفور لهم هفواتهم» :
 والعلم بدري احل لأهله ما يصنعون
 ومنها كلوبترة المكاييد وايزيس الندى وعيسى الشعور وعمرؤ الامور ، ونعتة لابي
 الحول بديدبان القدر أي حارسه ورقبيه ، وأمثالها كثيرة في شعره ، وآخر ما صنع من
 ذلك تلقيه لصديقه حافظ بحافظ الفصحى .

ومن المفردات التي يظن ان شوقياً اول من استعملها ونشرها لفظة «مثال» أطلقها
 على نحات التماثيل وصناعته «المثالة» ولم تنتشر هذه الكلمة الا بدافع الحاجة اليها ، ولا
 كتب لها البقاء الا بمقتضى ناموس بقاء الأصلح ، ونحن أخرج ما نكون في هذا العصر
 الى أمثال هذه المفردات المخصصة التي تعين على التدقيق في التعبير العربي ، وقد أحياها
 أو أذاعها شوقي باستعمالها ، واللغة تحيا بالاستعمال وتموت بالاهمال ، ومن أسقى من الشاعر

النابعة او الكاتب البليغ بالأخذ بناصر اللغة بما يحويه او بذيعه من مفرداتها .
وهذا لا يمنع اللغوي الضليع كشوقي أن يسجد في محراب اللغة سجدة السهو كقوله
في أسواق الذهب يتحدث عن التزوج بـ اثنتين : وان التيس لو عقل ما اتخذ نعتين ،
فكيف يتزوج الفقير العاقل بـ اثنتين ، والصواب ان يقول : ما اتخذ عنزتين ، اذا التيس
ذكر المعزى لا الضأن الذي يطلق الكبش على ذكره والنجعة على انثاه .
ومن ابلغ من عني بلغة شوقي وتقدها في مصر محمد المويلحي ، وفي الكثير مما تقده
ما يدل على ذوق سليم وملكة في الادب قوية مثال ذلك قول شوقي :
وقطعة خد بينا هي جنة لعينيك يارائي اذا هي نار
قال المويلحي : « لو قال صفحة خد لكان التعبير أحسن وأجمل لان القطعة بغير الخد
انصب » .

وتنقحت لغة شوقي ، ورقت عبارته وازداد شعره رصانة ونسجاً وابتدع قولاً ايام كان
يخشب الشعر :

كم يا جماد قساوة كم هكذا ابدأ جحود
نطوي اليك دجى الليالي لي والدجى عنا يذود

من قوله ايام تنقيحه وتهذيبه :

الله في الخلق من صب ومن عاني تفنى القلوب ويبقى قلبك الجاني
صوني جمالك عنا اتنا بشر من التراب وهذا الحسن روحاني

ولئن قيل ان امرأ القيس قد سبق الى اشياء ابتدعها واستحسنها العرب واتبعه عليها
الشعراء ، وعدوا منبهاً استيقافه صحبه في الديار ، فان شوقي قد سبق معظم شعراء عصره في
كثرة الاستيقاف وطلب القيام في مطالع قصائده كقوله مستوفناً :

قف ناج احرام الجلال وناد هل من بناتك مجلس او ناد
قف بالممالك وانظر دولة المال واذا كر رجالاً ادالوها باجمال
قف بروما وشاهد الامر واشهد ان للملك مالكاً نسجانه
قف على كنز يباريس دفين من فريد في المعاني وثمين
قفي يا اخت يوشع خبرينا احاديث القرون الغابرينا

ومما سأل به القيام وهو كالاستيقاف من أساليب تعبير شوقي ولغته الشعرية :

قم ناج (جلى) واتشد رسم من بانوا مشت على لرسم أحداث وأزمان
قم ناد (انقرة) وقل بهيتك ملك بنيت على سيف بنيك
قم في في الدنيا وحي الازهرا واثر على سماع الزمان الجوهرا
قم سابق الساعة واسبق وعدما الارض ضاقت عنك فاصدع غمدها
قم حي هذي النيرات حي الحسان الخيرات

واما لغة مطالع قصائده فمنها الركيك بمعناه ومبناه كقوله مثلاً :

يا باريك الله في الدنيا بعباس وبارك الله في عمات عباس

ونحن اذا جارينا في هذا البيت من انتقد مطالع شوقي ، لانجاريه في النقد على اطلاقه
فان لشوقي من المطالع ما يعد من الروائع كقوله مثلاً :

ضمي قناعك يا سعاد او ارفعي هذي المحاسن ما خلقن لبرقع !
رمضان ولى هاتها يا ساقى مشتاقه تسعي الى مشتاق
قلب يذوب ومدمع يجري ياليل هل خبر عن الفجر ؟
بالله يانسبات النيل في السحر هل عندك كن عن الاحباب من خبر
يانائح الطلج اشباه عوادينا نشجي لوادبك ام نامى لوادينا

وقد يستعين الانسان لتوضيح عبارته بالتشبيه ولا يستغني عنه احد من العامة ولا الخاصة ،
والاصل الذي يعتمد عليه فيه ان يشبه المتكلم المجهول بالمعلوم لدى المخاطب ، فاذا انعكست
القضية خفي المقصود وهو المشبه على المشبه له ، وبذلك يكون التشبيه ركناً خطيراً من
أركان البيان ، وعوناً ملجئاً للصورة الواصف ، ولكن التشبيه قد خرج في عصور انحطاط
البيان العربي عن محوره ، وبعد عن غايته ، وأصبح مطمح الشاعر ومسعى خياله أن يشبه
شكلاً بشكل ولوناً بلون وطولاً بطول ، وان لم يكن وجه الشبه واضح الملامح لان المشبه
لم يقصد في محاكاة تصويراً ولا تبيناً ، وانما أراد تزويقاً وتحسيناً ، وبذلك لم يصح التشبيه
من أركان البيان فأسمى من محسنات البديع اللفظية ، وقد انتبه الشاعر الى ذلك فأنتقد
كثيراً من شعره وشفاه من هذه العلة وهذا النوع من العي والحصر ، واذا أردت مصداق
ذلك فانظر مثلاً الى ذلك التصوير البارع في التشبيه التالي :

يَدًا فلم نخل من رَوْحِ براوحنا من بر مصر وريحان يغاديننا
كأم موسى على اسم الله تكفلنا وباسمه ذهب في آيم تلقينا
ومصر كالكرم ذي الاحسان فأكبه لحاضرين وأكواب لبادينا
ومنها :

نحن اليواقيت خاض النار جوهرنا ولم يهت يد التشيت غالينا
ولا يحول لنا صبح ولا خلق اذا تلوت كالحرباء شانينا
وأنعم النظر في تشبيه الحمام الأسود المفرد بالراهبات المرتلات في سود الجلايب
وتأمل ما في ذلك من جمال البيان ولطف المحاكاة :
بيض القلائس في سواد الجلايب حلين بالأطواق والأوضح
رئل في أوراقهن ملاحنا كالراهبات صبيحة الإفصاح !
يخطر بين أرائك ومناير في هيكل من سندس فياح
واذا تجردت بقوة مخيلتك ما في البيتين التاليين من صورة دقيقة واضحة ، شهدت بما
للتشبيه الصادق من قوة التصوير وبلاغة التعبير :

وترى الفضاء كحائط من مرمر نضدت عليه بدائع الألواح
القيم فيه كالنعام بدينة بركت واخرى حلفت بجناح !
وجرت سواق كالنوادب في القرى رعن الشجي بأنة ونواح
الساقيات وما عرفن صباية الباقيات بمدمع سماح
من كل بادية الضلوع غليلة والماء في احشائها ملواح
تبكي اذا ونيت ، وتضحك ان حفت كالعيس بين تنشط ورزاح
هي في السلاسل والغلول وجارها اعمى ينوء بنيره الفداح !

اللغة المجازية في شعر شوقي . — لانكران ان لغة الحقيقة في كلام امير الشعراء هي
لغة الشعر الرقيقة المنسجمة ، المنحلة الالفاظ ، المتقنة التركيب ، ومن أحق منه بالاهتمام
الى كرائم الالفاظ ورفائق العبارات ، فقد آخى في شعره بين فصاحة اللفظ وبلاغة القول
في سلك بيان ناضع ، ترافقه رنة موسيقية علوية أشبه شي بالرنة البحرية ، واما لغة شوقي
المجازية فعالية على يانه ، وقلما خلت جملة أبيات منها ، والظاهر ان الاستعارة بانواعها

متغلبة على المجاز العقلي والكنائيات في شعره ، ولا مرمياً ولعت العرب بالمجاز لما فيه قوة التصوير وفخامة التعبير مع الایجاز ، ولما يحصل به للنفس من أريجية مما يدل على ميل العرب الى اتساع الكلام ، وان التفنن في وجوه التعبير نتيجة لازمة لقوة التصوير والتفكير ، وتديماً كان الانسان اذا عجز في الكتابة عن التعبير بالرموز الحرفية يلجأ الى رموز الصور مستعيناً بوضوح دلالتها ، فالصورة الخطي والياني من أقوى وسائل التعبير .

ومن مجازاته العقلية قوله في مطلع نهج البردة :

(ريم) على القاع بين البان والعلم أحل سفك دمي في الأشهر الحرم
رمى القضاء بعيني (جوذر) (أسداً) ياسا كن القاع أدرك ساكن الأجم
فالريم وهو الغايي الخالص يتناضه الجؤذر وهو ولد البقرة الوحشية قد أطلقها على محبوبه مجازاً وأطلق الأسد على نفسه ، وكفى عن الغزال بساكن القاع وعن الأسد بساكن الأجم ، وفي هذين البيتين من فن البديع طباق بين قوله (احل) وبين (الحرم) ، وهو من المحسنات التي يزين بها شوقي لغته كثيراً ، وبعد أربعة أبيات من هذا البيت يتثنان في كل منهما مطابقة وهما :

لقد أنلتك أذنًا غير واعية ورب (منتصت) والقلب في (صمم)
ياناعش الطرف لا ذقت الهوى أبداً (اسهرت) مضناك في حفظ الهوى (فتم)
اما الاستعارة المبنية على التشبيه فكأنها ما غلبت على لغة شوقي الا لا اعتقاده بانها تبلغ من المجاز العقلي لما بين طرفي الاستعارة من المناسبة القوية والمبالغة التي تميز ذلك ان تسمي الشيء بغير اسمه وتبلغ بهما حد الاتحاد ولولا القرينة الدالة على مرادك لما انتبه المخاطب الى غير المفهوم من العبارة ، وانك لترى الاستعارات البليغة بانواعها فيما سنورده على سبيل المثال :

القائنات باجفان بها سقم وللمينة اسباب من السقم
الحاملات لواء الحسن مختلفاً اشكاله وهو فرد غير منقسم
فقوله القائنات باجفان استعارة مكنية لجذف المشبه به وهو السيوف التي رمن اليها بشيء من لوازمها وهو القتل ، وفي قوله : الحاملات لواء الحسن استعارة مكنية ايضاً ولواء استعارة تخيلية والحمل ترشيحية ، ومع ذلك نجد في حمل لواء الحسن كناية جميلة عن نهاية الحسن فيه ، ومن الاستعارات التصريحية التبعية الكثيرة في شعره قوله :

دقات قلب المرء قائلة له ان الحياة دقائق وثواني
فقد شبه في هذا البيت الحكيم الدلالة على الشيء بالقول بجمع الايضاح ، وشتق
من القول قائلة بمعنى دالة ، والقربنة نسبة القول الى الدقات ، ومن استعاراته اللطيفة
قوله :

رأس الحماية مقطوع فلا عدمت كنانة الله حزمًا يقطع الذنبا
يتمشى القضاء خلف نواهي - لك حديد الاظفار يطلب صيدا
قصد الدهر منك ركن المعالي ورمى طودها الذي كان طودا
قف ناج اهرام الجلال وناد هل من بناتك مجلس او ناد
ففي مناجاة الاهرام استعارة وفي المجلس والنادي مجاز مرسل وبين ناد الامر ونادي
الاسم جناس تام ، ووجود ذلك كله في بيت واحد دليل على واهم شوقي بالاستعارات
والمحسنات .

كناياته . - وقد اولى بالكناية لانها من ابلغ ضروب المجاز بقوة تأكيدها وبيان
تعبيرها ، بل جعلها البيانين ابلغ من المجاز لان دعوى الكناية مؤيدة بالبرهان ، ودعوى
الاستعارة لادليل تأييدها ، ومن كناياته البليغة وهي كثيرة قوله :

فدع كل طاغية للزما ن فان الزمان (يقيم الصمر)
رفقًا بجفن كلما ابكيت سال (العقيق) به وقام الماء
وبين الهوى والعدل للقلب موقف كخالك بين السيف (والنار) ثاويًا
وبيان كما تجلى على الرس - ل تجلى على (رعاة الضال)
ومن جناساته التي شغف بها قوله :

وسلا مصر هل سلا القلب عنها او اسأ جرحه الزمان المؤسي
يا قصوراً نظرتها وهي تقضي فسكبت الدموع والحق يُقضي
زار والحرب بين جفني ونومي قد اعد الدجى لها اوزارا
مالرب الجمال جار على القا - ب كأن لم يكن له القلب جارا
ومن المطابقة في هذه القصيدة والطباق من محسنات البديع المعنوية قوله :
يا ليالي لم اجدك طوالا بعد ليلى ولم اجدك قصارا

ان من يحمل الخطوب كبارا لا يبالي بحملهن صفارا
ومنها الشيء الكثير في شعره قوله :
وبي رشاً قد كان دنيائي حاضراً فغادرنى اشتاق دنيائي نائياً
وفي هذا البيت (ايها المطابقة) فان النائي ليس بفد الحاضر وانما يوم بلفظه انه
ضد ومثله قول دعبل .

لا تعجبي يا سلم من رجل (ضحك) المشيب برأسه (فكي)
ومن مطابقتها الرائعة ويسمى طباق المقابلة قوله :
وكن بالاحاظ (مرضى) (كليلة) فكانت (صحاحاً) في القلوب (مواضيا)
ومن محسنات شوقي المعنوية ايضاً « الاستخدام » اي ذكر لفظ بمعنى واعادة ضمير عليه
بمعنى آخر كقول البحري :

فسقى الغضا والساكنيه وان لم شبره بين جوارح وقلوب
ومثله قول شوقي في ايزيس وهو القمر عند قدماء المصريين واحدى معبوداتهم سميت باسمه :
تضيء على صفحات السما وتشرق في الارض منها الحاجر
ومنها « الجمع مع التفريق » كقول البحري :
ولما التقينا والنقا موعد لنا تعجب رأيت الدر منى ولاقطه
فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه
ومثله قوله في مخاطبة الحمام :

اراك يمانياً ومصر خميلي كلانا غريب نازح الدار مومع
هما اثنان : دان في الغرب آمن وناء على قرب الديار مروع
ومن محسناته « التصريع » وهو استواء آخر جزء في صدر البيت وآخر جزء في عجزه
في الوزن والروي والاعراب وهو اليت ما يكون بمطالع القصائد ، وفي وسطه ربما يجه
الدوق وينبو السمع عنه ، ومعظم مطالع شوقي بمصرعة وقد تجده في اوساط قصائده ايضاً
مع انسجام ورنه موسيقية يستعذبه الدوق ولا يذبو عنه السمع لانه وليد الطابع كقوله :
لك ان تلوم ولي من الاعذار ان الهوى قدر من الاقدار
ومن الترصيع المستحسن في الوسط قوله من قصيدته الاندلسية التي مطلعها :

اختلاف النهار والليل ينسي اذكرا لي الصبا وايام انسي
وفي وسطها يقول :

في ديار من الخلائف درس ومنار من الطوائف طُلمس
وكل ذلك ما كن ليحيط من منزلة امير الشعراء او ليدق من خطاره وهو انقايض على
ناصية البلاغة في شعره الخالد ، والماتن ما يحاوله ، والمحدث بما في نفسك ، وقد ولف على
أمرار العربية وشغف بسواحرها شغفا جعله يتغنى بعربيته وعروجه ، غائلا عن جنسيته
وأرومته ، فن تغنيه بعروجه قوله وفيه من محسنات البديع الاكتفاء :

نسأل أترابها	مؤمنة بالنعيم
اي فتي ذلكن	العربي العلم ؟
فلن تجاهلته	ذلك رب القلم
شاعر مصر الذي	لو خفي النجم لم

ومن تغريده في عربيته وهيامه بمحاسنها الأديبة ومزايها العلمية قوله :

إن للنصحي زماما ويدا	تجنب السهل وتقتاد الصعاب ؟
لغة الذكر لسان المجتبى	كيف تعيا بالمنادين جوابا
كل عصر دارها ان صادفت	منزلا رجبا واهلا وجنابا
اثت بالامرات روضا يانعا	وادعها تجر بنسايع عذابا
لا تجننها بالمتساع المقتنى	مسرقا من كل قوم ونهابا
صل بها اندلسا هل قصرت	دون مضمار العلى حين اهابا
غرست في كل ترب اعجم	فزكت اصلا كما طابت نصابا
ومشت مشيتها لم ترتكب	غير رجليها ولم تحجل غرابا

ومنه قوله :

ان الذي ملا اللغات محاسنا جعل الجمال ومصره في الفاد

﴿ شوقي والمسرح العربي ﴾

« خطاب الدكتور اسعد بك الحكيم »

ليس الملك الجبار الذي يكتسح البلاد ، وتعنوله الرقاب ، باعظم شأنًا في حلبة التاريخ : من عالم يبدد بحكمته أضاليل العالم ، فيخرجهم من الظلمة الى النور ، أو أديب يسحر بيبانه الأبواب فيكيفها على صورته ومثاله . أو شاعر يلتقط برقته حبات القلوب فينظمها عقوداً يسمو بها الى الفضيلة والمجد ، وينفخ من روحه في سوبداء النفوس فيبعث فيها روح الامل ، فتنشط وتجد .

وليس البنيان الضخم الشاخر ذو الأحجار الكبيرة الذي تضافرت على تشييده الوف الأيدي البشرية سنين وأحقاباً ، فمراك الدهر وهزى بمحادث الطبيعة ، بادعى الى الخلود من بيت شعر حوى حكمة بالغة هجس بها قلب شاعر فسارت بتلاوته الركبان وتناقلته الألسن وصار حديث الناس على اختلاف الأزمنة والأجيال . بل هذا خير وأبقى لان مصير المادة الفناء . اما الروح فهي خالدة باقية الى الأبد .

وفي هذا الاجتماع الحافل ، وما يقام من حفلات التكريم لذكرى شوقي الشاعر بعد موته في سائر أقطار العالم العربي ، دليل ينطق بسمو العظمة الادبية وخلودها وباستمرار حياة الأديب بعد موته لأن روحه المتقمة في طيات مؤلفاته تظل حية باقية تشع من تلك الحروف القائمة فتتأثر بفعلها نفوس الناس جيلاً بعد جيل الى آخر الدوران .

وكان السلف أدركوا ما للبنيان الأدبي من الميزة على البنيان المادي فأجبدوا في تشييده نفوسهم وبذلوا لاقامته كل ما أوتوه من مال وقوة وسلطان فخلدوا به لملم هذا ذكراً لم يزالوا أحياء به على غير عهدهم . ذكراً هو التراث العظيم الذي تفخر به وتتم لاجله .

ومن بواعث الأسف ان الدهر لم يفسح في أجلمهم ليضربوا بسهمهم في جميع صنوف

الأدب المعروفة عند من تقدمهم من الأمم فعلهم بالعلوم العقلية والطبيعية فجاء أدبهم على ما فيه من روعة وسعة وجمال أبت من أحد جوانبه . وذلك لان النقلة لاسباب نفسية اجتماعية ودينية لم ينقلوا الى العربية كتب الأدب اليوناني كما نقلوا اليها علومهم وفلسفتهم فحقت على رجالها ضروريه وأهمها التأليف المسرحي الذي يعد اليوم من دعائم الأدب ومقومات الاجتماع .

وقد نال الفرنج من العربية بان عابوا في أدبها هذا النقص الذي لا مبرر لاستمراره مئات السنين حتى العصر الأخير اللهم الا الانحطاط الذي أصاب الخلف في جميع مقوماتهم الحيوية فأقعدهم عن مجارة الأمم المعاصرة لهم وجعل منهم أمة خائرة القوى متبليلة الكلمة والمذاهب .

وقد حاول عدد يسير من أدباء القرب الأخير اكمل هذا النقص فوضعوا عدة روايات مسرحية جاءت من حيث النسيج الأدبي رقيقة في ذلك الثوب الناصع ، فلم تجزها العربية ولذلك لم يكتب لها الخلود . .

وهكذا ظل الأدب العربي خلواً من المؤلفات المسرحية المثلى أحقاباً وعصوراً الى ان قبض الله له في هذه السنين الأخيرة فنانياً يجيد الوصف والرصف بيدع من التقديم حديثاً ، ووجه الطبيعة الشعرية نفسها فدانت له طوعاً ، وحبته شقيقتها المادية بكل ما فيها من رونق ونضارة وجمال فراح يجمع حلالاً ما بين الأخوين . هذه توحى وتلك تتلو ، هذه تعزف وتلك تغرد ، فيؤلف من صوتهما قصائد أوابد تحلى بها صدر العربية بعد ذلك العربي الطويل .

ذلك شوقي أيها السادة وحسب القول في شاعريته مبايعة الامة العربية اياه وهو حي بإدارة الشعر في ذلك المحفل الملكي النخم الباهر ، مما لم يسبق مثله لشاعر قبله قط .

وبينا العربية تتقدم لتعقد لشوقي لواء الإمارة في الشعر حانت منه التفاتة الى أدبها فثام فيه ذلك الخرق المريب ، فشق عليه ان يمر به دون ان يد لرتقه يداً ، فطلمع على المسرح بمصرع كايوباترة ومجنون ليلي ، وقبيز ، وعلي بك الكبير ، وعنترة ، واميرة الاندلس .

فلا بها ذاك الفراغ وأتم ذلك النقص فأسدي بعمله هذا للعربية مفخرة لم تكده تعد

العدة لشكره عليها حتى غادرها الى عالم الخلود ولسان حائه يقول : اليوم اكملت لكم أدبكم فقرأوا عينا .

تقدم شوقي الى المسرح برواياته فلم يلق من رجاله من الحفاوة بها والاقبال على تمثيلها ما كان يرجى ويظن . وذلك لاسباب منها ما يتعلق بالبيئة وهي الحقيقة ومنها ما هو منبعث عن الرواية نفسها .

فمن الاولى : تطور الثقافة الاجتماعية في البلاد العربية واتجاهها نحو اقتباس كل ما هو غربي وخلع كل ما هو شرقي . بصرف النظر عما في بعض الاول من مضار وعما في بعض الثاني من منافع . فهي قائمة على الفلسفة الجنسية الفرويدية الحديثة . تمج القديم لما فيه من قيد ، وتصبو الى الحديث لما فيه من إباحة . ولما كان في مسارح التمثيل الهزلي والخلاعي ما يخذل المراقبة ويعمل الحصر القائم في النفوس أمسى الاقبال عليها بالغيا أشده . خلافاً للمسرح المحافظ فان الاقبال عليه ضئيل . وقد لا يسد دخله خرجه .

ومنها كون الأسلوب الشعري المسرحي طريف لم يألفه بعد السمع فلا تنفذ صورته الى التلب تواء بل تجتاز اليه الذهن قبلاً . وهذا بضعف تأثير الوقائع في النفوس . ومنها حداثة عهد الممثلين بالتخاطب بلغة الشعر وضعف خبرتهم الفنية والعلمية والأدبية مما يلقي الفتور في انتباه المشاهدين .

تلك لعمري عوامل جلي من شأنها الخط من قيمة اي رواية مسرحية مهما بلغ بها الاتقان .

فلا غرابة والحالة هذه اذا لم نجد غواة التمثيل درجاله يعرضون روايات شوقي في كل قطر عربي شأنهم مع غيرها من الروايات الثرية .

على ان هذا الفتور عارض وقد لا يمضي قليل حتى يتحول الى ولع وديام ، وذلك لان روايات شوقي لقيت من غواة الأدب وطلاب المدارس والفئة المتعلمة من الناس تهاوتاً عظيماً على قراءتها وحفظها واقتنائها حتى أصبح ينجل كل انسان متعلم ان يقول إنه غير مطلع عليها . وتلك لعمري ميزة سوف تضطر رجال المسارح في جميع الاقطار العربية الى إجهاد النفس في حفظها وإتقان تمثيلها كما انها ستجذب رجال الشعر الى خوض هذا النوع من الأدب والسمو به الى المكانة العليا التي تتطابق فائدته وشرفه .

اما الاسباب الناشئة عن ذات الرواية فأهمها متعلق بضعف الإيجادة في تصنيف الحوادث وتوقيعها وفي البلاغة الروائية التي من شأنها امتلاك مشاعر المشاهد وهزها .
وتلك هنات فنية لم يكن شوقي ليقع فيها لو أنه صعد المسرح قبل الخمسين وعانى بنفسه تلاوة قصيدة من قصائده في مجتمع عام ولو مرة واحدة .

هنات تتلشى في جانب ما في تلك الخرائد من تهاويل الصور النفيسة والطبيعية ومن الإبداع في الوصف وفي تمثيل المجالس واستطراد الحديث وضرب الأمثال وإيراد الحكم والمغزى الأخلاقي السامي مما يفوق حد الاتقان .

وكان انتصار شوقي الباهر في حلبة الشعر وعقد إمارته له في مضماره أثار حفيظة بعض منافسيه فاستغلوا موقفه هذا فنالوا منه على المسرح ما لم تنله قرائحهم منه في ميدان القريض . فرموا رواياته بحر النقد ولو أنصفوا لقالوا : إنها خير ما أخرج للناس . مكروا ومكر شوقي فلم يفت تقدمهم في عزيمته فراح يخرج الرواية تلو الرواية كأنه شاعر بان ساعاته باتت معدودات وإن المثل الأعلى الذي تسمو إليه نفسه مازال بعيداً فليس له أن يضيق لحظة فيما هو أدنى وأحط . وذلك المثل الأعلى هو سد ثلثة الأدب والسمو به إلى الكمال .

ولم يقف الولوع بخدمة الأدب العربي بشوقي عند حد التمثيل بل تعداه إلى الموسيقى فراح يغنيها من تلك الشاعرية المذابة بالحب والجمال بأغاريدها بعض الكتاب بدعة محطه بالشعر ورأى فيها الفنانون والادباء وعلماء النفس ابداعاً أو ظاهرة تنم عن عبقرية ونبوغ . فشوقي أيها السادة نابغة عبقرية ليس بقصائده بل برواياته وأغاريده .

فيا أيتها الروح الذكية التي ترفرف الساعة في سماء هذا المجمع منتعشة لذكراها قربي عيناً ، فأنت لم تنسلخي عن ذلك الجسد البالي الا لتجردني لما هو أسمى وأعم ، الا لتمتزجي بلبن المرضع وأغرودة الطفل ، ونخيلة الصبي وذاكرة التليذ . فينشأون غداً وكلهم شوقي بلغته ، شوقي بأدبه ، شوقي بمبادئه ، شوقي بغيرته على أمته .

ولعمري ذلك هو النصر والفتح المبين . تلك هي العظمة الحقيقية ، هذا هو الخلود .

﴿ شوقي والنزعة العربية ﴾

« خطاب الامير مصطفى الشهابي »

— (()) —

كنا في أواخر أيام السلطان عبد الحميد عصبة تلامذة في فروق تنداعى خلصة وبعقد بعضنا على بعض وعوداً للاجتماع في غسق الليل نندارس الأدب العربي والتركي والفرنسي وتقرأ من الصحف المصرية ما حرم السلطان علينا مطالعته . وكنا جميعاً دعاة للعربية وسعاة لاستقلال الشرق العربي وقد هلك معظمنا في هذه الغاية فيما بعد وراحوا شهداء حرية بلادهم . ففي تلك الايام السود الحوالك وفي حذر الجرم الخائف المتماك كنت يهيس احدنا في أذن أخيه قائلاً : أترى يتاح للامة العربية شاعر قومي يوقظ منها النيام المسبتين والكسالى الخادرين ، شاعر اذا تغنى فبالليل ويرد الفرات ودجلة ، واذا حن فالى مهد عيسى واحمد والى فراديس القاهرة وجناتها الغناء والى الربوة والغوطتين والى لبنان وبلاد الرافدين ، واذا استعز على الناس واستكبر فبالملك الملاحل من بني غسان وبالفر الميامين من عبد شمس وبالخلائف الصيد من بني هاشم وبالأبطال الاشواس من بني خمدان وبني ايوب وبني الاحمر وبني مرين وبني فاطمة الزهراء وكل قرين لهم عربي او مستعرب ممن طوامم الدهر في طياته لكنه عجز عن طمس أعمالهم الخالدة وأمجادهم التالدة .

وكانت تأتينا من مصر فيما يأتي قصائد شوقي وفرائده فكنا نقرأها بل نستظهرها معجبين بجمال حوكها ومثانة لغتها ودقة التصوير والتحليل فيها . لكنها ما كانت لتشفي منا غليلاً ولا لتطفي في نفوسنا نيران الشباب المتأججة . بل كنا نردد الأستنكار قائلين ما لشوقي ورياض البوسفور يمدحها في قصيدته « البوسفور كأنك تراه » وماذا يعنيه من جسر غلطة ومن نهوكوك صو ومن كلاب الاستانة وحدائقها وقصورها ونحن قد تشبعنا بوصفها حتى التخمة في شعر ادباء الترك ونثرهم امثال توفيق فكرت وخالد ضيا وعبد الحق

حامد وجناب شهاب الدين ومن على غرارهم من الفحول الذين ذاع صيتهم واستفاضت شهرتهم لدى الشعب التركي .

ثم أخذنا نقرأ امداديه في السلطان عبد الحميد وثناءه على العثمانيين وبسالتهم فكنا نتهامس بانه مسلم لاح له ان يطري خلافة فروق القائمة لكنه سها عن باله اننا في عصر النور والقومية بل محب للترك له الحق كل الحق بان يشيد برجالهم وبلادهم لكننا نراه بثني عليهم بلسان عربي لا يفهمه المخاطبون ولا يريدون ان يفهموه .

وكنا والله يعلم نأسف لتلك الجهود الضائعة يبذلها شاعر عربي فحل ما انجبت الكنانة مثله منذ قرون ويوجهها الى قوم لا يكثر ثون لها لانهم لا يفهمونها . اما شباب العرب الذين يدركون تلك الروائع فلقد كانوا عنها في شغل شاغل . وكيف تشجيم هذه الاناشيد وهي ماصيغت لم ولا لبلادهم ولا لقومهم .

وكنا في اسمارنا نقول انرى لو كان فكتور هوغو كتب بلغة غير لغة الفرنسيين قصائده الحماسية الهائلة التي دونها في كتاب «المشاهدات» أفكان يكون لها تأثير يذكر في ابناء جلدته . ولو ظل شوقي يحمس ضباط الترك وشبابهم عشرات السنين بقصائد عربية حماسية تحاكي فرائد المتنبي أفيمكن ان يكون لهذه المضي تأثير كبير يذكر في اناس يجهلون لسانه ولكم لعنا الأقدار التي جعلت مثل هذا الأديب العربي الكبير يكبد لغير قضيتنا ويشيد بغير بلادنا .

ثم دار دولاب الدهر فتارت الحرب الكبرى فطحنتنا فمين طحنته واهلكت عدداً من رفاقنا لكنها ما انقشعت غمامها السود حتى فصلت البلاد العربية عن البلاد التركية وحتى طلع علينا شوقي بسينته المشهورة في الاندلس . وما ان قرأنا فيها قوله :

وعظ البحري ايوان كسرى وشفتني القصور من عبد شمس

وقوله :

وعلى الجمعة الجلالة والناس صر نور الخميس تحت الدرفس

ثم قوله :

صنعة الداخل المبارك في الفر ب وآل له ميامين شمس

قلت ما ان قرأنا له هذه الايات واشباحها حتى هالنا وكبرنا وقلنا الآن بدأ امير

الشعراء يكون شاعر النزعة العربية الكبرى . وقلنا لعل انفصال بلادنا عن بلاد الترك هو ما ولد فيه هذه النزعة أو هو ما حدا به الى اذاعة ما استسر منها في قرارة نفسه ، دون محاذرة دوية الخلافة او مغاضبة ضميره في حبه الخالص للترك ودفاعه الحميد عن الدولة العثمانية .

ثم اختلفنا اليه في لبنان منذ سبع سنين وانا في ذات يوم انسرح الطرف في آكام الجبل وحراجة الملتفة وتنادر ونرسلها افكوهة تتلوها املوحة واذا باحدر فاقنا يتدبره قائلاً يا ابا علي يا امير الشعراء انت شاعر مصر الاكبر وشاعر الاسلام وشاعر الملوك من آل محمد علي وشاعر الخلفاء العثمانيين والترك الكالين وانت الفياض الذي جمع بين وصف الدنيا باجل ما فيها ووصف الآخرة باروع ما في الدين من ايمان وتقوى ، هلا اضفت الى كل هذه النواحي التي سالت فيها مرافق اقلامك ومقاطرها ناحية هي لدينا بكل تلك ؟ فقال رحمه الله وقد تجهم لنا وانتصب على كرسية اي ناحية هذه ؟ وكأنه يستغرب ان يكون ثمة نواح لم تتناولها عبقرية ولم يبد الناس فيها بيانه فقلت هي التي ذرقت شمسها ولاح نور هلالها في اندلسيتك السنية . هي وصف روائع الطبيعة في بلاد الشرق العربي كافة هي تذكرينا بالشموس السواطع من اجدادنا هي حشا على عظيم الأعمال وجليل الشؤون حتى نصبح احراراً في بلادنا . واختلاصة هي ان لا تقتصر نفسك في فرائدك على مصر او على من لا يفهمونك من الترك بل تطمح بها الى البلاد العربية اللسان كلها فتكون شاعر العرب الاكبر وشاعر المنازع العربية الشامية ، ونحن بعد هذا موقنون بان شباب العرب في الشرق والغرب سينكبون على قصائدك يستظفرونها ويروونها في كل مكان ويمزجونها بدمهم حتى انه لو امكن انتقال العلوم والآداب بالوراثه لولد اطفالنا وهم حفاظ لاشعارك مذايع لاخبارها . ثم اضفت قائلاً نحن ما تقاعس شعراؤنا عن القيام بواجبهم نحو مصر وهالك مطران والرافعي وغيرهما دليل ساطع على ذلك كما ان النزعة العربية ما عدت شعراءها كالزركلي وجبري ومردم والخطيب في الشام والرصافي والزهاوي والشبيبي والكاظمي في العراق ، لكن النفس تواقه الى ايمانك بهذه النزعة حتى تكون اميرها وامير شعرائها على التخصيص كما انت امير الشعراء على التعميم .

ولقد رأيت بعد ذلك وجهه المريد يمش لنا ، ولحمت الخير في مرآته ، واذا به يحيب

قائلاً أيها الصحاب كأنني بكم تأتمرون بي لكنكم ما تجاوزتم المكنون في نفسي . فانطلقنا
تباشير بالامر ، واذا بشوقي بطلع علينا بعد قليل أي عندما اجتمعنا لتكريمه في مجمعنا العلمي
العربي الدمشقي في ١٠ آب « اغسطس » سنة ١٩٢٥ ببيتية نونية ممدوح الانس ولا الجن
دمشق واهلها يمثلها منذ ما كانت هذه المدينة الخالدة حتى ايام الناس هذه . وقد تناولت
تلك الدرة وصف دمشق وجنائها والاشادة بالأمويين وملكهم العظيم وذكرت اهل الشام
بانهم أحفاد بني غسان وعبد شمس وحشتمهم على اعادة الملك واوضحت لهم السبل التي تؤدي
بهم الى هذه الغاية . ولولم يكن للفقيد سوى هذه القصيدة في منازعنا القومية لكانت وحدها
منة له في اعناقنا تدوم مادام في بلاد الشام ناطق بالضاد . لكن الراحل الكريم لم يكتف
بها بل ما كادت تنكب دمشق في ثورة بلاد الشام الاخيرة حتى نسج لها قصيدة قافية مهمللة
تحرك الصخر الاصم وتعيد الحياة الى الميت في ترابه ، وقد ضرب بها على الوتر العربي الذي
نحن بصده وهو الوتر الشرقي كما يسميه كثيرون منا ويشيرون بانظمة الشرق الى البلاد
التي يتكلم ابناءؤها العربية قال :

ويجمعنا اذا اختلفت بلاد يات غير مختلف ونطق
ثم لم ينس النزعة نفسها في آيته التي ألقيت في حفلة تكريمه بدارالابرا المصرية فقال :
رب جار تلفت مصر توليه سؤال الكرام عن جيرانه
وقال :

كما أنت بالعراق جريح لمس الشرق جنبه في عمانه
ثم أتحفنا بلامية عصماء في ذكرى استقلال الشام وذكرى شهدائه جاء فيها :
بني البلد الشقيق عزاء جار أهاب بدمعه شجن فسال
قضى بالامس للابطال حقاً وأضحى اليوم بالشهداء غالى
ومازلنا اذا دعت الرزايا كأرحم ما يكون البيت آلا

وقد مدح لبنان وتغنى بجماله ونظم موشحاً في عبد الرحمن الناخل وألف رواية مجنون
ليلي ورواية أميرة الأندلس ورواية عنبرة كل ذلك في السنين الأخيرة من حياته بعد ان
آمن بالنزعة العربية الكبرى ووطد النفس على ان يكون شاعر العرب الأكبر اي
شاعر البلاد التي يتكلم أهلها باللسان العربي كما أبلفت أباً كانت أصولهم وأباً كان

الدين الذي يدبنون به . وقد جلاّ في هذا المضمار وعلا وحلق وقام فينا برسالة . ولو مدّ الله حياته الغالية لانتظمت فرائده بلاد الشرق العربي بأمرها ولتناولت بعض الأقطار التي ما أتاحت له الأقدار زيارتها كالعراق وغيره .

فوالهف نفسي على بلبلس الغريد ونابنا الحزين وربابنا الطروب وحكمنا النعوح ومدرهنا الأروع في مدلهات الشؤون . أثابه الله عن الوطن العربي الاكبر خير ما يتمناه له شبابنا الأحاس كما رتلوا آياته البينات وتغنوا فيها بروائع البلاد ومحمد الأجداد والسلام .



﴿ في ظلال كرمه ابن هاني ﴾

« للاستاذ شفيق بك جبري »

—(١)—

يا كرمه ذويت فيها أمانينا	لا الظل ضاف ولا الافئدة تندينا
يانائح الكرمه الوهي ظلائلها	سقت غصونك أجفان الشجينا
كانت ليالينك بيضا في دجنتها	يرف فيها الهوى ريات مجنونا
ماضاع عمرك الا في مضاحكه	ولا تمليت الا الخفض واللين
لاه عن الدهر مشغول بناعمة	من الشبية في أفياء لاهينا
يا عيشة في حمى اللذات فيأها	سكر الهوى والغواني والخلينا
ملأت جانبها لعبا وتسلية	خير الليالي التي باتت تسلينا
وما الحياة اذا طالت مسافتها	وانت تدرجها ولهاث مشجونا
فما أبالي وعين الموت ساهرة	أعشت عشرين أم عشت الثمانينا

قم ناج كرمته واسأل منابتها	اما على مصر غريد يغنيها
قد كنت بلبلها في عن نهضتها	وفيتها الحق في رأس الموفينا
جعلت ثنائها شعرا تيمس به	أبقى على الدهر من آثار «أمونا»
وحي من الله لم يهبط على ملأ	من الف عام ولم يتزل مثاوينا
دم الجهاد على عطفيه منسجر	يربك في ثورة النيل المياديننا
يخلد النهضة الميموت طالعهما	في ظل قوم على الجلى ميامينا
غنيت بالنيل في شجو ياكركنا	على الكنانة أو عيد بغاديننا
صفت القوافي له في كل نازلة	محبوكة الوشي من وشي اليانينا

لما تفوك عن الاهرام رق لها واف يناجي ذرى الاهرام محزوناً
فما سلوت ظلال النيل في بلد أرخى ظلالته يسرى أمانينا

يا ناظم الشرق في شعر يطاق به على حمى الشرق روحاً أورياحينا
قد كنت تعزية الاسلام في ألم يشتد حيناً وتطويه الاسا حيناً^(١)
كم نوحه لك في خطب أضيف به يخف في نغمها جرح المصايننا
ما زلت تدفع عنه كل عادية حتى تمزق لا دنيا ولا ديننا
مستعبد في ربوع كان سيدها ومستضام بأيدي الأجنبيينا
في كل ناحية عسف يهدمها تكاد تطفح بالشكوى نواحيننا
أين الخلافة في الاسلام مشرقة تلقى على هامة الدنيا التحاسينا
مشت لها الارض واتقادت لطاعتها فما ترى فوقها الا مذاعيننا
يا صرخة في شتات الترك صادقة تكاد تسمع في الترب السلاطيننا
بكيتهم في مصاب هد جانبيهم على أدنة يضمنهم ويضمننا
تلك المناكر ما زالت فظاعتها مل الخواطر والانظار تدمينا
وصفت آثارها في أخت أندلس وصفاً يهجن اهل الغرب تهجيننا
بيننا نراهم على سلم ملائكة تلقى الرجال على حرب شياطيننا
أضحت حضارتهم غشاً ومكذبة فعل الذئاب وأقوال النبيينا
ما زلت أحسن ظناً بالذي زعموا حتى أسأت بدعواهم أظانينا
هذي الظواهر لم تصدق بواطنها أمست على الدهر سراً في عوادينا

يا ويح قلبك لم تهدأ جوانبه عن عبد شمس ولم تهدأ جوانبنا
أملت عليك بقاياهم بأندلس مخلدات القوافي في أمالنا
بنوا وهدمت الأيام بنيتهم وكم بناء لهدم ما بينونا

(١) — جمع أسوة وهو ما يتميز به الحزين .

ملك شئت وتيجان مبعثرة لم يبق من عزها الا تاذينا
شفتك منهم قصور فنها عجب يكدن بعد انحدار الملك يهونا
كانت لنا في خوالي الدهر تهنة فأصبحت في بواقيه تعازينا
لمست فيها عظام الدهر دارجة على بقايا رسوم من أمانينا
مشت عليها الليالي في شدائدها فبدلت عزها الوضاح يهونا
فلا القصور قصور ان نزلت بها ولا للملوك اذا ناديت واعونا
حلم مرحنا به حيناً وتمنية ظلت على زحمة الاحقاب تشجينا
يا وقفة في ظلال الطلح تسألها نشجى لواديك ام نامى لوادينا^(١)
ناجيت نأشجها نجوى هنزت بها تلك الرياحين حتى كدن يبكينا
فأبن في الطلح تيجان تظله وأبن فيه سلاطين يحامونا
بعثت فينا هوى الماضي وروعه والنفس تهتز من روعات ماضينا
تكداد تلمس جنبه أناملنا اذا وصفت فتدنيه وتدنيننا
على نشيدك من تخليده صور زمت حضارتنا فيها أفانينا
سفي كل ناطقة فن يفرحنا وكل هامة سحر يبكينا
صحائف خلدوا فيها مناقيرهم فهل ترى بعدها الا عناونا
كنا بعاني في الأحقاب لامة مضت وما بقيت الا أسامينا

* * *

يادمعة لك في الفينحاء هيبا ملك لروان مغصوب يتاجينا
غنيت بالملك والتيجان هاوية حتى لمسنا مهاوينا بايدينا
فأبن مسجدك الحزون نأله هل قام مروان في حشد المصلينا^(٢)
وابن من عبد شمس سادة درجوا عالين كالشمس لا عاباً ولا هونا

(١) إشارة الى قصيدته الاندلسية رحمه الله :

يا نأش الطلح أشباه عوادينا نشجى لواديك أم نامى لوادينا

(٢) إشارة الى قصيدته في دمشق التي يقول فيها :

مررت بالمسجد الحزون أسأله هل في المصلى أو المحراب مروان

هجت العروبة في أفياء غوطتنا حتى حنونا عليها عبسطينا
بعثتها في الحمى من بعد هدأتها حيناً من الدهر نطويه ويطوينا
نامت خواطرنا عنها فأيقظها سحر القوافي فجاشت في أغانيها
من بعد ما ذهبت عنا خيالها حنت الينا خيلات تناغينا
ذكرى أمية لم تهرح حواضرنا لما بكيت ولم توحش بوادينا
ناجيت جلق في وحي تردده على اعتلاج الأذى فيها مغاينا
على بيانك وشي من خمائلنا وفي قوافيك طيب من رواينا
لم تنس نكبتها والله حارسها لما صبغنا ثرادا من أضحينا
هبت تحيتك الربا تموج بها صبا الاصائل في ريان نادينا^(١)
ففضج كل أبي من شكائنا وثار كل كريم من تغاضينا
غمزتها غمزة هزت جوانبها فانصاع في غفية الأجفان غاينا
قصائد بدم الأحرار مائجة من وحي جلق نعلينا وتعلينا
مغموسة في نجيح من حصائدنا مصبوغة بصباغ من مواضينا
فيها من الثورة الحمراء أمثلة تمثلت في مجاليها معالينا
تلككم أمية كرمنا منازلها فلن ترانا عليها مستذلينا

يا بنت فرعون والأشجان مائجة هلا صبرت وبعض الصبر يسلينا
لو كانت يشفي رثاء في ملتنا صفنا الجوانح شعراً في مرثينا
بصفي النعي خلود في قلائده هذا الرثاء الذي أعيا قوافينا
فتم على الدهر شوقي في دواجننا مورف الظل لا نامت ليالينا
العقريات في الدنيا مخلدة ومن يسد سبيل العبقرينا
ما كان خطبك الا أمة درجت وقد يعادل شعر أمة فينا
هذي أمية لم تهدأ وساوسنا على دمشق ولم تنشف مآقينا

(١) إشارة الى قصيدته التي حيا فيها دمشق :

سلام من صبا بردى أرق ودمع لا يكفكف يادمشق

اهم الحشرات الزراعية

« في مصر والشام »

— — —

الحشرات في العالم آلاف مؤلفة وربما افنى المرء عمره في درس أنواع رتبة واحدة من رتبها . واعرف عالماً ازرياً اخصائياً برتبة مُغَمَّدة الاجنحة سلخ عشرين سنة من عمره وهو مكب على أنواع هذه الرتبة درساً وتنقيباً ولما ينته بعد . وآخر لم يتناول من هذه الرتبة سوى فصيلة واحدة لا يتجاوزها الى غيرها من الفصائل . ولهذا الحشرات اسماؤها العلمية لكنه ليس لكثير منها أسماء باللغات الأوربية حتى اللغات الكبيرة منها .

ويستحيل إيراد الفاظ عربية لهذا الجيش الجرار من الحشرات ولا كبير فائدة للغة في ذلك ، لكنه لا بد من إيجاد أسماء للنشأ تأثير كبير في صحة الانسان وفي مرافقه الاقتصادية .

ومن المعلوم ان النباتات الزراعية عرضة لتلك عدد من الحشرات يها كالجراد والسوس وذباب الفواكه وغيرها ، وان أضرار هذه الحشرات عظيمة جداً فمن الضروري إذن ان نضع لها وحدها على الأقل أسماء عربية يتفق عليها الناطقون بالضاد .

ويمكن اتباع طريقتين في وضع هذه الأسماء وهما : أولاً الرجوع الى اشتقاق اللفظة العلمية وترجمة معناها اذا كان لها معنى او تعريبها اذا كانت منسوبة الى احد العلماء وذلك كما فعلنا في الرسالة النباتية^(١) . ثانياً اضافة الحشرة الى النبات الذي تستولي عليه كأن يقال سوسة الفول وذبابة البرتقال ودودة القطن الخ . وهذه الطريقة هي اسهل من الأولى واقرب من الثانية . وهي متبعة في اللغات الأوربية لكثير من الحشرات لكنها تكون متعذرة كلما كان للنبات الواحد حشرات عدة فتتلك به . وعلى كل لا بد من ذكر الاسم

(١) مجلة المجمع العلمي العربي مجلد ١٢ جزء ٢ .

العلمي للحشرة بجانب اللفظ العربي الذي يطلق عليها وهو ما نرى مثيله في الكتب المطبوعة بلغات أوربة المشهورة ، لأن الاسم العلمي هو الذي يعول عليه طالب العلم مهما كانت لغة الكتاب .

وبعد لقد اوردت في هذه المقالة ٧٤ حشرة من أهم الحشرات الزراعية في مصر والشام . فاما التي في الشام فقد حققتها مديرية الزراعة والمصالح الاقتصادية عندما كنتُ مديراً لها وبعد ذلك ، واما التي في مصر فقد نقلتها عن كتاب « علم الحشرات الاقتصادي » للأستاذ نعمان محمد وكتاب الزراعة المصرية ونشرات وزارة الزراعة المصرية .

وراجعتُ هذه الحشرات في معجم الحيوان للعلامة امين باشا المملوك ومجميع العلوم الطبيعية والطبيعية للدكتور محمد بك شرف فلم اجد معظمها ولهذا رأيت من المفيد اثباتها في هذه المقالة .

وكان بإمكانني ذكر عدد من الحشرات الزراعية الأخرى يعادل هذا العدد لكنني ضربت صفحاتها لأنه ليس لها كبير شأن في القطرين الشامي والمصري :

<i>Abrasca grossulariata</i>	حشرة الصندل ، الماشوط (عاميتان) • دودة ورق اللوز • وهي من ذوات الاجنحة الحرشفية
<i>Acridium peregrinum</i>	جراد الراحل والرحال • وفي الشام الجراد النجدي (<i>Schistocerca gregaria</i>) وهو من مستقيمة الأجنحة
<i>Agrotis ypsilon</i>	الدودة القارضة من حرشفية الأجنحة
<i>Antigastra catalaunalis</i>	دودة قزوين السمسم • من حرشفية الأجنحة
<i>Aphis</i>	جنس المن • وسماه الدكتور امين باشا المملوك جنس الأرقعة والأرقان واليرقان • اما انا فقد كنت أطلق على هذه الألفاظ في كتاب الزراعة العملية الحديثة على دودة القمح الخيطية •
<i>Aphis brassicae</i>	من الملفوف (من ذوات الاجنحة النصفية)
<i>fabae</i>	الفول

<i>Aphis gossypii</i>	من القطن
≡ <i>malva</i>	≡ الخبازي
≡ <i>papaveris</i>	≡ الخشخاش
≡ <i>pisi</i>	≡ البزلاء (بسة)
≡ <i>punicella</i>	≡ الرمات
≡ <i>pyri</i>	≡ الكثرى
≡ <i>rosarum</i>	≡ ورق الورد
≡ <i>rosæ</i>	≡ عسلج الورد
≡ <i>runicis</i>	≡ الحمّاض
<i>Aspidiotus aurantii</i>	الحشرة القشرية الحمراء . حشرة البرتقال القشرية (من ذوات الأجنحة النصفية)
≡ <i>aonidum</i>	الحشرة القشرية السوداء
<i>Asterolocanium pustulans</i>	حشرة التين القشرية (من ذوات الأجنحة النصفية)
<i>Bruchus affinis</i>	سوسة (خنفسة) الجلبان . وهي من مغمدة الاجنحة
≡ <i>irresectus</i>	≡ الفاصولياء
≡ <i>lentis</i>	≡ القدس
≡ <i>pisi</i>	≡ البزلاء
≡ <i>rufimanus</i>	≡ الفول
≡ <i>tristis</i>	≡ الحمض
<i>Calandra granaria</i>	خنفاء الحنطة . سوس الحنطة . وهي من مغمدة الاجنحة
≡ <i>orizæ</i>	خنفاء الأرز . سوس الأرز
<i>Carpocapsa pomonella</i>	ديدنة التفاح (من ذوات الاجنحة الحرشفية)
<i>Cephus tabidus</i>	دبور الحنطة المنشاري (من ذوات الاجنحة العشائية)
<i>Ceratitis capitata</i>	ذبابة الفواكه : ذبابة البرتقال (من ذوات الجناحين)
<i>Ceroplastes rusci</i>	حشرة التين الشمعية (من ذوات الاجنحة النصفية)

Chilo simplex	بق القصب الدقيقي (من ذوات الاجنحة النصفية)
Cimbex humeralis	{ يسمونها ايضاً حشرة الصندل شمالي الشام وهي من غشائية الاجنحة . تستولي على ورق اللوز خاصة
Dacus oleæ	
Earias iusulana	ذبابة الزيتون (من ذوات الجناحين)
Elater segetis	دودة السلك الحديدي . الدودة الصفراء (هكذا يسمي الفرنسيون دودتها وهي من مغمدة الاجنحة)
Ephestia cautella	دودة البلع (حرشفية الاجنحة)
≠ kuehniella	فراشة الدقيق الشبابة
• Epilachna chrysomelina	خنفساء القثاء (مغمدة الاجنحة)
Eurygaster integriceps	{ حشرة السوننة (عامية) . بق الحنطة والشعير . (من ذوات الأجنحة النصفية)
Euzophera osseatella	
Gelchia gossypiella	دودة الباذنجان (حرشفية الأجنحة)
Grylotalpa vulgaris	الدودة القزقلية (من حرشفية الأجنحة)
Haltica brassicæ	{ الحرائة . الخالوش في الشام والجناد في مصر (من ذوات الأجنحة المستقيمة)
≠ oleracea	
Huperia variabilis	برغوث الملفوف (من مغمدات الأجنحة)
Icerya purchasi	برغوث الخضر (هكذا يسميه فلاخو فرنسة لانه ينط كالبراغيث) . وهو موجود في بساتين الغوطة
Laphygma exigua	مسوسة ورق البرسيم (من ذوات الأجنحة المغمدة)
Laspeyresia molesta	البق الدقيقي المفرطح . من البرتقال (من ذوات الاجنحة النصفية)
	دودة القطن الخضر
	دودة الدراق . تكاد تقضي على دراق الغوطة . (وهي من حرشفية الأجنحة)

<i>Melolontha vulgaris</i>	{ الدودة البيضاء • هكذا تسمى دودة هذه الحشرة بالفرنسية (وهي من مغمدة الأجنحة)
<i>Nadasia obsoleta</i>	دودة السنط (من حشرية الاجنحة)
<i>Oxycarenus hyalinipennis</i>	بق بزره القطن (من ذوات الاجنحة النصفية)
<i>Parlotaria calianthina</i>	{ حشرة التفاح القشرية • حشرة المشمش القشرية (من ذوات الاجنحة النصفية)
<i>Phenacoccus hirsutus</i>	{ بق الخطمي • بق الحبسكس الدقيقي (من ذوات الاجنحة النصفية)
<i>Phylloxera vastatrix</i>	حشرة الفيلوكسيرا (من ذوات الاجنحة النصفية)
<i>Pieris rapæ</i>	دودة الكرنب • فراشة الملفوف الخضراء (حشرية الاجنحة)
<i>Plusia gamma</i>	الدودة المقوسة • فراشة غما (حشرية الاجنحة)
<i>Prodenia litura</i>	دودة القطن (حشرية الأجنحة)
<i>Pseudococcus sacchari</i>	بق القصب الدقيقي (من ذوات الاجنحة النصفية)
<i>Psylla oleæ</i>	قل الزيتون • من الزيتون (من ذوات الاجنحة النصفية)
<i>Raphidopalpa foveicollis</i>	الخنفساء الحمراء (مغمدة الاجنحة)
<i>Schizoneura lanigera</i>	{ حشرة المن القطني • من التفاح القطني (من ذوات الاجنحة النصفية)
<i>Scythris temperatella</i>	{ دودة الزرع (من ذوات الاجنحة الحشرية • منتشرة في أنحاء الشام)
<i>Sesamia cerealella</i>	دودة قصب السكر الكبيرة (من حشرية الاجنحة)
<i>Sitotroga certica</i>	سوس الجبوب • وفي مصر سوس الشعير (من حشرية الاجنحة)
{ <i>Stauronotus marocanus</i> <i>Dosiostaurus marocanus</i>	{ الجراد المراكشي • وهو جراد ألف الجزيرة والموصل • ويسمونه ايضاً جراد الجزيرة وينسب الى المستقيبات الاجنحة
<i>Tinea granella</i>	دودة حبوب المخازن (من حشرية الاجنحة)

<i>Tribolium ferrugineum</i>	خنفساء الدقيق (من مغمدة الاجنحة)
<i>Tylenchus tritici</i>	دودة يرقان الحنطة . دودة القمح الخيطية . دودة القمح الثعبانية (وهي وحدها من الذود لا من الحشرات)
<i>Tyngis piri</i>	بَيْر الكثرى (من ذوات الاجنحة النصفية)
<i>Vespa orintalis</i>	الزنبور (دبّور في الشام) من غشائية الاجنحة
<i>Vespa vulgaris</i>	الزُرْقُطَة (عامية شامية)
<i>Virachola livia</i>	دودة الرمان (من حرشفية الاجنحة)
<i>Zeuzera pyrina</i>	قَتَعَ ساق التفاح (من حرشفية الاجنحة)
<i>Zygoena</i>	دودة براعم الكرم (لم تثبت نوعها) . وهي من ذوات الاجنحة الحرشفية . تضر دودتها براعم الكروم وأغصانها الصغيرة في الغوطة .

مصطفى الشهابي

﴿ مجمع اللغة العربية الملكي ﴾

« المرسوم الملكي »

نحن فؤاد الاول ملك مصر

بعد الاطلاع على الامر العالي الصادر في ١٠ ديسمبر سنة ١٨٧٨ بتحديد اختصاصات
الوزارات المختلفة .

وبناءً على ما عرضه علينا وزير المعارف العمومية وموافقة رأي مجلس الوزراء رسمنا
بما هو آت .

المادة ١ — ينشأ معهد باسم « مجمع اللغة العربية الملكي » يكون تابعا لوزارة المعارف
العمومية .

ويكون مركزه مدينة القاهرة .

المادة ٢ — اغراض المجمع هي :

(أ) ان يحافظ على سلامة اللغة العربية وان يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في
تقدمها ملائمة على العموم لحاجات الحياة في العصر الحاضر وذلك بان يحدد في معاجم أو تفاسير
خاصة أو بغير ذلك من الطرق ما ينبغي استعماله أو تجنبه من الالفاظ والتراكيب .

(ب) ان يقوم بوضع معجم تاريخي للغة العربية وان ينشر ابحاثا دقيقة في تاريخ بعض
الكلمات وتغير مدلولاتها .

(ج) ان ينظم دراسة علمية للهجات العربية الحديثة بمصر وغيرها من البلاد العربية .

(د) ان يبحث كل ماله شأن في تقدم اللغة العربية مما يعهد اليه فيه بقرار من وزير
المعارف العمومية .

المادة ٣ — يصدر المجمع مجلة تنشر فيها تنشر أبحاثه التاريخية وقوائم الالفاظ
والتراكيب التي يرى استعمالها أو تجنبها وتتقبل مناقشات الجمهور واقتراحاته .

وينشر على الطريقة العلمية من النصوص القديمة ما يراه لازماً لأعمال المجمع ودراسات
فقه اللغة :

المادة ٤ - يؤلف المجمع من عشرين عضواً عاملاً يختارون من غير تقييد بالجنسية
من بين العلماء المعروفين بتبحرهم في اللغة العربية أو بأبحاثهم في فقه هذه اللغة أو لهجاتها .
ويعين الأعضاء العاملون لأول مرة بمرسوم بناء على عرض وزير المعارف العمومية .
وإذا خلا محل من أحد الأعضاء اقترح المجمع اسم العضو الجديد بأغلبية ثلثي أعضائه
العاملين ويجب أن يصحب الاقتراح بتقرير مفصل لمؤهلاته العلمية ويعين العضو الجديد
بمرسوم بناء على عرض وزير المعارف العمومية .

المادة ٥ - يختار رئيس المجمع من بين ثلاثة أعضاء عاملين ينتخبون بأغلبية أصوات
الأعضاء الحاضرين ويكون تعيينه بمرسوم لمدة ثلاث سنوات بناء على عرض وزير
المعارف العمومية ويجوز عند انقضاء مدته إعادة تعيينه بالطريقة نفسها .

المادة ٦ - تسقط العضوية عن العضو :

(أ) إذا صدر عليه حكم منز بالشرف .

(ب) إذا صدر قرار مسبب لفصله من المجمع بأغلبية ثلثي الأعضاء .

(ج) إذا عجز عن مباشرة أعماله لمرض أو لظروف أخرى .

ويحذف الاسم في هذه الأحوال بمرسوم .

وإذا سقطت العضوية عن عضو عامل للسبب الثالث جاز تعيينه عضواً فخرياً طبقاً

للمادة التالية بشرط أن يكون قد استحق تقدير المجمع .

المادة ٧ - يجوز من غير تقييد بالجنسية أن يمنح لقب عضو فخري للأشخاص الذين
يكونون قد قاموا بخدمات جليلة الشأن في دراسة اللغة العربية أو لهجاتها . ولا يجوز أن
يزيد عدد الأعضاء الفخريين على العشرين . ويمنح اللقب بمرسوم بناء على اقتراح المجمع
وعرض وزير المعارف العمومية .

المادة ٨ - للمجمع أن يمنح لقب « عضو مراسل » لكل شخص مصري أو أجنبي يرى
في استمرار معاونته فائدة كبرى ويكون تعيين الأعضاء المراسلين من وزير المعارف
العمومية وليس لهم عدد محدود .

المادة ٩ - يدعى المجمع كل سنة للانعقاد مدة شهر على الأقل في الشتاء او في الربيع للنظر في المسائل المتروكة بالمجمع كله ومنها اصدار القرارات واختيار رئيس المجمع واعضائه .

يحدد الرئيس موعد دور الانعقاد ومدته ويشعر الاعضاء بها قبل الانعقاد بستين يوماً على الأقل حتى يتسنى لمن يقيمون خارج القطر منهم الاشتراك في جلسات المجمع .
يعقد المجمع في دور انعقاده عشرين جلسة على الاقل ويتداول الرأي في الاعمال التي اعدت منذ دورته الاخيرة ويجب المبادرة ببلاغ هذه الاعمال الى الاعضاء العاملين ليتسنى لكل منهم درسا قبل دور الانعقاد .

ولا تعقد اجتماعات عامة في غير دور الانعقاد السنوي ومع ذلك فيجوز في السنتين الاوليين ان يدعى المجمع للانعقاد دورتين في كل سنة .

ولا تكون قرارات المجمع صحيحة الا اذا حضره اثنا عشر عضواً على الأقل وتصدر القرارات باغلبية آراء الاعضاء الحاضرين فاذا تساوت الاصوات رجح رأي الجانب الذي فيه الرئيس .

المادة ١٠ - للمجمع ان يعهد في اعداد كل فرع من فروع الاعمال الموكولة اليه الى لجنة ينتخبها من بين اعضائه العاملين .

ولهذه اللجان ان تعقد اجتماعاتها في غير المدة المحددة للاجتماعات العامة .

المادة ١١ - يجوز ان يدعى لحضور اجتماعات اللجان والجلسات العامة اشخاص من غير الاعضاء ممن يرى ضرورة مراجعتهم ومعاونتهم في اعمال المجمع وهؤلاء يكون رأيهم استشارياً .

المادة ١٢ - الرئيس هو الذي يتولى الادارة العامة للمجمع وهو الذي يرأس جلساته ويراقب تنفيذ قراراته .

فاذا غاب أو حدث له مانع نأب عنه من بين الاعضاء العاملين الموجودين بالقاهرة اكبرهم سناً .

وان خشي ان يطول غيابه أو أن يستمر المانع الذي حدث له عين وزير المعارف العمومية من يقوم مقامه من بين الاعضاء العاملين .

المادة ١٣ - يحدد مجلس الوزراء ما يعطى للاعضاء اتقيين خارج القاهرة في مقابل الانتقال والاقامة كما يحدد مكافاة الاعضاء العاملين الذين توكل اليهم اعمال دائمة بخلاف اعمال جلسات المجمع والمكافآت التي تمنح لحضور الجلسات ويحدد المجمع نفسه في كل حالة مقدار المكافاة التي تمنح لعضائه المرسلين في مقابل الاعمال الخاصة التي يرى وجهاً لتكليفهم القيام بها .

المادة ١٤ - للمجمع ان يقبل التبرعات التي ترد اليه من طريق الوقف والوصايا والهبات وغيرها على ان قبوله لا يكون نهائياً الا بعد تصديق وزير المعارف العمومية . وتتولى وزارة المعارف العمومية ادارة اموال المجمع .

المادة ١٥ - تلحق ميزانية المجمع بميزانية وزارة المعارف العمومية ويضع المجمع مشروعها في كل عام ويرفعه الى وزير المعارف العمومية لاقراره بالطريقة المعتادة . وتتكون ايرادات المجمع من غلة امواله ومن الاعتماد المخصص له بميزانية الدولة .

المادة ١٦ - تتولى وزارة المعارف العمومية طبع ما يطلب المجمع طبعه بلا أجر وفي هذه الحالة يضاف ما يتحصل من البيع الى حساب وزارة المعارف العمومية .

المادة ١٧ - تتخذ وزارة المعارف كل الوسائل التي تكفل اتباع قرارات المجمع في امر اللغة العربية والفاظها وتراكيبيها وذلك باذاعتها اذاعة واسعة وبامتهاها بوجه خاص في مصالح الحكومة وفي التعليم والكتب الدراسية المقررة .

المادة ١٨ - يضع المجمع لائحته الداخلية وتعرض لتصديق وزير المعارف العمومية .

المادة ١٩ - يلحق بالمجمع الموظفون اللازمون لاعماله وتحدد شروط خدمتهم بقرار من مجلس الوزراء ويكون لرئيس المجمع بالنسبة لمم الرؤساء المصالح من السلطة والاختصاصات .

المادة ٢٠ - على وزير المعارف العمومية تنفيذ هذا المرسوم ويعمل به من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية .

صدر بسراي عابدين في ١٤ شعبان سنة ١٣٥١ (ديسمبر سنة ١٩٣٢) اد .

هذا هو المجمع اللغوي المصري الذي طالما تافت اليد نفوس الناطقين بالاضاد والمجمع العلمي العربي يهني اخاه المجمع المصري ويرجو ان يحقق الامل فيه .

مطبوعات حديثة

— — —

الجواهر

« في تفسير القرآن الكريم »

هذا التفسير هو للاستاذ طنطاوي جوهري العالم المصري المشهور وكنا قرظنا منه ستة عشر جزءاً الأول التي بلغ فيها المؤلف سورة فاطر (راجع مجلد ١٠ ص ٣٨١)
وقلنا هناك ان هذا التفسير أشبه بمعملة تضمنت شرحاً لآيات القرآن ثم تاريخاً وأدباً وأخباراً
وفلسفة وسياسة واجتماعاً وزجراً ووعظاً وتنبيهاً وتحذيراً الخ .

وقد جاء اليوم من هذا التفسير بقية الأجزاء الى الثالث والعشرين والتي بلغ التفسير
فيها الى سورة الرحمن . وهذه الأجزاء التي وصلت اليها تشبه أخواتها في غزارة المادة
ووفرة العلم وكثرة الاستطرادات التي تمت الى آيات القرآن وتفسيرها بأضعف الأسباب
وأقل المناسبات مما يذكرنا بما كنا قلناه أولاً من ان تفسير العلامة الطنطاوي لم يصنفه
للطالب العجول . ولا للضجر الملول . وإنما ألفه للزيت الوقور . الجليد الصبور .
« المغربي »

— — —

اتحاف اعلام الناس

« بجمال أخبار حاضرة مكناس »

— جزؤه الثاني —

من الكلام على الجزء الاول من هذا التاريخ مؤلفه مولاي عبد الرحمن بن زيدان
— في المجلد العاشر — وعلى الجزء الثالث في المجلد الحادي عشر . وكُن فاتنا الكلام

على الجزء الثاني حتى جاءنا فنقول في صفته ما قلناه في أخويه من العناية والقبض وتنهي
الوقائع والحوادث . ويكاد هذا الجزء يقتصر على ترجمة جلالة السلطان مولاي الحسن
المتوفى سنة ١٣١١ هـ . ففي ترجمته تفصيل لتاريخ مراکش الحديث . وفي الكتاب صور
ورسوم تاريخية كثيرة : منها صورة بقايا العرب التي أحداها لويس الرابع عشر الى مولاي
اسماعيل وصورة السلطان حسن وصور كتب من وزراء خارجية فرنسا وبلجيكا وانكا ترا
وابطاليا وصورة استقبال السلطان حسن لسفير المانيا وصورة المركب الحربي الذي صنعه
ابطاليا للسلطان وغير ذلك من صور الوثائق والنقود . ويتخلل الكتاب أبحاث مفيدة :
من ذلك البحث التاريخي المتعلق بأول من ضرب النقود (السكة) قبل الاسلام وبده .
« المغربي »

❖ أهم آثار دمشق ❖

« وهي مجموعة مقالات للتحوري بطرس جواد صفي »

« في ٨٦ صفحة من القطع المتوسط »

بحث المؤلف عن قدم دمشق وعن هيكلها الذي اتخذ كنيسة بيزنطية فمسجداً وهو
المسجد الأموي وعن دار آل العظم والعادية ومنحيتها . ولم يتعرض لذكر الظاهرية وقبة
السلطان صلاح الدين ومساجد دمشق القديمة المهمة وبعض الدور التي تكاد تعادل دار
آل العظم . والكتاب مفيد في الجملة وفيه تحقيق لكن عبارته ركيكة كثيرة الاغلاط
واغرب ماقرأته فيه قوله ان العلم السوري « مؤلف من ثلاث قطع : سوداء وزرقاء
وبيضاء . . . الخ » فاذا كان حضرة القس يجهل الألوان الثلاثة الاصلية لعلم بلاده وهي
اليوم كما كانت عليه ايام الملك فيصل فلينظر اليها في المتحف على الاقل وليذكرها صحيحة
في كتابه .
مصطفى الشهابي

فن التعريب

— عن اللغة الفرنسية —

« تأليف السيد ادوار مرقص »

كتاب ملاً فراغاً كانت البلاد بحاجة ماسة الى ملئه ، لان النقل من اللغة الفرنسية الى اللغة العربية صناعة لا يجيدها الا المتضامع من اللغتين معاً حتى يستطيع ان يضع الترجمة العربية في قالب فصيح يفهمه القاري ولو لم يكن له إلمام بقواعد اللغة الفرنسية وبيانها وأساليب تركيبها . ومن ترجم ترجمة حرفية أنت ترجمته سقيمة المبني والمعنى يمجها القاري لركاكتها ومخافة تركيبها العربي ، هذا فضلاً عن انها تشوه محاسن الموضوع الذي تُرجم عنه . وبعكس ذلك اذا ألبس المترجم ترجمته لساناً عربياً فصيحاً لان لكل لغة بياناً وفصاحةً يختلفان عن اللغات الأخرى .

قسم السيد ادوار كتابه هذا الى أبواب درّج فيها المترجم تدريجاً حسناً فوضع له أسس القواعد وشئ الملاحظات . ثم ذكر له الألفاظ والتعابير المستعملة في اللغة الفرنسية وقابلها بما مائلها بالمعنى في اللغة العربية الفصحى ثم جملاً من الكلام الافرنسي المجازي الذي اذا ترجم بحرفه جاء النقل سقيماً وغير مفهوم البتة من أبناء العرب ، ثم أمشالاً وعبارات جارية عند الافرنسيين مجرى المثل في كثير منها تورية أو كناية فبسط للمترجم الطريق التي يجب ان ينهجها في مثل هذه الأحوال ، الى غير ذلك من الأمثلة والتمارين المفيدة .

عبد الله رعد



الرسائل الضائعة ورسائل أخرى

« تأليف السيد سامي الجريدني »

قال المؤلف عن الرسائل الضائعة ، التي نشر ترجمتها في هذا الكتاب ، انه اقتضيتها من رزمة أوراق غفلت عنها إحدى السيدات فغادرتها في حافلة قطار ووجدواها صدفةً فيه كل يقصد وجهة غير وجهة الآخر . فالتقط الأوراق ولم ينشر ما فيها الا بعد عودته

من فرنسة خوفاً من مقاضاة السيدة له في المحاكم . هذه الرسائل عبارة عن مكاتبات بين صديقة وصديقتها الواحدة منهن في باريز والأخرى في لندرة . تشرح الأولى للأخرى أحوالاً خاصة غرامية وغيرها ، وتبثها خواطر مختلفة . وتشرح الأخرى للأولى أحوال الانكليز وعاداتهم ونوع معيشتهم ومخالطاتهم الى غير ذلك من الموضوعات وكذلك أحوالاً غرامية مرت بها كانت نتيجتها ان تزوجت من أحد الغباط الانكليز .

في هذه البيانات عبرت كثيرة وحكايات ضافية عن عادات الانكليز بماها القاري فيما لو كانت مجموعة على حدة في كتاب خاص الا انه لا يسأط مطالعتها في هذه الرسائل لاختلاطها في الموضوعات الأخرى وخصوصاً لان المؤلف أتى على ترجمة هذه الرسائل بطريقة بيانية سلسلة متبعاً فيها أسلوب البيان الغربي . وقد أصبحت هذه الطريقة في عهدنا مستحبة أكثر من الطريقة العربية القديمة فكل جديد لذة . وقد طالاها باعراب عربي لا شائبة فيه .

اما الرسائل الأخرى فعبارة عن مقالات في الثورة العالمية وفي مبدأ القوميات وفي ميزة المدنية الغربية وفي حقوق الأمم وسوى ذلك من المقالات الاجتماعية ذات التعليم الصالح والفوائد الغزيرة نشرها أولاً في إحدى المجلات المصرية ثم طبعها في هذا الكتاب نعمة للفائدة . وهو حري أن يقتنى في البيوت فعبارة صحيحة من دون تكلف ومن دون استعمال الغريب في الكلام والتركيب ، وعليه مسحة أدب تشفع بوضعه بين أيدي السيدات .

عبد الله رعد

—••••—

هدايا كتب

أسست في مدينة (داهيل) من مضافات (سورات) في الهند — إدارة تأليف باسم (المجلس العلمي) برعاية العلامة السيد محمد انور شاه الكشميري أستاذ الحديث في (الجامعة الإسلامية) بداهيل . وقد اعتنى هذا الأستاذ جد العناية بوضع مصنفات في الدفاع عن الدين الإسلامي ولا سيما ما يتعلق بمناقشة (القاديانيين) وتزييف آرائهم ولم

يكتف بذلك بل حمل تلامذته أيضاً على مشايعته في وضع امثال هذه التأليف وقد أرسل
الى مجمعنا السيد احمد رضا البجنوري (ناظم المجلس العلمي) طائفة من هذه المطبوعات
(باللغتين العربية والفارسية) نسردها فيما يلي شاكرين لهؤلاء الفضلاء جميعاً مساعدتهم الحميدة :

(١) غريدة الاسلام في حياة عيسى عليه السلام تصنيف محمد انور شاه الكشميري

(٢) اكفار الملحدين في ضروريات الدين

(٣) نيل الفرقدين في مسألة رفع اليدين

(٤) كشف الستر عن صلاة الوتر

(٥) الجزء الاول من (هدية المهديين في آيات خاتم النبيين) تصنيف الاستاذ محمد

شفيع الديوبندي .

هذه المصنفات باللغة العربية اما المصنفات باللغة الفارسية فهي :

(١) (الروح في القرآن) تصنيف العلامة شير احمد عثمان ديوبندي استاذ التفسير

في (الجامعة) المذكورة .

(٢) خوارق عادات . معجزات وكرامات تصنيف العلامة الموما اليه

(٣) (صدى ايماني) تصنيفه ايضاً

وفي ذيل هذه الرسالة رسالة اخرى باسم (نور ايمان) تصنيف مولانا مولوي بدر .

(٤) صدع النقاب عن حساسة الفتناب (البنجاب) تصنيف السيد محمد ادريس سكر

دهوي استاذ دار العلوم في ديوبند وهي منظومة باللغة العربية وشرحها بالفارسية .





العدد ١٣٣٩ : هـ الموافق ١٩٢١ م

تشر في دمشق مرة في اشهر

آذار ونيسان سنة ١٩٣٣ م

الموافق ذي الحجة سنة ١٣٥١ ومحرم وصفر سنة ١٣٥٢ هـ

—•••••—

دمشق :

المجمع العلمي العربي

—«»—

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ٢٥٠ قرشاً سورياً
الدفع مقدماً { وفي جميع الاقطار ٦٠ فرنكاً

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

في الداخل ٥٠٠ من السنة الاولى الى السادسة الى كل سنة منها

في الخارج ٦٠٠ // السابعة الى الثانية عشرة // ٣٠٠

// الاولى الى السادسة // في الخارج ٦٠٠

// السابعة الى الثانية عشرة // ٣٥٠

ماهية الجنون وتاريخه

—(«)—

تكلمت في محاضراتي السابقة عن المسكرات الغولية والكوكائينية . ومما قلته في نتائجها ان إدمانها يؤدي الى فساد الأخلاق واستحالة العنصر والجنون وقد رأيت من الضروري قبل متابعة هذا البحث ان أقول كلمة في ماهية الجنون وتاريخه لما في هذا المسمى من الغموض الناشئ عن خروج هذه الكلمة عن معناها الحقيقي ، وعدم فهمها بمعناها العلمي ، على ان أعود بعد ذلك الى درس بقية السموم النفسية فأقول :

تتألف حياة الانسان من أفعال عضوية حسية وحركية ومن أفعال نفسية ، منها العقل . وأهم عناصره : الذاكرة ، والانتباه ، والإدراك ، والشعور ، والقياس ، والحكم . ومنها الفاعلية ومن عناصرها الإرادة . ومنها الانفعالية ومن عناصرها العواطف والشهوات والميول .

وكما ان الأفعال العضوية تختل وتمرض ، كذلك يمتري الأفعال النفسية تنذر ، منه النقص ، ومنه الازدياد المرضي ، ومنه الفساد . فاذا نقص عقل المرء أصبح معتوهاً أو أبله أو أحمق ، واذا نقصت إرادته يصير موسوساً قلقاً ومن النفس ، واذا نقصت انفعاليته يمسى مجذوباً لا يبالي ولا يكثرث بامر من امور الحياة . وكذلك يقال في ازدياد هذه الأفعال ، فاذا وقع الاحتداد في الأفعال العقلية أصبح المرء نشطاً كثير الكلام سريع الجواب شديد الحركة لا يستقر على حال . يتحرش بالناس أشبه به (بزنبك) الصندوق الحاكي اذا أفلت من عقاله ، يكثر لفظه ويقل معناه . واذا حصلت الحدة في الفاعلية

(١) محاضرة للاستاذ الدكتور أسعد بك الحكيم أُلقيت في ردهة المجمع العلمي

في ٢٨ تشرين الثاني سنة ١٩٣١

يمسي صاحبها سريع الغضب بطاشاً متعجرفاً أزور . ويولد فرط الانفعالية : أنواع الخوف
وشدة التأثر والمستريا . أما فساد هذه الافعال فينشأ عنه الهذيان وأنواع الجرائم وسوء
الخلق على تنوعه .

تلك هي الحالات النفسية الشاذة التي تطلق عليها كلمة الجنون . وقد جعل بعض
الكتاب العبقريّة أو النبوغ من أقسام الجنون بدعوى انها زيادة في الأفعال العقابية ،
وهذا خطأ فادح ، لان الزيادة المقصودة في هذا البحث هي الزيادة المرضية التي تشبه
سرعة حركة الصندوق الحاكي عندما بفلت زنبركه .

ومن الخجل المبكي ان البشرية حتى أوائل هذا العصر لم تكن بغير صحة الجسم
ومكافحة الأمراض العضوية ، مهملّة صحة النفس التي منها يتألف كيان الأمم الأدبي
والعلمي والصناعي والاجتماعي . ومن مفاخر القرن العشرين تلافيه هذا النقص وأخذ
يعالج الأدوية النفسية كسائر الأمراض العضوية . وما اتحد الامم العظمى في منع
المسكرات وتحريم المخدرات ومكافحة الأمراض الاجتماعية الا مظهر من مظاهر هذا
الجهاد المدني الحديث المقدس .

وبعد هذه المقدمة الوجيزة أدخل في صميم الموضوع فأقول :

ان تاريخ الأمراض النفسية والمصابين بها مرتبط من حيث التطور العلمي والاجتماعي
بتاريخ البشرية العام ارتباطاً محكماً يصح معه ان يقال : ان تاريخ الجنون والمجانين هو
تاريخ العلم والاجتماع والعكس بالعكس . وذلك لان الجنون من حيث انه علم بدلنا تاريخه
على مقدار ما أدركته العقول البشرية من حقائقه عند كل أمة وفي كل عصر ، كما ان
المجنون من حيث انه انسان فقد احدى مميزاته النوعية بعامل المرض فأصبح غريباً عن البيئة
بمظاهره وأقواله وأفعاله بطلعنا تاريخه على الأنظمة الاجتماعية والقوانين المدنية .
والعواطف والمشاعر الانسانية في مختلف مراحل التاريخ وعند جميع الشعوب . وعلى هذا
يمكننا القول : ان أرقى عصور البشرية علماً هي التي عرفت فيها ماهية الجنون وان أبهى
أيام البشرية حضارة هي التي عومل فيها المجنون معاملة المرضي بالرأفة والشفقة والاحسان .
ونظرة عامة في صفحات التاريخ تكفي لاثبات هذه الحقيقة الراحنة .

الجنون في العصور القديمة . — كان الانسان أياً السادة في عهده الاول ضعيف الخبرة قليل التجربة لا يستقرأ الحوادث ولا يختبرها بل ينظر اليها بعين عقيدته فيؤولها حسب ما يوحى اليه الوهم والخيال . وبالنظر لما كان عليه من الايمان بسيطرة الارواح والشياطين على العالم كان يعتقد بان الجنون مس شيطاني فيعالجه بالسحر والعزائم حيناً حتى اذا أشقى يعمد الى ظره اي حربته الصوانية فيشج بها رأس المجنون ليخرج منه الشيطان الشرير . ثم لما ارتقت مدارك البشر وتبدل الاعتقاد بماهية الالهية ذهب الانسان الى ان الجنون من غضب الالهة فراح الى الكهنة والعرافين يتقرب بهم اليها لخلصه فيتدبرونه بالتعاون والرقى والطلاسم والقرايين وغيرها . وفي تاريخ العبرانيين أمثلة كثيرة على هذا المعتقد فقد قيل في شاول ان الشيطان احتل جسده عندما قاصه يهوه (أي الاله) وهجره كما قيل في بختنصر ان أنامل الرب لمسته فقلبتة وحشاً .

الجنون والمجانين عند اليونان . — وقد كان اليونانيون يعتقدون بان من الجنون ماهو آهي فيكرمون صاحبه اكرامهم بيتي الدلفية التي كان يهتف ايولون بقبها . ومنه ما هو شيطاني يمت صاحبه بصلة الى الأرواح الخبيثة فينفرون منه ويتعهدونه بأنواع العذاب والقتل . وهناك نوع ثالث وهم الأبرياء الذين مسهم الشيطان بضر فقد كان الكهان يتدبرونهم في الهياكل بأنواع الطقوس الدينية وغيرها .

ويظهر أن اول من عالج الجنون بالعقاقير عند اليونانيين ملايتوس الارغوسي سنة (١٥٢٦) ق م فقد شفى بنات فيتوس ملك الارجنيين بمعالجتهم بالخرق والاستحمام بالمياه الحارة . ثم جاء اورفي (Orphée) فعالج المجانين بالرقى والموسيقى . وعقبه شيرون (Chéron) ثم تليسنده اسقليوس (Esculape) الملقب بالآله الطب (١١٤٣) ق م الذي نحت له التماثيل وشيدت الهياكل في كنيده وكوس ثم ايدور .

وقد كانت هذه الهياكل ملاجي للرضى لا سيما للمصابين منهم بالجنون والآفات العصبية فانهم كانوا يؤمنونها من كل حدب وصوب حاملين اليها ما تقوى عليه أيديهم من الهدايا والندور والقرايين فيتدبرهم الكهان فيها بالطقوس الدينية الغريبة الشكل . وقد

كان يعالجهم اسقليوس وتلاميذه بالمؤثرات الطبيعية والرياضة البدنية والملاهي المختلفة كالقناء واللعب وغيرهما .

أما ماهية الجنون العلمية فقد ظلت مجهولة مدى تلك العصور الطويلة . ولذلك كان المصابون ببعض أنواع الهذيان والذين يرتكبون جنابة بدافع المرض يعاقبون كالاصحاء بأشد أنواع العذب كالسجن والقتل والجلد والحرق بالحديد المشتعل . وقد كان الرومان يلقون بهم ما بين مخالب السباع الضارية أيام الاعياد ويتلذذون بمشاهدة تمزيق أوصال أولئك المرضى الأبرياء من أعلى شرفات مسارحهم مما ينكره العلم ويتفطر له قلب الانسانية . وهذا دليل على سيادة الجهل وتأخر العلم والمدنية في تلك العصور الغابرة . وقد ظل الاعتقاد سائداً عند جميع الشعوب على اختلاف مواطنهم بأن الجنون آلهي أو شيطاني حتى سنة (٤٠٠) ق . م حيث أتى أبقرات الذي انتهى عنده عهد طب الأديرة والهياكل فقد مزق بأشعة حكمته أضاليل تلك العصور ، وأماط عن حقيقة الجنون اللثام فقوض دعائم الاعتقاد بمصدره الشيطاني وأوضح بأنه مرض كسائر الأمراض مركزه الدماغ . وإن الدماغ هو العضو الذي يهتدي به الانسان ويتأثر ويخاف ، ويفكر ويفهم ، ويميز الخير من الشر إلى غير ذلك من الحقائق العلمية الفسيولوجية والنشربجية . وقد وصف أبقرات أنواع الجنون المبينة كالمانيا والماليخوليا والضرع والاعصبة (Névroses) أي مرض الاعصاب وقلنا فيها أعصاب كما يقال كبد وقلب على التماس ووصف الهذيان الحاد المترافق بالحمى وأسماء الفرانيطس . وذكر أيضاً الانقصة التي تنشأ عن الحمل والتجز (Psychoses) وهي جمع نفاس أي مرض النفس اشتقاقاً على القياس وقد وضعت لها لعدم وجود كلمة تدل على هذا المدلول سواها . وكان يتداوى هذه الادواء بالفصد والمسهلات والمقيئات والحمية والرياضة البدنية والموسيقى والتسباحة والخريق وغيرها . ووصف أبقرات أيضاً المستريا وجعل منشأها الرحم ولذلك دعاها احتشاق الرحم . فهو والحالة هذه أبو الطب ومبدع الطب النفسي .

الجنون والمجانين عند الرومان . — ثم انتقل الطب الى روما فظهر سنة (٨٠) ق . م اسقلييدس (Asclépiade) قسم الجنون الى جنون حاد مع حمى او فرانيطس والى جنون

منزمن بلا جبي ومنه الماتيا والماليغوليا . و فرق ما بين الوهم (Hallucination) والتخيل (illusion) . وفي سنة خمسة قبل الميلاد قال سلسز (Celse) بتقييد المجانين بالسلاسل وقصاصهم . ثم ظهر غوليوس اوراليوس (Coelius Aurelianus) فاشتغل بمعالجة الاسراض النفسية بصورة خاصة ودعا الى معاملة المجانين باللين والحسنى . وأبلى في مقاومة الفكرة القائلة بغيرهم وتعذيبهم ومعاملتهم بالشدة والقسوة بلاءً حسناً . وقد كان لا يميز استعمال الربط الا في حالات الهياج الشديد على ان تكون من القماش اللين اللطيف وبصورة لا ينال بها جسم المريض اذى .

وفي سنة ١٣١ أتى جالينوس فلم يزد في طب النفس على ما جاء به أسلافه شيئاً يستدعي البحث أو الذكر .

هنا انتهى عصر العلم اليوناني الروماني الزايف ذلك العصر الذي أضاع سماء العالم بنور العلم الصحيح فهداه الى محجة الصواب ومعرفة الحقيقة ، وبدأ زمن الفترة ، زمن اليه الذي ضل به البشر ستائة سنة في غياهب الجهل الناحي عن الحروب والفن الدينية والمذهبية ، فتوقف نمو العلم واضطرب رجاله وأجند بالتفكير والانحطاط ، وتطرق اليه الفساد واستولى عليه الكهان وأعادوه الى المعابد والهاكل ثانية ، فزوى بعد النضارة وأقفر بعد الخصب ، وعاد العالم الى ظلمة الجهل الاولى ورجع اليه الاعتقاد بان مصدر الجنون لا اله الا شيطاني ، ففتحت للمجانين أبواب الأديرة والبوامع يحلون فيها المصابين منهم بالمذيات التصوفى والديني . اما المصابون بالهذيان المخالف للبشرائع والمعتقدات فقد كانوا يزجون في أعماق السجون يلاقون فيها أشد أنواع العذاب . وبالنظر لما كان يلاقه الحكماء في هذا العهد من الجور والاضطهاد هاجر عدد منهم الى الشرق ، وأسسوا في حنديسابور مدرسة للطب كان لها في نقل العلوم الى العرب الحظ الأوفر .

الجنون والمجانين عند العرب : — وهنا على ذكر العرب تترك الغرب هنيهة يتخبط في ظلمة جهله ، وننتقل برهة الى الشرق ، الى تلك المدجئات القاحلة لتشاهد المجنون بهم سيف فلولتها على وجهه ولازلدع ولازاجر ، ثم لتراه ممسوساً ومن حوله الكهان والعرافون . وعليه التائم والطلاسم ، وأمامه النار يتصاعد منها دخان العود والند ، يعزموه بها على

الجنني ليخرجوه من ذلك الجسم الضعيف ، ثم لبصره مريفاً في مستشفيات بغداد ودمشق ومصر وقرطبة مضطجماً على فرش من القطن اللين في ردهة يتنازع جوها الهواء والنور ، وأمامه الرازي وابن سينا ومهذب الدين عبد الرحيم وابن زهر وغيرهم ومن حولهم الخدام والمشارفون يتعهدونه بأنواع الاشربة المسكنة والمرطبة ، ويغذونه بمرق الدجاج وأنواع الالبان بينا الموسيقى تصدح خلفه بالخانها الشجية . ثم للنحظة وقد تحولت تلك المصحات الى مجازر مظلمة مكبلاً كالوحش الضاري بالسلاسل والاغلال عاري الجسد تنهال عليه زبانية العذاب بالسياط كلما قمل أو صاح والناس من حوله بقيقون ويسخرون . وهناك تقف وتساءل : ألا يوجد ما بين تعريف الجنون ومعاملة المجنون عند الامة الواحدة وبين الرقي العلمي والاجتماعي فيها صلة تصح أن تكون معياراً أم لا ؟ هنالك نلتقي بالغرب حيث تر كنساء يتخبأ في ظلة جهله ، فيسير هو . وتقف نحن .

كان العرب أيها السادة في عصر جاهليتهم يعتقدون كسائر الامم القديمة بان الجنون شيطاني فيعالجونه بالرقى والتائم والندور والسحر والعزائم ؛ وقد ظل هذا الاعتقاد سائداً عندهم حتى الصدر الاول من الإسلام . فقد جاء في شعر مجنون بني عامر :

وجاؤا اليه بالتعاوند والرقى وصبوا عليه الماء من ألم النكس

وقالوا به من أعين الجن لحظة ولو عقلوا قالوا به أعين الانس

وقد كان يقوم بهام هذه الصناعة الكهان والعرافون ، وكانوا يطلقون كلمة الجنون على جميع الآفات النفسية حتى على العشق ، وينعتون بالجنون كل من يخالفهم في عاداتهم فيجيب بما ينكرون ، ولم ينقل عنهم انهم كانوا يؤذون مجانينهم بغلهم وتعذيبهم بل كانوا يطلقونهم يهيمون على وجوههم حيثما شاؤوا فيعترضهم الصبية يسخرون بهم ويضحكون منهم كما هي الحال اليوم في كثير من المدن الشرقية . ثم لما أضاء الاسلام بصائرهم ضربوا في طول الارض وعرضها فقوضوا عروش القياصرة والاكاسرة وأسسوا في حنة من الزمن مملكة عظيمة ذات حضارة ومدنية رفيعة لم تسبقهم الى مثلها أمة من الامم . واتجهت أبصارهم الى العلوم الطبيعية والعقلية فألفوها حيث تركناها في هذا البحث مهجورة منبوذة تفتك في صحفها عوامل الامل والنسيان ، فاتجهوا اليها بكليتهم واستخدموا في سبيل جمعها وإحيائها كل ما أوتوه من سلطان شائح ، ومال زاخر ، ومجد باذخ ، فنبت بذور العلم القاحل ثمة

تزهو بالوان عربية جديدة في جميع الممالك الاسلامية ، وشيدت فيها المستشفيات الواسعة الأرجاء ودور الحكمة والصيدليات ومجالس الادب والمناظرة . وعاد الطب النفسي الى سيرته اليونانية الرومانية الاولى فعرف الناس ان الجنون مرض كسائر الامراض الجسمية ، وان مركزه الدماغ ، وعالجوه بالادوية والتدابير الصحية والعوامل الطبيعية والتلقين ، وجعلوه فرعاً من فروع الطب متمزجاً بفرع الجهاز العصبي كما هو عليه اليوم ، وأدخلوه المستشفيات العامة ، وخصصوا له فيها غرفاً خاصة كانوا يسمونها غرف الممرورين ، والقوا في بعض أبحاثه كتباً خاصة . قال ابن أبي أصيبعة في عيون الانباء : « شاهدت يوماً شيخني مذهب الدين عبد الرحيم في البيمارستان النوري في دمشق ، وقد دخل قاعة الممرورين فرأى فيها رجلاً مصاباً بالمرض المعروف بالماتيا وهو الجنون السبعي فوضف بان يضاف الى ماء الشعير في وقت إسقائه اياه مقدار متوفر من الافيون ، فصلح ذلك الرجل وزال ما به من تلك الحال » . وذكر ايضاً : ان الطبيب موفق الدين عبد اللطيف البغدادي كتب مقالة في المزاج ومقالة في الرسام ومقالة في العلة المراقية . وان جبريل بن بختيشوع شفى جارية للرشيد كانت مصابة بشلل هستريائي بصدمة نفسية . وقال ابو القاسم النيسابوري في كتابه عقلاء المجانين : دخلت البيمارستان في البصرة فشاهدت في المجانين الخ^(١) مما يدل دلالة واضحة على انه كان يوجد في المستشفيات في ذلك العهد غرف خاصة بالامراض النفسية ، وعلى إدراك الاطباء ماهية الجنون وعدم تعريقهم بينه وبين سائر

(١) وجاء في كتاب الجوامع والمدارس صورة وقف البيمارستان القميري وهي : هذا وقف ابي الحسن بن ابي الفوارس القميري على بيمارستانه في الصالحية على معالجة المرضى والمعاجين والاشربة وأجرة الطبيب ، يصرف الى الطبيب في كل شهر لواحد سبعون درهماً ونصف غرارة من قمح وللمشارف كذا وللكحال كذا وللحوائج كذا والى ثلاثة رجال كذا ولان يقوم بمريضات النساء والمجنونات في كل شهر لكل واحدة عشرة دراهم وسدس غرارة قمح الخ . . . وجاء في خطط الشام : في صك وقف احد المستشفيات في حلب بان كل مجنون يخص بمخادمين فينتزعان عنه ثيابه كل صباح ويحملهان بالماء البارد ثم يلبسانه ثياباً نظيفة ويحملانه على أداء الصلاة ويسمعانه قراءة القرآن ، بقراءة قاريء حسن الصوت ثم يفسحانه في الهواء الطلق ويسمع في الآخر الاصوات الجميلة والنغمات الموسيقية الطبية .

الامراض الجسمية من حيث الماهية ، وعلى اهتمامهم بدرسه ومعالجته بالطرق العلمية الفنية مما لم يوفق الطب الحديث الى مثله الا منذ بضع سنين ، هذا وبالنظر لبلوغ الممالك الاسلامية في ذلك العهد درجة رفيعة في الحضارة والمدنية اللتين من لوازمها النظام والامن لم يعد من الممكن ترك المجانين مطلقيين بطوفون في المدن كما كانوا عليه في الزمن السابق وكما هم عليه اليوم في البلاد الشرقية ، وذلك لما يظهرون به من المظاهر المخالفة للشبهة والآداب العامة ، ولما يأتونه من الاعمال المخلة بالانظمة والادارة والمقلقة لراحة الناس ، فأمر المنصور العباسي بان تبني لهم دور خاصة يحجر عليهم فيها منعاً لاضرارهم والاضرار بهم ، فشيدت في كل بلد من البلاد الاسلامية دار للمجانين . واذا تصفحنا كتاب عقلاء المجانين لابي القاسم النيسابوري نجد فيه ذكر كثير من هذه المؤسسات الخيرية في جميع المدن العربية كدار المجانين في الموصل وفي البصرة وفي نيسابور وفي الشام وبغداد ومصر وغيرها . والمنصور الفخر الاعظم بانه لم يسبق الى مثل عمله هذا في تواريخ الامم المتقدمة . وقد نبغ في الطب في هذا الدور في البلاد الاسلامية أطباء عظام تخلد التاريخ ذكرهم منهم الشيخ الرئيس ابن سينا والرازي والمجوسي وابن زهر وغيرهم ، فقد أضاف كل منهم الى ما كتبه من الموسوعات الطبية فصولاً ضافية في الامراض النفسية تدل دلالة واضحة على سعة علم وكبير دراية وخبرة وحذق وتجربة في هذا الفرع الطبي .

هذا وبالنظر لما للطب النفسي من الصلة المباشرة بعلم النفس تتلواته أفلام كثير من العلماء والفلاسفة والادباء غير الاطباء فألفوا في قسمه الادبي كتباً على غاية من الاجادة ، من ذلك كتاب الحمقى والمغفلين الذي وضعه ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ فهو من خيرة ما كتب في الحمقى وتعريفه ووصفه حتى اليوم . ومنها كتاب عقلاء المجانين وكتاب الانذكياء الاذنين وضعهما ابو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٦ هـ فقد أتى في مقدمتهما على تعريف الجنون وأسمائه وضرره والذكاء وأقسامه مما يدل على ان معرفة ماهية الجنون لم تكن خاصة بالاطباء بل كانت عامة تتلواتها أفلام الكتاب والادباء والسنة الناس في سمرهم ومجالس ههوىهم في ذلك العصر الزاهر .

غير ان العوائل الزمنية التي قصت على حكمة أبقراط وتلاميذه لم تشأ الا أن تطرق

الى هذه المدنية العربية الفتية وتفسدها وتشوه من محاسنها . فقد أصاب المسلمين في بدء نهضتهم ما أصاب غيرهم من الاختلاف والتشعب في الطرق والمذاهب التي كان من نتائجها السيئة انصراف الناس عن العلم واشتغالهم بالبدع . نذكر من ذلك العود الى الاعتقاد بان الجنون روحاني أو شيطاني والاخذ بمعالجته بالطلاسم والحجب والتائم والرقى والعزائم وغير ذلك مما حمل الغربي في العصر الاخير على القول بان الاسلام ينظر الى المجاذيب كأولياء مقدسين ، بينما هذا الظن فاسد يدحضه على ما أتينا على ذكره مما كان عليه الجنون والمجانين عند المسلمين وخلفائهم في صدر الاسلام . ولعل السبب في حرمة فريق من العامة لبعض المجاذيب ان العقلاء من رجال الدين والتقوي في ذلك العصر المتأخر ساءهم ما يشاهدونه من ازدراء الناس بالمجانين وتعرضهم لهم بالاذي والحزء والسخرية بهم مما تشكره الشريعة الاسلامية التي تأمر بالاحسان والمعروف وتنهي عن الشر والاذي فأخذوا يرشدونهم بقولهم : ماهؤلاء الا عباد الله فلا تسخروا بعباده وأحسنوا اليهم يحسن الله لكم الى غير ذلك من عبارات الوعظ الصالح الذي أساء العامة فهمه ولم يحسنوا العمل به .

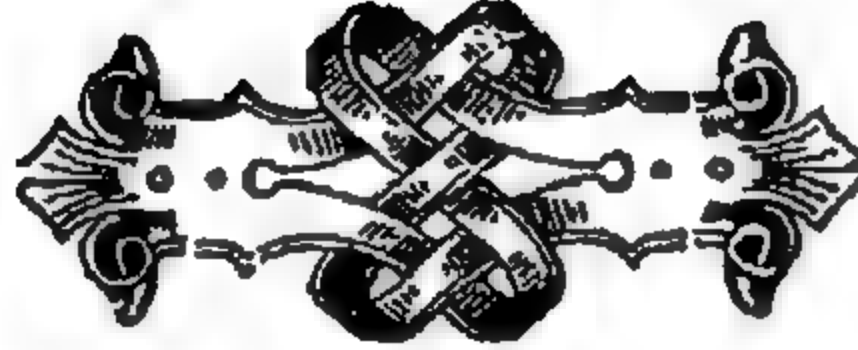
قال الطيبان لوف وسيريو (Lwoff et Sérieux) اللذان أوفدتها وزارة المعارف الافرنسية الى مراکش سنة ١٩١٠ لدرس الامراض النفسية فيها وكيفية مداواتها في كتابهما المسمى المجانين في مراکش مانصه :

« اذا صح القول بان اسعاف المرضى بالآفات النفسية ومداواتهم مفقودان في مراکش فان السبب في ذلك ليس ناجماً كما يظن عن عدم تلائم بين الاسلام ومداواة الامراض النفسية ، بل يمت الى مصدر واحد : هو هوة الانحطاط التي تتدهور فيها مراکش منذ عهد بعيد ، فان عصيان القبائل المتواصل والحروب الاهلية التي يثيرها ذوو الاغراض وعدم استقرار البلاد من جراء مطامع الدول الاجنبية المتسلطة يستغرق كل فاعلية الحكومة الشريفة ، كما ان قلة موارد البلاد وعدم الثقة بالغد والنوضى الضاربة في جميع أنحاء البلاد تعلق لنا عدم اكتراث السلطة المركزية الموقفة بكل ما يتعلق بالاسعاف العام . أضف الى ذلك اندثار التعليم الطبي منذ عصور كثيرة واندثار دور العلم التي كانت مدارس العالم الاسلامي العظمي في العصور المتقدمة مما قضى على جميع المبادئ العلمية

المتعلقة بالامراض النفسية ومداواتها . وفسح مجالاً لاستيلاء أضرال الاولين وخرافاتهم على أذهان الناس . وعلى ذلك نقول : ان أحوال المجانين الحاضرة في مراکش تنسب الى أسباب اجتماعية فقط وليس الى أسباب دينية .

« هذا وان تاريخ الحضارة الاسلامية بطلعنا على ان الاسلام لم يهمل العناية بالمجانين البتة ، ففي العصور التي كانت تعد فيها الامراض النفسية في اوروبا ناشئة عن أسباب فوق الطبيعة كانت معارف الاطباء العرب الذين ورثوا الطب اليوناني صحيحة صريحة فيما يتعلق بهذه الامراض ، ويظهر ان الملوك العرب هم الذين أوجدوا باديء بدء دوراً خاصة بالمجانين في مصر ومراكش واسبانيا . ويرجح ان فكرة اسعاف المجانين قد انتقلت أخيراً الى العالم المسيحي بواسطة الملاحي التي أوجدها المسلمون في اسبانيا » اهـ .

« للبحث صلة »



فتاوى لغوية

وأهمها صحة جمع (مفعول) على (مفاعيل)

—(«)—

جاءني كتاب من الصديق الامير شكيب أرسلان وفيه ما نصه :
« يا أخي ! لفظه (اكتشف) لا توجد في كتب اللغة أفرايتها أنت في مكان ؟
ومثلها (احترم) بمعنى وقّر لم أجدها في المتون . ولكني وجدتها في كلام المولدين ومنهم
صاحب البردة (أو يرجع الجار منهم غير محترم) فما قولك أنت ؟ ثم ان الجاحظ يجمع
ميسور على (مياسير) فكيف يقولون : إن جمع مفعول على مفاعيل لا يجوز وان الشنيطي
اعترض على رفيق بك العظم في تسمية كتابه (أشهر مشاهير الاسلام) . وقالوا إنها ألفاظ
معدودة واردة في كلام العرب منها مجانين . فما رأيك في هذه المسألة ؟ قرأت في بعض
الكتابات القديمة لفظه (مثبوت) بمعنى ثابت فهل مرّت بك في محل ؟ يوجد اللفاظ كهذه
أي اسم مفعول من هذا الوزن والفعل مزيد لا مجرد . الجرائد لا تبرح تقول (الخروج)
ولا يوجد نفوج من اضج . ويقولون (تكتّموا) ولا يوجد تكتم . وان كان يجوز فعلى معنى
نظاهر بالكتان . لا على معنى المبالغة في الكتم . فالمبالغة في الكتم هو التكتيم لا التكتّم
قال ابو الطيب : (مالي اكنتم حبا قد يرى جسدي) وتدعي حب سيف الدولة الامم (اهـ)
سألني الامير رأيي في هذه الكلمات الست . وقد رأيت ان أفترض سؤاله عنها
فأطبقها أو أجري فيها تمريناً على (القرار) الذي كان نتيجةً لمقال (الكلمات غير القاموسية)
المنشور في مجلد السنة الماضية (ص ٥٢١ و ٥٧٧) فقد لخصنا في ذلك المقال آراء نحو
عشرين عضواً من أعضاء المجمع العلمي بشأن هذه الكلمات التي لم تذكر في المعاجم المشهورة
بعد ان قسمناها الى سبعة اصناف واستخرجنا من أجوبتهم زبدة أو نتيجة يصح الركون اليها

والتعويل عليها . وها أنا ذا الآن أنظر في كلمات الامير وأعرضها على (القرار) الذي رضىته (أكثرية) الاعضاء العشرين . فما أجاز (القرار) قبوله من هذه الكلمات أعلننا قبوله واستعماله . وما رفضه (القرار) أعلننا رفضه وإهماله . ولا أظن الامير الا راضياً عن حكم الأكثرية في اللغة . كما اشتهر عنه انه يرضى به في السياسة .

﴿اكتشف﴾ جاء في كتب اللغة أن للاكتشاف معنى غير المعنى الذي يستعمله فيه الكتاب المعاصرون . فالأكتشاف في اللغة ان تبالغ المرأة في الكشف عن نفسها في مظهرها مع زوجها . فهو فعل لازم . أما اكتشف في استعمالنا اليوم فمتعد نقول اكتشف كولبوس بلاد اميركا سنة كذا . واكتشف المخترع الفلاني البارود سنة كذا . واذا اعتبرنا لفظ (المرأة) في تفسير الاكتشاف قيداً غير لازم بل كما يقال اكتشفت المرأة زوجها نقول اكتشف الرجل الخوض في النهر واكتشف المريض للطبيب . على معنى أنها بالغت في حسر ثيابها . وفي هذا الحسر ظهور ما كان خافياً — اذا اعتبرنا هذا كان قولنا اليوم (اكتشف) صحيحاً فصيحاً بشرط ان نستعمله لازماً قاصراً على فاعله فنقول (اكتشف البارود سنة كذا) برفع بارود على الفاعلية أسبى ان البارود ظهر سره للناس تمام الظهور بعد ان كان خافياً . وكذا (اكتشفت بلاد اميركا) و(اكتشف سر المسألة) وهكذا . ولكن لا أظن ان الناس اليوم يقدرّون على هذا الاستعمال بعد ان فشا على لسانهم استعمال (اكتشف) متعدياً . وعلى هذا يكون فعل اكتشف متعدي (مؤنداً) هُدي اليه المعاصرون بنابل من ذوقهم . فهو مثل (تفرّج) و(تنزه) و(احتار) و(خابر) وكلها من الصنف الرابع (من الاصناف السبعة للكلمات غير القاموسية) وهذا الصنف أفتى بجواز استعماله خمسة عشر عضواً من أعضاء المجمع وأنكر جوازه ثلاثة منهم . راجع مجلة المجمع (مجلد ١٢ ص ٥٣٠) فالفتوى إذن على استعمال فعل الاكتشاف .

﴿احترم﴾ فعل (اكتشف) لم يرد في المعاجم ولا في كلام يبلغ ولعلك جعلناه من الصنف الرابع وهو المؤند الذي أحدث الناس بصيغته من ميلدة عبرية ولا يعرفه الفصحاء أما (احترم) فليس من هذا الصنف بل من الصنف الثاني أعني الكلمات غير القاموسية التي جاءت في كلام فصحاء لا يحتاج يا قوم اليهم مثل كلمة (بنعيم) بالتاء التي جاءت في كلام الشيخ البخاري

وكلمة (صدفة) في كلام الشيخ محمد عبده وهكذا فعل (احترام) فانه ورد في قصيدة الأبو ضبري المشهورة :

(حاشاه ان يحرم الراجي مكارمه أو يرجع الجار منه غير محترم)
وكلمات هذا الصنف مما أفنى بجواز استعماله خمسة عشر عضواً من أعضاء المجمع ايضاً
وخالفهم ثلاثة من الاعضاء . على ان الحق ان يقال في (احترام) انها كلمة قاموسية فصيحة
دونها صاحب (المصباح) في مصباحه وان أغفلها غيره قال : (والحرمة الملهابة وهذه اسم
من الاحترام مثل الفرقة من الاقتراق) وقوله هذا يكفي في اعتبارها قاموسية فصيحة وان
كانت ذكرت في كلامه عرضاً واستطراداً لا قصداً ونصاً . ولعل صاحب أقرب الموارد
انما دونها في قاموسه اعتماداً على عبارة المصباح مذ قال : احترامه هابه ومنه قولم (لا تحترم
فتحترم) أي لا تهت فتقع في الحرمان .

﴿ مثبت ﴾ قال الامير انه قرأها في بعض الكتابات القديمة بمعنى ثابت . وقوله هذا
لا يجعل كلمة (مثبت) صالحة للبحث عنها ما دما لم نعرف من هو الذي قالها ولا طريقة
استعماله لها . اذ يمكن ان تكون وردت في كلام ذلك القديم مصحفة كما وردت مصحفة
في (لسان العرب) في مادة (سر) (جزء ٦ ص ٢٦) فانه ذكر ان (مُسَرَّ) بصيغة اسم
المفعول وردت بمعنى (مسرور) في قول العرب (كل منجر بالخلاء مُسَرَّ) أي مسرور
مع ان فعل (أَسَرَّ) المزيد لم يرد في كلام العرب وانما هم توهموا وجوده فاشتقوا منه (أَسَرَّ
فهو مُسَرَّ) ثم ذكر صاحب لسان العرب مثلاً آخر لهذا التوهم وهو قولم (مثبت) على
توهم وجود (نبتة) ثلاثياً متعدياً وهو لم يرد في اللغة وانما ورد أنبتة فهو مُنْبَتٌ فمثبت
إذن شاذ . ومنه قول الشاعر :

(وبلد يُغضي على النعوت بغضي كإغضاء الروي المنيوت)

كذا أورد صاحب لسان العرب هذا البيت ولم يفسر غموضه . وليس هذا فقط بل
ان كلمتي (مثبت ونبتة) وقعتا في نسخة (لسان العرب) محرفتين هكذا (مثبت ونبتة)
أي بالثناء الثلاثة بدل النون فلعل هاتين الكلمتين علقنا في ذهن الامير شكيب في بعض
تصفحاته لسان العرب وظنهما مع الزمن مما جاء فيه مثبت بمعنى ثابت . أو ان الامير
رأى كلمة (مثبت) في كتاب (فجر الاسلام) ص ١٩٤ المؤلفه الاستاذ احمد أمين إذ قال

(ولحسن البصري أقوال كثيرة مثبتة في كتب الادب) و(مثبتة) معرفة وصوابه (مثبتة) وهي كلمة شدة ما استعملها مؤلف فجر الاسلام في كتابه . وبناءً على هذا لا يجوز استعمال كلمة (مثبت) بمعنى (ثابت) الا اذا عاد الامير فذكر الكلام القديم الذي رآها فيه .

﴿النضوج﴾ بمعنى النضج من عثرات الأقلام بل (والافهام) ايضاً فالواجب تصحيحها وتنبيه الناس اليها . إذ لم ترد في المعاجم ولا في كلام متقدمي الفصحاء ولا متأخريهم وغلطتهم الفاشية هذه تشبه غلطة أخرى لم لم تفش بعد وأخشى ان تفشو . وهي قولهم (خوار النفس) أو (خوار العزيمة) مكات خور والخوار الضعف اما الخوار فصوت البقر . واذا عرضنا كلمة (النضوج) على الاصناف السبعة للكلمات غير القاموسية كانت من الصنف السابع أعني الكلمات التي تدور على أفواه العامة وقد ولعوا بها ولا يستعملها ^(١) الفصحاء بل يتحاشون النطق بها . وكلمات هذا الصنف مما منع أعضاء المجمع استعماله وكادوا يجمعون على رذله والتشاؤم به (راجع ما قالوه في مقال الكلمات القاموسية) .

﴿تكتم﴾ لم ترد في المعاجم كما قال الامير وقد شاع استعمالها في طبقة الخواص الذين يأنفون من استعمال كلمة (نضوج) ولذا جعلنا (نضوج) من كلمات الصنف السابع العامة التي يجب إهمالها . أما فعل (التكتم) فأرى ان نجعله من الصنف الرابع المولد الذي أفتى بجواز استعماله خمسة عشر من الأعضاء اي أكثرتهم كما مر في (اكتشف) . على ان هذه الاكثرية ربما مالت الى اطراح (تكتم) مادام يوجد في الفصيح فعل (كتّم) فهو ينوب منابه ولا يكون ثمة حاجة اليه .

(١) قرأنا أخيراً للاستاذ طه حسين مقالاً في المقارنة بين الشاعرين الأشهرين حافظ ابراهيم واحمد شوقي نشره في العدد الاخير من مجلة (الهلل) ورأينا فيه يستعمل كلمة (النضوج) إذ قال : «تقليد حافظ يستحيل الى نضوج غريب وقوة بارعة الخ» فان نبه الى سوء استعمال كلمة (النضوج) منه ورجع عنها كان بها . وبقينا على حكمنا من ان (النضوج) كلمة عامة مبتذلة . وان أصر الاستاذ على استعمالها تغير إذ ذاك وجه المسألة ونفتقل كلمة (النضوج) من الصنف السابع (العامة) الواجب الاطراح الى الصنف الرابع (المولد) الذي تتكلم به الخواص ويكون له حكم هذا الصنف .

﴿ مياسير ومشاهير ﴾ هاتان الكلمتان تدخلان تحت بحث عام وهو (جمع مفعول على مفاعيل) هل يصح هذا الجمع ؟ وهل هو مطرد ومقيس أو لا ؟ وقد أذكرنا الكلام على تبنك الكلمتين لطول هذا البحث وخطورة أمره ولتكرر الجدل فيه بين طائفة من كبار كتابنا المعاصرين . ويمكن تلخيص هذا البحث بما يلي :

ما كان على وزن مفعول من الكلمات إذا كان صفة لا اسماً جمع تصحيح (أي جمع مذكر سالم أو مؤنث سالم) ففي القرآن (مسؤولون مبعوثون مجموعون محرومون . ملعونين ملومين مسبوقين) . وهل جمعها كذلك واجب بحيث لا يجوز جمعها على مفاعيل ؟ الظاهر من أقوال أكثر النحاة أنه لا يجوز : فابن هشام يقول : (يمتنع مضروب من التكسير) أي إن ما كان على وزن مضروب يمتنع أن يقال في جمعه مضارب بل مضروبون . ومثله الزمخشري فقد قال : (يُستغنى في مفعول بالتصحيح عن التكسير) ومثلها ابن الحاجب والرضي فقد قال (باب مفعول التصحيح) أي كل ما كان على وزن مفعول فبانه أن يجمع جمع تصحيح لا تكسير .

وإذا نحن أوردنا على القائلين بهذا — كلمات وردت جموع تكسير لمفعول — أجابوا عنها على هذا الترتيب :

﴿ مجذوب مجاذيب ﴾ يجاب عنها بأنها من كلام الفقهاء وأقوالهم أو اصطلاحاتهم ليست حجة في اللغة ولا تنقض بها قاعدة مقررة .

﴿ مكتوب مكاتيب . محبوس محابيس . مسجون مساجين . مشقوق مشانيق . منحوس مناحيس . موضوع مواضيع . ومجموع مجاميع ﴾ : يجاب عن هذه أيضاً بأنها كلمات موأدة لم ترد في المعاجم ولا في كلام الفصحاء المتقدمين ولا تصلح أن تكون حجة .

﴿ مفاطير ﴾ هذه الكلمة ليست مما نحن فيه إذ هي جمع مفطر بكسر الطاء لا منطور ، وأصلها مفاطر أشبعت كسرتها فصارت «مفاطير» .

﴿ مناكير ﴾ وهذه أيضاً مثلها جمع منكر بفتح الكاف لا منكور وأشبعت الكسرة في الجمع .

﴿ مياسير ﴾ هي جمع (موسر) لا ميسور . وقيل يصح أن تكون جمعاً ليسور أيضاً . ومما يمكن فلا دليل فيها على صحة جمع مفعول على مفاعيل .

﴿مشاييب﴾ الواردة في قوله صلى الله عليه وسلم (الى الأقيال العباهلة والأبرواع المشاييب) هذه ايضاً لا دليل فيها إذ ورد الحديث برواية ثانية أشار اليها صاحب النهاية وهي (الأرواع الاشياء) بتشديد الباء جمعاً لشيب بمعنى المشبوب . وهو الابيض اللون الحسن المنظر . والدليل اذا طرقة الاحتمال سقط به الاستدلال .

﴿مقادير﴾ ليست جمعاً لمقدور بل لم ترد كلمة (مقدور) في اللغة ولم يذكرها صاحب التاج واقتصر على قوله « والامور تجري بقدر الله ومقداره وتقديره وأقداره ومقاديره » اه وروى المبرد في كامله لبعض الشعراء بهجو :

(اذا عيروا قالوا مقادير قدرت وما العار الا ما تجر المقادر^(١))

واذا لم تكن (مقادير) جمعاً لمقدور كانت جمعاً لمقدار قال ابن دريد :

(لا تسألني واسأل المقدار هل يعصم منه وزر أو مدبراً)

فكون النتيجة ان جميع هذه الكلمات الثلاث عشرة التي ينبغي ان يجمع لمفعول لا شاهد فيها على جواز هذا الجمع ولا يصح ان تنتقض بها القاعدة التي قررها النحاة من ان مفعول لا يجمع على مفاعيل .

﴿مشهور مشاهير﴾ يقولون في تزييفها ان علماء اللغة لم يذكرها في معاجمهم ان مشهور تجمع على مشاهير فلا يجوز استعمالها عملاً بقاعدة النحاة المذكورة . فاذا رددنا عليهم بان هذا الجمع اذا لم يدونه علماء اللغة في معاجمهم نصاً فقد استعملوه هم أنفسهم في كلامهم عرضاً : فقد استعملها (ابو زيد الانصاري) صاحب (النوادر في اللغة) ونطق بها (الزبيدي) شارح القاموس . و (الفيومي) صاحب المصباح . و (السيوطي) مؤلف المزهري . و (المبداني) جامع أمثال العرب . فيقول التمسك بالقاعدة النحوية : ان نطق هؤلاء بتلك الكلمة واستعمالها لا يفيد شيئاً مهما كثروا وعظم قدرهم لان استعمالهم لها خرق للقاعدة التي اتفق النحاة عليها ولبسوا بمعصومين من الخطأ .

﴿ملاعين مجانين ميامين مشائيم مناصكيد ملاقيج مضامين مكاسير مجاهيل بماليك﴾

(١) (المقادر) كذا رأيتمها بالبدال المهملة ولعل صوابها (المقاذر) بالذال المعجمة ويكون أراد الشاعر ان أقدار العيوب وأدران النقائص هي التي تجلب العار فما كانت لهؤلاء المهجورين ان يعتذروا بالاقدار .

مراجع **﴿﴾** هذه الكلمات الاحدى عشرة ذكرتها المعاجم ووردت في الاحاديث الشريفة وكلام الفصحاء . ولا ينبغي أن يقع في جواز استعمالها نزاع .

فيقول المعارضون حقاً لا نزاع فيها ولا في جواز استعمالها . ولكن لا يجوز ان يقاس عليها غيرها كشاهير ومكاتب ومواضيع كل ذلك لتبقى قاعدة النجاة مطردة .

فيضيق حينئذ الصدر . ويفدح الأمر . ولا نبذلنا ملجأ الاسيويه . أحسن الله اليه .

فسمعه يقول في (كتابه) المشهور ما لمخضد (ومضروب : تقول في جمعه مضروبون غير انهم

قالوا ملاعين ومكاسير ومشائم) الى ان قال : (فأما مجرى الكلام الاكثر ان يجمع

مضروب بالواو والنون) .

فيمكننا ان نستنتج من كلام سيويه هذا أموراً :

(١) — ان الأفصح في جمع مفعول مفعولون لأنه هو وحده المستعمل في القرآن

الكريم .

(٢) — ان عبارة سيويه السابقة وورد احد عشر كلمة جمعت على مفاعيل يسوغ لنا

ان نجتمع مفعول على مفاعيل أحياناً مع الاعتراف بان هذا الجمع المكسر أقل فصاحة

واستعمالاً من ذلك الجمع المصحح . واذا كان الكوفيون يرون ورود كلمة واحدة عن أهل

اللسان كافياً لأن تضرب على غرارها كلمات — فالبصريون جديرون بان يروا هذه الكثرة

في الكلمات المذكورة كافية لتقرير القاعدة والقياس عليها .

(٣) — ان كبار علماء اللغة (الانصاري والميداني والفيومي والسيوطي والزيدي)

أرادوا ان يكونوا لنا إماماً في هذا القياس والاستعمال : فجمعوا (مشهوراً) على (مشاهير)

وان لم يكن هذا الجمع مما عرفه أهل اللسان ولادوته علماء المعاجم — فعلوا ذلك لتشجيعنا

على الاقتداء بهم والسير على أثرهم : فجمعنا مكتوب على مكاتب . وموضوع على مواضيع .

ومحبوس على محاييس الى آخر الكلمات السبع المذكورة آنفاً .

(٤) — مهما عارضونا في جعل جمع مفعول على مفاعيل مقيساً ولم يسمحوا لنا أن نجتمع

مكتوب على مكاتب الخ بداعي ان مثل هذا ليس من شأننا ولا يجوز لأمثالنا إبطال قاعدة

قديمة . كما لا يجوز لنا تقرير قاعدة جديدة . اذا قالوا هذا — ورأينا مجتمعنا العلمي لم يقرر بعد

شيئاً في هذا المعنى — لا يمكنهم أن يمنعوننا عن العمل بما قرره أعضاء المجتمع في تجويز استعمال

كلمة (مشاهير) التي ينطبق عليها ما تقرر في الصنف الثاني من الكلمات غير القاموسية وهو الكلمات التي وردت في كلام الفصحاء المتقدمين . ولاريب ان كلمة (مشاهير) وردت في كلام ابي زيد^(١) الانصاري الذي كان سيبويه اذا قال : (حد ثني من أثق بعريته) أراد به أبا زيد هذا . ورجل يثق سيبويه بعريته ينبغي ان نثق نحن بعروبة كلمة (مشاهير) اذا جاءت في كلامه . ويؤيد أبا زيد في هذا الباب الميداني^(٢) صاحب مجمع الأمثال . والقيومي^(٣) صاحب المصباح والسيوطي^(٤) صاحب المزهر والزيدي^(٥) شارح القاموس . وكلهم من أئمة اللغة والتصنيف فيها وكفى بهم حجة .

وخلاصة ما يقال في هذا البحث ان :

(اكتشف) كلمة مولدة يجوز استعمالها عملاً برأي خمسة عشر من علماء اللغة والادب المعاصرين .

(احترم) كلمة قاموسية فصيحة يجب استعمالها كسائر الكلمات الفصيحة .

(مثبت) بمعنى ثابت لا يجوز استعمالها لعدم العلم بقائلها .

(نضوج) كلمة عامية يجب اطلاقها منذ الساعة .

(نكتم) كلمة مولدة يجوز استعمالها بقلّة : وذلك لا يمكن ان تقوم مقامها كلمة (كتم) بالتشديد .

(مياسير) كلمة فصيحة لان ارباب المعاجم نصوا على انها جمع موسم فيجوز استعمالها بلا تكثير .

(مشاهير) يجوز استعمالها اقتداءً بمن استعملها من أئمة اللغة والادب .

(١) توفي سنة ٥٢١ هـ وعبارته هي : « اذا جاوزت المشاهير من الافعال التي يأتي

ماضيها على فعل الخ » نقل هذا عنه المجد الفيروز ابادي في خطبة القاموس .

(٢) توفي سنة ٥١٨ هـ قال في كتابه مجمع الامثال « وهذا المثل من مشاهير أمثال

العرب » .

(٣) توفي سنة ٧٧٠ هـ قال في مادة (ن ج س) « ومشاهير الكتب ساكنة عنه » .

(٤) توفي سنة ٩١١ هـ قال في الكنز المدفون « ذكر مشاهير المعبرين » .

(٥) توفي سنة ٢٠٥ هـ قال في مادة (ق ب) « ولم يذكره ارباب الدواوين المشاهير » .

(جمع مفعول على مفاعيل) يحتاج جوازه الى (قرار) من جمع لغوي أو الى نص صريح لاحد علماء اللغة يدل على جوازه .

وقبل تقديم هذا المقال للطابع ظفرت بنص ارجو أن يكون هو المقنع . والشاهد المتوقع : ففي (اللسان) و (التاج) في مادة (صرع) قال الازهري : الصريع القضيب يسقط من شجر البشام وصرع الشجر قطع وطرح ثم قال ما نصه وقول ليند :

محفوفة وسط البراع يُظلمها منها مصارع غابة وقيامها

المصارع جمع مصروع من القُضْب . يقول : منها مصروع ومنها قائم والقياس مصاربع اه .

فلم يبق للمعارضين الا ان يقولوا : ان هذا القول (بقياس جمع مفعول على مفاعيل) هو فتوى علماء اللغة . أما علماء النحو فقد أفتوا بعدم انقياس .

ونقول ان علماء النحو انما بنوا قواعدهم على تتبع علماء اللغة للنصوص واستقراءهم للجزئيات . فاللغويون هم حملة اللغة . وثقله نصوصها . أما النحاة فخرجوا مسائلها ومستنبطو فروعها . فالاولون هم الاصل الجدير بالاعتماد . ولا يخفى أنه مع وجود النص لا عبرة بالاجتهاد .

هذا أيها الأخ الأمير رأيي أعرضه عليك . فإن أعجبك فخواه . والآن فالسألة مأواه .

المغربي



ريحانة شوقي على قبر حافظ (١)

—(١)—

قد كنت أوتر ان تقول رثائي يا منصف الموق من الأحياء
لكن سبقت ، وكل طول سلامة قدره وكل منية بقضاء
الحق نادى فاستجبت ولم تزل بالحق تحفل عند كل نداء
وأنت صحراء الإمام (٢) تذوب من طول الحنين لساكن الصحراء
فلقيت في الدار الإمام (٣) محمداً في زمرة الأبرار والخلفاء
أثر النعم على كريم جيلينه ومرشد التفسير والإفتاء
فشكوتما الشوق القديم وذقتما طيب التداني بعد طول تناء
إن كانت الأولى منازل فرقة فالسحرة الأخرى ديار لقاء
ووددت لو أتي فداك من الردى والكاذبون المرجفون فدائي
الناطقون عن الضغينة والهوى والموغرو الموق على الأحياء
من كل هدام وبينني مجده بكرائم الأتقاض والأشلاء
ما حطموك وإنما بك حطموا من ذا يحطم رفرف الجوزاء
أنظر! فانت كأس شأنك باذخ في الشرق ، واسمك أرفع الاسماء
بالأمس قد حليني بقصيدة غراء تحفظ كاليد البيضاء

- (١) رأينا ان تنشر في مايلي بعض ما قيل في رثاء فقيدى الامة العربية ابراهيم حافظ بك واحمد شوقي بك مما رأينا حاجة الى نشره في مجلتنا .
- (٢) المراد بالامام في البيت الامام الشافعي .
- (٣) يشير الشاعر الى الاستاذ محمد عبده .

غيظَ الجسود لها وقتُ بشكرها وكما علمتَ مودتي ووفائي
في محفلٍ بشرتُ آمالي به لما رفعتَ الى السماء لوائي

بأمانح السودان شرح شبابه ووليته في السلم والهياء
لما نزلتَ على خمائله نوى نبع اليبان وراء نبع الماء
قلدته السيف الحسام وزدته قلماً كصدر الصعدة السمراء
قلم تجرى الحقب الطوال فاجرى يوماً بفاحشة ولا بهجاء
بكسو بمدحه الكرام جلالةً ويُسَيِّع المولى بحسن ثناء

اسكندريةُ يا عروس الماء وخيلةُ الحكماء والشعراء
نشأتُ بشاطئك الفنون جميلةً وترعرعتُ بِسَمائكِ الزهراء
جاءتك كالطير الكريم غرائباً فجمعتهما كالربوة الغناء
قد جمّلوكِ فصرتِ زينة الثرى للوافدين ودرّة الدأماء
غرسوا رباكِ على خمائل بابلٍ وبنوا قصوركِ في سنا الحمراء
واستحدثوا طرقاً منورة الهدى كسبل موسى في فجاج الماء
نخذي كأس من الثقافة زينةً وتجملي بشبابكِ النجباء
وتقليدي لغة الكتاب فانها حجرُ البناء وعدة الإنشاء
بنتِ الحضارة مرتين ومهدت للملك في بغداد والفيحاء (١)
وسمتِ بقرطبةٍ ومصر فخلّتا بين الممالكِ ذرّة العلياء
ماذا حشدتِ من السموع «لحافظ» وذخرتِ من حزن له وبكاء
ووجدتِ من وقع البلاء بفقده ؟ إن البلاء مصارعُ العظاء
اللهُ يشهدُ قد وفيتِ مخبةً بالسمع غير بخيلة الخطباء
وأخذتِ قسطاً من مناحة ماجدٍ جمّ المآثر طيب الأنباء
هتف الرواةُ الحاضرون بشعره وحدا به البادون في البيداء

(١) الفيحاء : دمشق الشام .

لبنات يكيه وتبكي الضاد من
عرب الوفاء وفوا بذمة شاعر
ياحافظ الفصحى وحارس مجدها
مازلت تهتف بالقديم وفضله
جددت أسلوب (الوليد) ولفظه
وجريت في طلب الجديد الى المدى
ما ذا وراء الموت من سلوى ومن
أشرح حقائق ما رأيت ولم تزل
رتب الشجاعة في الرجال جلائل
كم ضقت ذرعاً بالحياة وكيدما
فلم فارق بأس نفسك ساعة
وأشر الى الدنيا بوجه ضاحك
يا طالما ملأ الندي بشاشة
اليوم هادنت الحوادث فاطرح
مخافت في الدنيا يباناً خالداً
وغداً سيندرك الزمان ولم تزل

حلب الى الفيحاء الى صنعاء
باني الصفوف مؤلف الاجزاء
وإمام من نجلت من البلغاء
حتى حميت أمانة القدماء
وأثبتت للدنيا بسحر (الطائي)
حتى اقترنت بصاحب البؤساء^(١)
دعة ومن كرم ومن إغضاء ؟
أهلاً لشرح حقائق الاشياء
وأجلهن شجاعة الآراء
وهتفت بالشكوى من الضراء
واطلع على الوادي شعاع رجاء
خلقت أسرته من السراء
وهدي اليك حوائج الفقراء
عب السنين والقر عب الداء
وتركت أجيالاً من الابناء
لدهر إنصاف وحسن جزاء

احمد شوقي

(١) يشير الى الشاعر الفرنسي فيكتور هوجو .

النيل الخالد



عجبا ! أتوحشني وأنت إزائي
لكن جرى قدرٌ وان أبت المنى
جرحوا صميم القلب حين تحمّلوا
الطيب المحمود من عمري مضى
لا بل هما مني جناحا طائر
الصاحبات الأكرمان توليا
لم يتركا برداهما غير الأسي
وحيالي الخلطاء الا انني
أراد لي من فضل ما مجدا به
إن نحي بالذكري فلا تبديل في
باصاحي غبوت منذ نأيتا
لا ليل عافية هجعت به ، ولا
انا واحد في الجازعين عليكما
فاذا بدا لكما قصوري فاعذرا

وضياء وجهك مالي سودائي ؟ !
بنوى أحبنا لغير لقاء
الله في جرح عزيز شفاء
والمفتدى بالروح من خلصائي
رُميا ولم يك نفعي إخطائي
فعلام بعد الصاحبين بقائي ؟
لأخيها ما دام في الأحياء
متغرب بالعبد في خلطائي
إرث ؟ اذن جهل الزمان وفائي !
صفة ، ولا تغيير في الأسماء
أجد الحياة ثقيلة الاعباء
يوم نشطت به من الإعياء
وكأنما ذاك البلاء بلائي
او شفعا لي مسلفات ولائي

مهلا امير الشعر غير مدافع
كم أمة كانت على قدر الهوى
تمكنا من نفسها إيمانها
ومعز دولته بغير مرأ
ترجوك ما شاءت لطول بقاء
أن لم تكن ممن حيوا لفناء

فاذا المنايا لم تزل حربَ المني
في مصر بل في الشرق منها لوعة
أترى موجات الأثير كأنها
بعث الشرارُ بها ثقلاً لو بدا
جزع الكنانة كاد لا بعده أسي
وبحضرموت على تنائي دارها
بالامس كان هواك يجمع شملها
واليوم فت رداك في أعضادها

أفدح بما يلقاه آلك إن يكن
محرموا أباً برّاً نمواً وترعرعوا
وكفقدتم فقد الغرائق العلى
وكرزتهم رزى الرجال مرجباً
يتناولون من الصحائف وجهه
ما عشت فيهم ظلت بلبل أيبكهم
لك جوك الرب الذي تجلوه
عزلوك في ذاك التعزل ضلة
ما كان شغلهم لو دروا الابهم
ولعل أعطفهم عليهم من دنا
أنزلت نفسك عند نفسك منزلاً
فرعبت نعمتك التي أثلتها
تقني حياءك علماً عن خبرة
وترى الزكاة لدى الثراء مبرة
كم من يد أسديتها وكسوتها

حزن الأبعد جَلَّ عن نساء
من جاهه في أسمع الأفياء
علم الهدى للفتية النجباء
عف اللسان مذهب الأيماء
فتكون كل صحيفة كلواء
في الأمن، والرئبال في اللأواء
متفرداً والناس في أجواء
إن التعزل شيمة النزهاء
لكن كرهت مشاغل السفهاء
بالنعم منهم وهو عنهم ناء
يأبى عليها الخسف كل إباء
ورعبت فيها جانب الفقراء
أن الخاصة آفة الأدباء
منه به ووسيلة زكاء
متأقفاً لطف اليد البيضاء

عصره تقضى كنت ملء عيونه
 يجلو نبوغك كل يوم آية
 كالشمس ما آبت أنت بمجدد
 هبة بها ضن الزمان فلم تفتح
 يأتون في الفترات بوعدها
 كالأنبياء ومن تأثر إثرهم
 رفعتك بالذكرى إلى أعلى الذرى
 من مسعدي في وصفها أو مصعدي
 ومطوع لي من ياني ما عصى
 لي فيك من غرر المديح شوارده
 ووقت قوافيها بما أملى على
 ماذا دهاني اليوم حتى لأرى

* * *

(شوقي) لا تبعد وان تك نية
 تالله شمسك لن تغيب ، وانها
 هي في الخواطر والسرائر تجلي
 والدخر أعلى الدخر ما خلفته
 هو حاجة الاوطان ما دالت بها
 سيعاد ثم يعاد ما طال المدى
 بكفي بيانك أن بلغت موقفا
 برأت مصر به مكانا نافست
 ورددت موقفها الاخير مقدما
 لك في قريضك خطة أثرتها
 من أي بحر دره متصيد
 ظهرت شمائل مصر فيه بما بها

ستطول وحشتها على الرقباء
 لتتبر في الاصباح والامساء
 ابدأ ، وتغمرهن باللائلاء
 من فاخر الآثار للابناء
 دول من السراء والضراء
 وبطل خير مآثر الآباء
 فيه أعز مبالغ القدماء
 فيه مكان دمشق والزوراء
 في المجد بين مواقف النظراء
 عزت على الفصحاء والبلغاء
 وسناه من تنزيل أي سماء
 من رقة ونعمته ونقاء

ترخيمها في لحنه متسامع
شعرٌ مسرى مسرى النسيم بلطفه
ترد العيونُ عيونُه مشتقة
ويكاد يلس فيه مشهود الرؤى
في الجو يؤنس من يخلق طائر
عجبا لما صرفت فيه فنونه
فلكل لفظ رونقٌ متجددٌ
يُملي الجمال به كأبداع ما انجلى
ولربما راع الحقيقة رسمها
ونعيمها في وشيه متراء
وصفا بروعته صفاء الماء
ويُصيبُ فيه السمعُ رِيَّ ظماء
ويُحسُّ همسُ الظنِّ في الحوباء
والدو يؤنس راكبَ الوجناء
من فطنة خلاصة وذكاء
ولكل قافية جديدٌ رواء
صوّرٌ حسانٌ في حسان مرء
فيه فما اعتصمت من الخيلاء !

* * *

حيالك ربك في الذين سموا الى
من مأمهم أدى أمانة وحيه
متجشم بالصبر دون أدائها
للعقربة قوةً علوبةً
كم أخرجت لأولي البصائر حكمةً
حتى اذا اشتعل المشيب برأسه
فالداء ينحل جسمه ونشاطها
جسمٌ يقوّضه السقام ، وهما
عجبا لعاميه اللذين قضاها
عاما نزاع لم تبادت فيهما
حفلا بما لم يتسع عمره له
فتحٌ يلي فتجا ، وصرحٌ باذخٌ
هذا الى فطنٍ يقصر دونها
من تحفة منظومة لفكاهة
أو ضيقة سبقت مساقٍ رواية
أمل فأبلوا فيه خيرَ بلاء
بعزيمة غلابة ومفاء
ماسيم من عنت وفرط عناء
في نجوة من نفسه عصماء
بما ألم به من الأرزاء
ما زاد جذوتها سوى إذكاء
يُخفي بروعته نشاط الداء
متعلق بالخلق والإثاء
في الكد قبل الضجعة النكراء
نذر الردى وشواغل البرحاء
من باهر الإبداع والإبداء
في إثره صرحٌ وطيدٌ بناء
مجهود طائفة من الفطناء
أو طرفة منظومة لغناء
لمواقف التمثيل والإلقاء

تجري : وقائمه فجلو للنهي منها مغازي كن طي خفاء
فاذا الحياة عبيدها وعتيدها مزج كزج الماء والصبا
تطفو حقائقها على أوهامها وتسوغ خالصة من الأقداء

يا من صحبت العمر أشهد ما نحا في الشعر من متباين الأنحاء
إني ليحضرني بصادق حاله ما ضحك فيه كأنه تلقائي
من بدنه وحججك يفتح فتحه للحقبة الأدبية الزهراء
حتى الختام ومن مفاخر مجده ما لم يتح لسواك في الشعراء
فأرى مثالا رائعا في صورة للنيل يملأ منه عين الرائي
النيل يجري في عقيق دافق من حيث ينبع في الرابي السماء
يسقي سهول الريف بعد حزنه ويدبل عمرا من الإقواء
ما يعترضه من الحواجز بعده وبعد إلى الأحياء والأرواء
حتى إذا ردّ النياقي جنة فيما علا ودنا من الأرجاء
أوفى على السدة الأخير ودونه قرب المعبر إلى محيط عفاء
فطغى وشارف من خلاف زائرا كلبع ذي الإزباد والإرغاء
ثم ارتقى بفيوضه من حلق فتحدرت وكأنت منمراتها
مسموعة الإيقاع في أقصى مدى جذلي بما تهدي من الآلاء
إن أخطأت قطرا موقعا غيها أحظته بالمحات والأصداء !

لله درة قريحة كانت لها هذي النهاية من سنى وسناء
رفعتك من علياء فانية إلى ما ليس بالفاني من العلياء !

خليل مطران

اثر الادب العربي

-- في شعر شوقي --

« كلمة الاستاذ احمد الاسكندري »

لم تكن مصر وهي ولاية عربية بيئة خصبة لاجراج نوابغ الشعراء اذ لم تكن حينئذ دار ملك عظيم ولا موطنًا جامعًا للفصحاء المتنافسين في الشعر . ولما صارت دار ملك عتيد للفاطميين كانت زعامة الشعر والأدب ضاربة بجذورها ببغداد وعواصم الجزيرة الفراتية والشامات فنبتت بمضرب نابتة أشبهت الفحول ولم تكنهم وانطبع صناعتها بطابع مصري صبغته الرقة اللفظية والمحسنات البديعية والنكتة المصرية لا جزالة اللفظ ولا فخامة المعاني . وجرت هذه الصناعة ذيلها علي من بعدهم من شعراء مصر والشام زمان دولة بني ايوب ودولتي المماليك . فاذا كان هذا شأن الشعر في مصر المستقلة صاحبة الولاية علي الشرق العربي فما ظننا به وهي ولاية عثمانية تتعاورها الأوبئة وتلقفها الفتن والمزاهمة ، لا جرم ان يكون الشعر بفحالة الاولى وطرافته الثانية رقد رقدة لم يوقظه منها الا عصر اسماعيل العظيم الذي جتى فيه الادباء ثمرة غراس جده الكبير . فكرر به البارودي كرة استرجع بها رواقه في القرن الخامس الهجري ، وقضى به بعد نفيه طائفة طاوالت فحول الأوائل وأنجبت شاعرنا بالامس وقييدنا اليوم بامور لم تجتمع لهم جميعًا من توفد قريحة وشرف تنشئة ونبالة تثقيف وإحاطة بعلوم واتقان للغات وسعة اطلاع وخدمة ملوك ومداخلة ساسة وبلهنية عيش وتنوع تمتع وكثرة اسفار وطول فراغ وفسحة أجل .

وكأني بقائل يقول : كثر ماتاحت لسواه هذه الامور فلم تأت منذ قرون بناهضة مشهور قلنا أجل هي صمصامة عمرو فأين يمينه .

« أثر الشعر القديم في شعره »

ما كان شوقي بدعاً من الشعراء ولا خرج بشعره نائراً على القدماء وإنما تأدب بأديهم وسار على دربهم وما زال شعره كشعرهم تتألف القصيدة منه من أبيات مستقلة في اللفظ والمعنى على وزن واحد وتتركب من أخيلة جزئية لا من خيال كلي مفصل الأجزاء شأن الشعر القصصي الأوربي ، اتبع شوقي هذه الطريقة العربية حتى في المقطعات الكبيرة من مسرحياته .

والذي حدا به إلى أن يكون عظيماً في الشعر العربي اطلاعه على شعر البارودي البليغ وسماعه إعجاب الناس به فأقبل على درس كتب الأديب ودرازين الشعراء وابتدأ كما قال عن نفسه — بديوان البهازهر فكان موفقاً جداً موفق لانطباع شعر هذا الشاعر بالطابع المصري ولسهولة الممتعة على غيره في الغزل ، وجرد شعر زهير إلى درس شعر أهل حلته من أمثال ابن مطروح وابن النبه والحاجري والتلعفري فنحا منحاهم ويزم جميعاً قبل أن يتم العقد الثالث من عمره .

وبالطبع لم يقف شعره عند هذا الحد فنبأ بنازع فحول الدولة العباسية صولجان سلطانهم من أمثال أبي نواس والبحتري وأبي تمام والمتنبي والمعي والشريف الرضي وأمثالهم فأعجبه من أبي نواس خمرياته وغزلياته السائغة وحاكها فقارب .

وراقه من البحتري حسن ديباجته وأوصافه وتشبيهاته حتى ليظن أن أكثر ما نراه لشوقي في وصف القصور والهيكل ومواكب الملوك مستمد منه أو محاكي به طريقته . ولولا أنه سلك في الحكمة وإرسال المثل مسلك أبي تمام والمتنبي لكان خريج البحتري وحده .

وأورثه سلوكه مسلك أبي تمام وأبي الطيب أن يتخلق بخلقهما : من الاعتداد بالنفس وقلة الاكتراث بمعارف المتأدين والنقاد عندما ينظم . فكانت إذا جاش خاطره وحمي مرجله بمعنى صبه في أي قالب يتسع له في نظره وإن ضاق عند في نظر غيره إما لضعف قرينة وإما لخفاء كناية وأما انشابه في مراجع الضمائر فيغمض ويعسر فهمه على غير الخبراء بشعر شوقي فيختصم فيه أنصاره وتقاده في الصحف والمجلات ولا يدفع صاحبنا عن نفسه بأكثر من أن يتمثل بقول أستاذه أبي الطيب في وصف أبياته :

أنا ملء جفوني عن شواردها ويسهر الخلق جراحها ويختصم
ومع انه يحطب في جبل المتني ويتعصب له لم يستطع ان يحكم التشبه به في عامة
مذهبه من وضع المعنى الكثير في اللفظ القليل فجاء أقرب شبيهاً بابي تمام منه بابي الطيب .
واكبر ظني ان شوقياً لم يلتقف كثيراً بشعر المعري واكتفى ان يثاقفه في نقد العادات
المعيبة والآراء الالفينة وان كان المعري قد طرق في شعره أبواباً لم يطرقها عربي في فلسفة
الحياة والاجتماع ومعاملة الحيوان ونقد نظم الحكم والسياسة والاشتراك والتدين فصدف
شوقي عن طريقة المعري في ذلك كما رغب عن تكلفه في قوافي لزومياته اذ ليس من سجايا
صاحبنا التعمق في الفلسفة ولا التكلف الى هذا الحد ونعم انه تمرس مرة بلزوم ما لا يلزم
في موشحة أندلسية فدرج في بعض أقسمتها بروي مزدوج الحروف وما اطاقه في بقية
الأدوار والأقسام ونما فعل .

والحق ان المباراة التي عقدها بين نفسه والقحول من الشعراء الآتني الذكر قد انجملت
عن ان السابق في الزمن ما زال سابقاً في الشعر وان ارتاض جوادنا المصري بمجاراتهم
أيما ارتياض .

أما الشريف الرضي وأنداده في الشعر من أمثال ميار الديلمي البغدادي وابن هاني
وابن زيدون وابن خفاجة وابن حمديس من الاندلسيين والمغاربة فهم من نسائهم بشاعرنا
فقد درس دواوينهم وعارض أشهر قصائدهم فكان يصرعهم مرة ويساجلهم أخرى ويتخلف
عنهم تارة فهم ان فضلوهم بسبقهم الى الشعر وتعبيدهم طريقه راجحهم بفضل ثقافته الجديدة
وشهوده تلك الحضارة الباهرة فأتي بما لم يأتوا به واكمل بجديده قديمهم فقاسمهم ملكهم
وفرجو ان لا يكون خاتمهم .

« سلوك شوقي في مسلك المتقدمين في أغراضه »

قال شوقي الشعر في كل الاغراض عدا المحجون والتزهيد في الدنيا والهجاء .
فأما المحجون والتزهيد في الدنيا — فان روح العصر واستكاثنة الشرق بصدان عنهما .
واما الهجاء فلم تطب نفس شوقي السمحة ان تورد شعره في هذا المورد البشع .
وقال الشعر في بقية أغراض القدماء وجمع بين براعة المتقدمين وبزاعة المعاصرين

وبداعة المصريين فكان غزله يسيل رقة ويتزده عن الإفحاش تنزهًا وكان مدح لا يمل وإن لم يعد فيه مألوف العرب، لبث فينا عمرًا من قبل الحرب العظمى بمدح ممدوحًا واحدًا في مواسم مكررة فلم تزد له قصيدة وأما ديمه في الاسلام ورسول الاسلام وخلفاء الاسلام وأبطال الاسلام غرة في جبين الايام ورقة منه الى مقيل عثرات الكرام وغافر الآثام .
اما الوصف فهو جل بضاعته ومظهر براعته ولا تخلو منه قصيدة من شعره ، وأروع ما أخرجه مخرج العظة والاعتبار كسينيته في آثار الاندلس التي عارض بها البحري ووقفته على قبر نابليون وندبه معبد اسوان ووصفه ابا الهول .

وأضاف شوقي الى الثروة التي خلفها القدماء في أغراض الشعر وأبوابه أبوابًا يحلموا بها : أوجدتها الحضارة الحديثة ونظم الاجتماع والسياسة مثل : وصف سفينة البخار والقواصات والكهرباء والطائرات والطيارين والقطار البخاري واللال الأحمر والديب الأحمر والمراقص وابي الهول وانتشار الطلبة والأحزاب السياسية ودار الندوة المصرية المسماة بالاعجمية (البرلمان) وديانة المصريين وعبادتهم وكنوزهم وعظمة النيل واعتقاد القدماء فيه والبحر الأبيض المتوسط والبريد وطابعه وجسر البسفور وصبيان المكتب وحرية المرأة . ولا نعرف شاعرًا مسلمًا تحنى بديانة قدماء المصريين وتجدد بانعالم مثله .

« معانيه »

تنسب عظمة شوقي الى إجادة المعنى أكثر من نسبتها الى إجادة اللفظ وانما تكثر معاني الشاعر وتعظم وتجلو اذا اجتمع له امران :
اولهما — سعة اطلاعه والمسامه بكثير من العلوم والفنون وخصائص الديانات وتاريخ الشعوب وخرافاتهم وابطالهم .

وثانيهما — توقد قريحته وصدق نزاعته التي تدفعه اليها غرائزه الفطرية .
فالامر الاول يكون في نفس الشاعر صورة اجتماعية مكتسبة من البيئة والمجتمع اللذين يعيش فيهما . وهذه الصورة تنفذ الى قلوب من يعاصرونهم وينال إعجابهم .
والامر الثاني بطبع في نفسه صورة فردية لشخصه تطابق ما فطر عليه من النزعات والميول والاكياس من الشعراء من يخفون من أجزاء هذه الصورة ما يتسخط المجتمع

ويظهرون منها ما تطرب اليه نفوسهم ونفوس من يضاؤونهم .
 وشوقي جد كيس بزمع : أظهر في معاني شعره كل صورته الكسبية الاجتماعية
 فأعجب الأديب والعالم والفيلسوف والمؤرخ والسياسي والمشرع والمفكر والمسلم واليهودي
 والنصراني ولم يظهر في معاني شعره الا بعض أجزاء من صورته الفردية (الفطرية) فأعجب
 نفسه ومن يشاركه في الهوى : جتف بالخمر فاستقصى ، وتغزل بالجميل فاستهوى الانفس ،
 ووصف المراقص فاستمال القلوب ، فاستدل المجددون في الشعر بهذا على انه يحب الحياة
 ومادروا انها صورة المرء الفطرية الحيوانية يظهرها التبذل ويضمها التزمت والتدين والا
 فمن منا لا يحب الحياة انما تختلف في وجوه نشدها :

أرى كنا ينبغي الحياة لنفسه حريصاً عليها مستبهاً بها صبا
 فحب الجبان النفس أوردته التقا وحب الشجاع النفس أوردته الحربا

ومن معرفتنا بان كل امرئ يعيش طبيعة بصورة لنفسه وصورة للمجتمع نعرف
 خطأ من يقول ان شوقياً غريب الأطوار فينا هو يشيد بالتبزع في وصف الخمر والتمتع
 باللذائذ والتولع بالملاهي اذا به يبحث على التغاضي في نصرة الاسلام والتنافس في نشر
 الفضيلة والايثار على النفس . نسي هذا القائل تأثير الفرائز الفطرية بكل شخص كما نسي
 ان المجتمع الذي يعيش فيه شوقي هو الغريب الأطوار السريع التقلب فهو يعايشه في
 اموره العامة بصورته الاجتماعية المكتسبة منه ويراجع لذاته بصورته الفردية .
 هذا وليس عجيباً ان يفوق شوقي شعراء زمانه ومن قبلهم من بعد القرن الرابع باكثره
 من المعاني المبتكرة فلا نكاد نقرأ له قصيدة الا متضمنة معنى أو أكثر من معانيه المبتكرة
 أو المولدة توليداً بديعاً بحيث يتألف من مجموعها ثروة تضاف الى ثروة الأدب فتزبده
 عنرازة وتمكيناً .

« مسلك شعره في اللفظ والاسلوب »

يضيق بنا المقام الليلة عن وصف شعره في لفظه وأسلوبه مفصلاً تفصيلاً وكل
 ما يمكن ان نقوله انه كان في صباه رقيقاً سهلاً قليل اللفظ الغريب ثم صار في كهولته
 يرق في الغزليات والخمرات وأوصاف الملاهي ويفخم ويمجزل وبغرب وينمض في الجديات

وعندما يعارض شاعراً عظيماً أو يكتب الى عالم كبير أو مملك خطير وهذا الغريب أحيا منه شوقي أكثر من الألف كلمة زادت الأدب فراحة ومجادة . وليس معنى ماقلت في هذه الليلة ان شوقياً رزق الكمال في شعره كما رزق السعادة ، فالشاعر الكامل لم يسمح به الزمان بعد ولعل له من العيوب الفنية والأخطاء النحوية اللغوية ما يستنفد عشرات الصفائف ومبلغ القول فيه انه بشر يخطئ ويصيب وانه مكرمة من مكارم الشرق وحسنة من حسنات الأدب العربي . وكفى شوقياً شرفاً وعظمة ان تكون فجيعة فيه هي فجيعة للعرب والمسلمين والشرق كافة وان كل قلب فيهم يستشعر الياس من ان يستدير الزمان فيجور لنا بنادرة الفلك وبكر عطارده . فهل تخرج لنا الارض التي أنبتته والهبأة التي أنجبتته مثل شوقي ليس ذلك بعزيز علي مفيض العتول وواهب الحياة سبحانه وتعالى .



رحلة أوليا جلبي (١)

« في البلاد العربية »

— ٨ —

وفي منتصف هذه البلدة (سلمية) ساحة واسعة تلتقي فيها طرق الأحياء الضيقة المعوجة وتحيط بها حوائط الباعة ومرائب السيارات وقد قامت في وسطها دار الحكومة الحديثة وفندق حوله حديقة وبجانبها جامع للسنين حديث البناء . وفي أحياء سلمية وقراها أما كن لعبادة الاسماعيلية لا يعرفها ولا يدخلها إلا هم يدعونها « جمعة » بفتح الجيم يرتادونها مرتين في اليوم قبيل الفجر وعقيب الغروب فيلتف الرجال ووراءهم النساء حول مائدة عليها صورة شمسية لمعبودهم آغا خان وبعد ان يتنموا أدعية باللغة الاوردية يؤدي كل منهم الزكاة وهو خمس ما جناه في ذلك اليوم مهما تفه يرسل مجموعه في آخر العام الى الهند . وثمة في جنوبي سلمية مدرسة ابتدائية رسمية وأخرى في غربها زراعية عملية أنشئت بأموال الزكاة التي ذكرناها . والمدرسة الزراعية أنشئت في عهد العثمانيين في سنة ١٣٢٩ ولها مبان حسنة وارض واسعة وقد سبق لكاتب هذه السطور جهود حمة في ادارتها وفتحها واعمارها بعد ان أحرقت عقيب الحرب العامة واغلقت ، فتفتت التلامذة على الأساليب الزراعية الحديثة ووضعت المناهج وألفت بعض الكتب في الفنون التي كانت تدرس بالتركية ولم يسبق لها وجود في العربية وأنشأت الكروم والبساتين والمنابت الزراعية حتى الآن وخرجت خلال السنوات السبع التي مكثت فيها عدداً غير يسير من الإخصائيين استلم بعضهم زمام العمل فيها وغيرها من المعاهد والدوائر الزراعية في مختلف الأقطار العربية فكان منهم بعض النفع

(١) مازلنا في صدد هذه الرحلة غير ان تعليقنا هذا عليها قد طال ومنعود اليها فلينتظر

القاري .

في خدمة هذه الجرفه . وبعد ان غادرت هذه المدرسة انحط شأنها وما زال بالخطاط حتى اضطرت الحكومة في العام الماضي الى الغائها وابقائها كمرکز للاختبار الزراعي فحسب .

وفي سلية من الآثار القديمة القنى البيزنطية والعريضة التي قدمنا ذكرها وقد فتح حتى الآن على ما قيل نحو خمسين منها وبقي مثل ذلك أو أكثر . وكان أعظمها وأطولها القناة التي ذكرنا في بحث حماة امتدادها من سلية الى حماة وإسقاطها البساتين والاراضي الشمالية التي استبعلت بعد دثورها . ولم يبق من آثار هذه القناة الا قليل من الآبار الجسيمة التي ترى في طريق حماة بين سلية وتل الدرة وبطن البعض انها تخص القناة المذكورة ويزعم آخرون انها تخص قناة تذهب الى مدينة أرامية تدعى قناة العاشق ، على ان الظن والزعم المذكورين يحتاجان الى تحقيق . وكانت هذه القناة من اكبر دواعي عمران حماة في عهد ملوكها الايوبيين ، خربها مرة شيركوه ملك حمص الذي كان عسوقاً برعيته مبيتاً لجيرانه . قال ابوالفداء في حوادث سنة ٦٣٥ : كان الملك الكامل شديد الحق على شيركوه صاحب حمص فأمر العسكر فبرزوا لتحصد حمص وأرسل الى صاحب حماة وأمره بالمسير اليها فبرز الملك المظفر من حماة ونزل على الرستن ولكن مات الملك الكامل بقتل ففرح صاحب حمص وأرسل ارجع سلية من نواب الملك المظفر وقطع القناة الواصلة من سلية الى حماة فبيست بساتينها ثم عزم على قطع النهر العاصي عن حماة فسد مخرجه من بحيرة قدس التي بظاهر حمص فبطلت نواعير حماة والطواحين وذهب ماء العاصي في أودية بجوانب البحيرة ثم لما لم يجد الماء مسلماً عاد فهدم ماعمله صاحب حمص وجري كما كان اولاً . وقال في حوادث سنة ٧٢٦ يذكر تنظيمه هذه القناة : وفيها في منتصف ربيع الآخر الموافق للحادي والعشرين من آذار خرجت بعسكر حماة ووصلت الى القناة الواصلة من سلية الى حماة وقسمتها على الامراء والعسكر لينظفوها فانها كانت قد آلت الى التلف بسبب ما اجتمع فيها من الطين فخرروها في نحو اسبوع ثم عدت الى حماة اه .

وفي سلية من المباني الأثرية أسس سور الحصن القديم وقسم من أبراجه يتخفي وراء الحوائط وكان هذا الحصن من بناء العرب قبل عهد المماليك شيد بانقاض المباني البيزنطية القديمة وقد هدم وبالأأسف خلال الحرب العامة واشتملت أنقاضه في عمارة دارالحكومة

الحديثة . أدر كنافيه ثمانية أبراج مربعة الشكل أربعة في الزوايا وأربعة في منتصف الاسوار وكان في وسطه فناء واسع وفي جنوبه قبر كبير اتخذ السفيون مسجداً على سطحه غرف عديدة لموظفي القضاء . وثمة حمام عربي قديم وجدوه في بدء عمران سلية الاخير على حالته الحاضرة فتظفوه وما يروحوا يستعملونه وهو يماثل حمامات المدن الكبيرة بحسن تقسيمه واتقان بنائه ويشهد بما كان لسلية وأهلها في عهد العرب من الحضارة والرفه وعلى يسار بابيه حجر عليه كتابة كوفية لا تجوي تاريخاً مما يدل على ان الحجر مستعار من مكان آخر . وجامع خراب ينسب الى الامام اسماعيل يظهر من هياة قسمه الشرقي انه كان كنيسة في صحنها أعمدة ممدودة ومتنصبة من الحجر الحراري (نسبة الى الحرّة) والحجر المحبب (الغرانيت) الاحمر والاسود وفي قسمه الغربي قبة عالية من الآجر نصفها مهدوم تحتها أضرحة اسلامية لأناس مجهولين زعموا ان صاحب الضريح الاكبر الذي بخطأ سكان سلية بنسبته الى الامام اسماعيل هو أحد بني هاشم الذين استوطنوا سلية في القرن الثالث واسمه رضي الدين عبد الله بن احمد الوفي بن محمد التقي بن محمد المكتوم بن اسماعيل وانه بعد ان توفي قبيل حادثة القرامطة ذهب من سلم من أسرته في سنة ٢٩٦ الى المغرب برئاسة احد أبناء أعمامه عبيد الله بن محمد الحبيب الذي قدمنا ذكر لحاقه بابي عبد الله الشيعي وتلقبه بالمهدي وتأسيسه الدولة الفاطمية . وعلى أسكفة باب القبة زيرت كتابة كوفية تاريخها سنة ٤٨١ قرأنا منها بعد الجهد الكلمات الآتية :

بسم الله الرحمن الرحيم عمل هذا المشهد المباركة العابد الأجل ابو الحسن علي بن حرمل (?)
 ... صانعه الأمير الأجل الملك سيف الدولة خلف بن ملاعب أدام الله
 علوه في سنة احدى وثمانين واربعائة

دلت كلمة المشهد الواردة في هذه الكتابة على ان أصحاب الأضرحة الراقدين تحت القبة شهداء ولكنها لم تذكر اسماءهم باللاسف لنعرف من هم ، ودلت على ان سلية كانت نكحة تدمر حصصاً في عهد صاحبها خلف بن ملاعب الكلابي الذي كان يخطب للفاطميين . وقيل ان في الزاوية الغربية القبلية من خارج حرم هذا الجامع الحرب حجر أسود زير عليه

باليونانية ما تعريبه : « هذا باب الله من تكلم الصدق وسار على الحق دخل منه » .
وقلما تخلو باحة أو دار في سلية من أسس الجدران أو ناووس أو جرن أو سارية أو تاج
أو قاعدة عمود بعضها مستعمل في تضاعيف الابنية وبعضها ملقى ومنها ما عليه كتابات
ونقوش يونانية تنتظر من يعنى بها ، وفي إحدى الدور ينزل من فوهة بئر إلى مسجد صغير
تحت الأرض معقود ومبلط فيه محراب وحوض ماء . وفي ضواحي سلية إلى الغرب من عين
الزرقاء طاحونة قديمة تعرف بطاحونة المعبد وجد فيها الاثري هارتمان في أوائل هذا القرن
أحجاراً عليها كتابات تشبه الطلامس وعمودين من الحرتي مؤلفين من عدة قطع ولها تيجان
كورنتية وعلى عمودين آخرين كتابات يونانية وكوفية غير واضحة .

والى الشمال الغربي من سلية على بعد ثلاثة كيلومترات اكمة عالية جرداء من أذيال
جبل العلا في ذروتها جامع خرب لايسع الزائر الا استغراب الحكمة في بنائه في هذا
العلو المتفر وهو ينسب إلى الخضر حجرة من الحرتي وفيه كسور أعمدة حلزونية . وفي
غربي جامع الخضر تل عال أبيض منتصب وسط واد عريض أحاطت به أذيال جبل
العلا وربضت فوقه (قلعة شميميس) ذكرها ابو الفداء في تاريخه في حوادث سنة ٦٢٧
قال : في هذه السنة شرع صاحب حمص شيركوه في عمارة قلعة شميميس وكان
لما سلم إليه الملك الكامل سلية قد استأذنه في عمارة تل شميميس قلعة فأذن له بذلك
ولما أراد شيركوه عمارته أراد الملك المظفر صاحب حماة منعه ثم لم يمكنه ذلك لكونه
باسم الملك الكامل اه .

وهذا التل ذو شكل مخروطي وتأليف جيولوجي غريب نادر المثال فأسفله من الصخور
الجيرية وقته من الحرتي تظهر الثانية فوق الاولى كطاقية صغيرة سوداء فوق هامة كبيرة
كلها المشيب مما يدل على ان التل كان يركائناً قذف بحمه وكان قليلاً فجمد عند
الفوهة . وقد تفر مشيدو القلعة في بعلوم هذه الفوهة بئراً عظيمة الدائرة لا يعرف غورها
عشت فيها أسراب الحمام البري . ومهدوا سطح الطاقية وبنوا على دائرتها أسوار القلعة
وأبراجها وحفروا حول التل خندقاً عظيماً وعميقاً يحيط بالقلعة . واذ لم يبق للجسر والبواب
البلدين كئنا في قلبها أثر أصبح القاصد لا يبلغها الا زحفاً لشدة الانحدار . وقد هدم كل

الابرارج وأعلى الاسوار فصار الزائر لا يرى في داخل القلعة الا البئر التي ذكرناها واطلالاً
وركاماً لجدران متساقطة ودعائم متهدمة ما خلا قسماً من السور ونوافذه فانه لا يزال ماثلاً .
وموقع قلعة شيميس ذو مكانة حربية لا يستهان بها تدل على جودة نظر بنائها فهي وان
اختفت وراء الآكام المحيطة بها تشرف على ابعاد شاسعة يصل مداها الى ضاحية حص
في الجنوب وطريق حماة ووادي الناصي في الغرب والسهول الممتدة الى جبل البلعاس في
الشرق والطرق الآخذة الى الاندرين وحلب في الشمال . ولم يذكر ابو الفداء ولا غيره
من مؤرخي العرب من هو شيميس التي نسبت هذه القلعة وتلقا اليه وربما كان احد ملوك
حص من آل شمسفرام او غيره ، لان بناءها وان كانت عريياً بحتاً من طراز الهندسة
العسكرية السائدة في عهد الملوك الايوبيين لكن اسم شيميس وحصره جل هذه القلعة
دون غيره من التلال والآكام المجاورة المحرومة من الاسماء يذهب ان بالظن الى انه كان
هناك حصن قديم من قبل الاسلام خربته عوادي الزمان فجاء الملك الجاهد شيركوه في
سنة ٦٢٧ وتقصه وعمر القلعة الحالية لتكون مقابل قلعة حص التي عمرها هو ايضاً بعد
دثورها . وبقيت شيميس في يده ويد ابنه المنصور ابراهيم الى ان سلمها حفيده الأشرف
موسى في سنة ٦٤٥ الى الصالح ايوب ملك مصر والشام . وفي سنة ٦٥٨ جاء التتار بقيادة
هولاكو فنالوا منها كما نالوا من بقية قلاع الشام ثم رعبا بعد ذهابهم الملك الظاهر بيبرس
في حملة ما رم وظلت تعد من ممتلكات دولة المماليك المصرية بدليل ذكرها في المعاهدة
التي عقدها الملك المنصور قلاوون مع الصليبيين في سنة ٦٨٢ ثم اهمل امرها لما عمت الفوضى
بعده الى ان قضت عليها الزلازل وقتن الأعراب . على ان القضاء الاخير لم يتم الا بعد
مجيء سكان سلمية الحاليين فهم تهاوتوا على تهديمها ونقل أحجارها حتى ان بابها الكبير الذي
كان ماثلاً في قبايلها في سنة ١٣١٣ حينما زارها الأثري (فان برشم) قد تقص هو
والبرجان اللذان كانا يحرسانه وهكذا تندثر الآثار القديمة في بلاد الشام بيد جهلاء
ابنائهم وتضيع مفاخر الاسلاف دون ان تجد لها شقيقاً او نصيراً .

وفي شمالي سلمية على بعد خمسة كيلومترات ربوة فيها جامع خرب ينسب الى الشيخ
فرج (?) له قبة من الآجر أكثرها متهدم وله جدران متداعية وفي شرقيه ضريح محاط

بجدران غير مسقوفة صاحبه الشيخ المذكور تزوره الإعراب وأهل القرى لاعتقادها ببركته . وفي جنوبي هذا الضريح مقبرة فيها قبور قديمة وحديثة صاحب أحدها « محمد ابن عيسى بن مهنا » المتوفى في سنة ٧٢٤ كما زير على شاهدة قبره . وأبو هذا الرجل عيسى ابن مهنا سليل بني طي القبيلة المشهورة التي قال ابن خلدون عن أفرادها : ملأوا السهل والجبل حجازاً وشاماً وعراقاً وكانت منهم أصحاب الدولة في العراق والشام ومصر . وقد كانت عيسى ثم من بعده ابنه مهنا أمير البادية كلها في أواسط القرن السابع وأوائل الثامن وكانت لها منزلة رفيعة لدى السلاطين المماليك في مصر ونوابهم في الشام . وقد رددت التواريخ أخبارهما وأخبار الغارات والفتن التي أتى بها أولاد مهنا وأولاد أخيه فضل وأعقابهما في القرن الثامن والقرون التي تلتها مما أدى لدثور سلمية وضواحي حماة والمرة . وقد تغير اسم آل مهنا بعد حين كما هي عادة أهل البادية وجاء من أعقابهم فرع صار يدعى بابي ريشة هم الآن أمراء عشيرة الموالي المعروفة في زمننا ، لا يزالون على سنن جدودهم يثبون كلما لقوا من فوضى الأحكام فرصة ويقتتلون مع جيرانهم الحديديةين كلما وجدت الفتنة من يوقظها فيما بينهم فينال الطرفان من العاصم والغامر .

وفي شرقي سلمية على بعد ٤٧ كيلو متراً منها جبل يدعى البلعاس يذهب إليه القاصد ماراً بقربتي بري الغربي وبري الشرقي ويلج على يمينه إصفاوي وتل الغاوي ومبرج مطر والخنية وتل التوت وهذه القرى تتبع مركز القضاء في سلمية . ثم يمر بمقر الغربي والشرقي تاركاً على يساره أرض قرية عقارب الواسعة ثم بابي حيلات وأبي رمال إلى أن يوافي عقيربات . وقد ذكر ياقوت في معجمه عقيربات بدون تاء وقال إنها ناحية بمحصر ، وهي ضيعة في أقصى العمران فيها الآن مخفر للدرك ومدير ناحية تتبعه الضياع والمزارع النائية مثلها كفريتان وعرشونة وعكش وأبو حنايا وقليب الثور وصاها ومسعدة ومسعود ما عدا التي مر ذكرها في الطريق . وأهل عقيربات جالية من قرية السخنة على طريق تدبر ودير الزور ، وقد عرفت بمحدث المبارك الأولى بين قبيلتي الموالي والحديديةين حينما نشبت الفتنة بينهما في سنة ١٣٣٩ وانتقلت إلى أماكن أخرى وعمت البلوى منهما ودامت إذذاك سبع سنوات وبعد أن أطفئت عادت إلى النشوب منذ عهد قريب وما رجحت .

والبلعاس يتبدأ من قرب عقيربات ويقف حاجزاً بين فيافي البادية وأرياف الحاضرة . وهو مؤلف من أكام وهضاب متسلسلة يتخللها أودية يختلف عرضها وعمتها ، وطوله من الشمال من مكان يدعى خسو الرمل الى آخر في الجنوب يدعى النايان شرقي كورة حمص نحو خمسين كيلومتراً وعرضه من جوار عقيربات السويد الى صرة ابي الظهور اربقوت كيلومتراً . ويتصل البلعاس في شرقيه بسلاسل من الجبال المائلة له تمتد من الغرب الى الشرق الى قرب قرية السخنة وتدعى باسماء مختلفة كأبي الظهور وفيه موقع يدعى الشفا وشاعر وشطب والمرأة وابو رجين وابو حية والايض وهذا يشرف على طريق حمص وتدمر . ويختلف علو هذه الجبال بين ١٠٠٠ - ١٤٠٠ متر بينما السهول الناشئة قرب سفوحها لا تتجاوز خمسمائة المتر . وفي هذه الجبال أشجار قديمة عظيمة من البطم الذي ينفع بحطابه وعصير ثمره المشابه لزيت الزيتون وباستعداده للتطعيم بالفسق وفيها لاسيما قرب عقيربات قليل من السويد الذي نسبت اليه وهذا ليس منه سوى الحطب . وتدل ظواهر هذه الأشجار على انها كانت في الماضي حراجاً كثيفة وكان البلعاس ومازال أغناها بذلك . الا ان يد القطع والاستئصال نالت منها وبالأأسف تبعدت المسافة بين الشجرة والثانية مئات من الأمتار ، وما يرح اهل سلمية وعقيربات وضواحيها يقطعون أحطاب هذه الأشجار وينقلونها على عجلاتهم وجمالهم ويبيعونها في حمص وحماة وسلمية ناهيك بما يحرقه الاعراب الذين يتولون فيه في فصل الشتاء او يرون به اثناء التشريق والتفريق مما يقدر ينجوه في كل عام بأربعين الف قنطار زيت . وقد خلا معظم الهضاب الغربية في البلعاس من أشجاره بسبب هذا القطع المستمر ولا رادع ولا وازع ، وسوف لا يمضي على ما رأيت عشرون سنة حتى يتجرد هذا الجبل الجميل من أشجاره بالكلي كما تجرد جبل الشومرية وجبل قلمون وغيرهما من جبال الشام فاختل نظام الأمطار وتوات أعوام المحل من جراء هذا التجريد والتخريب .

ذكر ياقوت البلعاس فقال أنه كورة من كور حمص وكان عرف الكورة في مقدمته بانها كل صقع يشتمل على عدة قرى ولا بد لتلك القرى من قصبة او مدينة او نهر يجمع اسمها . فهل كان هذا الجبل عامراً في عهد ياقوت وما قبله يعني سماه كورة ؟ لا نجرم

ان المتجول في هضاب البلعاس وشعابه وفي الجبال المجاورة له التي عددناها نجد خرباً ورسوماً كثيرة تعد بالمئات لا تزال أطلالها ماثلةً بعضها يشبه الخافر لوقوعه في ذروات مشرفة على المنافذ والمسالك وبعضها يشبه الدساكر والضياع أشهرها أم قبيبة ورسم التنباك والتركمانية وحميات وديس وجب العمارة وحويسيس والقسطل وبستان صبيح والمسكرة . وغالبها يحتوي على صهاريج مندثرة شيدت وطلبت بما يضبط الماء وسلطت عليها المجاري الآتية بمياه الشتاء مما يثبت ان هذه الجبال المقفرة في يومنا كُن بعضها ان لم يكن جابها أهلة في العصور الغابرة وذلك على الرغم من انها محرومة بالكليّة من الينابيع المتفجرة في حين ان صخورها رسوبية جيرية يضاء وهذا مادعا ساكنها القدماء لحفر تلك الصهاريج وتشبيدها . بيد ان ياقوت لم يزدنا ايضاحاً كما ان غيره من جغرافي العرب ونخص بالاشارة ابي الفداء لم يذكرنا عن كورة البلعاس شيئاً لذا غمض علينا مبلغ العمران الذي وصلت اليه وعدد السكان وحسبهم ونسبهم ومعاشهم اكان من الاحتطاب وعصر ثمر البطم أم من غيرها ايضاً وما سبب خراب هذه الكورة وزمنه اكان قبل الفتح الاسلامي أم بعده في بدء عهد العباسيين كما نقله الصابوني في تاريخ حماة دون ان يذكر المصدر أم بعد عهد ياقوت في القرن الثامن حينما خربت سلمية وضواحيها بيد الأعراب أبناء وأحفاد مهنا بن عيسى .

هذا وقد اعتادت عربان ديار سلمية وحماة والمرة ان تنزل في فصل الشتاء في البلعاس والجبال المجاورة له وذلك في الحرب الدائرة التي ذكرناها وبعض القبائل تمر بها في طريقها الى البادية (الحماة) او الحاضرة (الممورة) خلال التشريق والتغريب وهم يرغبون في الارعاء في هذه الجبال لصلاحها للقم والمعز التي تتساق الاشجار وتتغذى باوراقها قبل هطول الامطار واخضرار الارض بنبات الربيع . ولهذا دعيت مثل هذه القبائل في كتب الاقدمين باهل الشجر لمكوئها او مرورها بالجبال الشجراء على حين ان اهل الوبر اي أصحاب الابل العريقين بالبدوة كقبائل عنزة تبتعد عن البلعاس لضرر أشجاره بالابل التي تحتك بها وتصاب بالجرب وتبتعد خاصة عن جبل شاعر الذي زعموا ان في سفحه (او شليله كما يقولون) عشب صغير ينمو بين غيره من النبات في الربيع اذا أكله البعير يصيبه وهن أشبه بالهيفة وقد بقي فيه كأمناً الى أواخر فصل الصيف ولا يؤمن من ظهوره

في البعير حتى يشرب ماء السماء (اي ان تمطر) .

وفصل الربيع في هذا الجبل جميل يستهوي غواة المعتزلات القفراء والودية الشجراء والهضاب الغضراء ، لاسيما بعد ان يورق البطم وتنمو الانجم والأعشاب وهي هنا تقترب بوفرتها وتنوعها لما في الجبال الغربية وبعد ان تمتلي صهاريجها وحواياها بمياه السيول والأمطار وتزدحم سفوحها وأوديتها بمضارب العربان ويرن فيها ثغاء الغنم والحملات وتكثر الزبد والألبان . وبعض أوديته واسعة الرقعة خصبة التربة حمراء اللون جالحة للاستغلال لا ينقصها الا الأمن واليد العاملة . ويذكر ان في جبل شاعر أرضاً تشبه كورة العلا بالنشوز واحمرار التربة وسعتها وخصبها وان في الجبل الأبيض على مقربة من تدمر مقطع للرخام الأبيض وفي غربي المنهل المعروف بالجحار صخر أحمر يعرف بمقطع المرو وان في جبل المرأة ابضاً مقطع آخر يماثله . واذا لم تكف مياه الصياريج والحوايا في هذه الجبال يرد الأعراب الآبار الموجودة في السهول الممتدة في شماليها أو شرقيها أو جنوبيها كأبار اسرية والقصير وابو الفياض وابو النيتل والتوينات والكديم والهباة وقواعد وجب الرمان وجحار وعين البيضاء وابو رغبوة ومخلف وحفار الجواد ومياه الآبار الثلاثة الاخيرة مرة .

« للبحث صلة » وصفي زكريا



جامع التواريخ

— أو —

« نشرار المخاضرة وأخبار المذاكرة »

— ٨ —

ابو علي عبدالله بن الحجاج وابو بشر النصراني (١) الكاتب يهجو أبا الفضل
الشيرازي الوزير (٢) كان من ابيات :

ما كل من طول عشونه ينال فضلاً يا ابا الفضل
طولت عشونك تبغي الغنى ايّ على في ذنب البغل
ولست أحصي كم رأيت امرءاً ألقى ولكن كوسج العقل

حدثني ابو اسحاق ابراهيم بن احمد بن محمد الطبري الشاهد قال حدثنا
الحسين بن فلان الكاتب النصراني الملقب بيطر أم الدنيا قال قال (٣) لي ابن
الفرات أمر السلطان المخرقة فاذا استحكمت وتمت صارت سيامة :

(١) كذا بالأصل وبظهر ان الجملة ناقصة . (٢) قوله (الوزير كان) بمثابة قولنا
اليوم (الوزير السابق) . (٣) الوزراء لـهلال ص ٦٣ .

وحدثنا قال حدثنا قاضي القضاة اي محمد بن معروف قال كنت مع المطيع
 لله في طياره وقد ركب وانا واقف بين يديه مع حاجبه وكما دعت له طائفة
 سألتني عنها فأخبره بها حتى دعت له طائفة من الطالبين فقال من هؤلاء فقلت
 الطالبون فاعرض عنهم واطرق ساعة وعبس الى ان جازهم ثم قال يا أبا عبد الله
 قلت لبيك يا امير المؤمنين قال العلوية اهلي واقرب الناس اليّ ووالله اني احبهم
 ولكن اعلم انهم يغضوني ومثلي لا يخالل ولا يجوز ان أعاملهم الا بما رأيت .
 وسمعت يقول سمعت جعفرأ الخلدی الصوفي يقول لو تبر كني الصوفية
 لجئتكم باسناد الدنيا (١) مضيت الى عباس الدوري وانا حدث فكتبت
 عنه مجلساً واحداً وخرجت من عنده فلقيني بعض من كنت اصحبه من
 الصوفية فقال ايش هذا معك فأريته اياه فقال ويمك تدع علم الخرق
 وتأخذ علم الورق قال ثم خرق الاوراق ودخل كلامه في قلبي فلم أعد
 الى عباس . وسمعت يقول سمعت جعفرأ يقول سمعت جنيدأ الصوفي
 يقول سمعت سريأ السقطي الصوفي يقول اعرف قوماً يرون المواساة (٢)
 بخلاً انما هو الايثار . وسمعت يقول سمعت جعفرأ الخلدی يقول وقف سائل
 على الجنيد ونحن عنده في حلقة فرد عليه فسأله فقال يا هذا الصناعة واحدة
 ولكننا اظرف . انصرف اغناك الله . فانصرف . وسمعت يقول سمعت جعفرأ
 الخلدی يقول حجبت ستاً وخمسين حجة منها عشرون حجة على المذهب يعني

(١) لعله يريد باسناد ابن ابي الدنيا قال العسقلاني في تهذيبه (١٢٩:٥) انه روى عن
 عباس الدوري . (٢) قال الجرجاني في تعريفاته : المواساة ان ينزل غيره منزلة نفسه في
 النفع له والدفع عنه . والا يثار ان يقدم غيره على نفسه فيها .

على التوكل بلا زاد ولا راحلة . وسمعت يقول سمعت جعفرًا الخلددي يقول من أراد ان يستكتم سوءاً له فليستكتم كما فعل رويم فانه كتم حب الدنيا اربعين سنة فقبل له كيف قال كان يتصوف اربعين سنة فولي بعد ذلك اسماعيل بن اسحق القماضي قضاء بغداد وكانت بينهما مودة وكيدة فجذبه اليه وجعله وكيلاً على بابه فتروك الصوفية والتصوف والتوكل ولبس الخنز والقصب والديقي والمروي وركب الحمير والبغال واكل الطيبات وبنى الدور واذا هو كان يكتم حب الدنيا لما لم يجدها فلما وجدها أظهر ما كان يكتم من حبها . وسمعت يقول سمعت ابا القاسم الزيات الصوفي يقول سمعت الجنيد يقول : قال لنا السري السقطي : البريء جريء والخائف خائف والجاني مستوحش . ومن الشعر الجيد في هذا المعنى :

أَمْ مُسْتَوْحَشٌ أَنْتَ لَمَّا أَسَأْتُ فَاحْسَنَ إِذَا شِئْتَ وَاسْتَأْنَسَ

حدثنا ابو عمرو القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي القماضي قال حدثنا ابو القاسم البزاز قال حدثني بعض أصحاب سهل بن عبد الله التستري الزاهد قال قال لي سهل : الجاهل ميت والعاصي سكران والمصرّ هالك . في أمثال العامة كن صحيحاً وكن فصيحاً . ومن أمثالهم في هذا المعنى اذا كان بوالك صحيحاً فاضرب به وجه الطيب اي اذا كنت سليماً فلا تبال ما صنعت (١) .

(١) يظهر ان معنى المثل : اذا كنت في حال الصحة فلا حاجة الى طيب .

سمعت ابا اسحاق ابراهيم بن احمد الطبري يقول سمعت جعفرأ الخلامي يقول سمعت جنيدأ يقول سمعت سريأ السقطي يقول الناس في الاعمال يتقاربون وانما قارب من قارب بحسن الأدب بين يدي الله تعالى .

وحدثني قال كان ابو الحسين بن نصرويه ربما شاورني في الشيء يجري فأستعظم ذلك منه وأقول : مثلك وأنت الشيخ المجرب المحنك المدرب المذهب يشاور مثلي وانا ولدك هذا مما يوحشني منك ويقع لي انك تجربيه مجرى الهزل فيقول لي قد رفعك الله عن هذا وانما كان هذا يجري كما قلت لو كنت لأناقضك في الرأي وتناقضني وأحاجك (١) وتحتاجني الى ان يشور (٢) الشيء بيننا فاعمل بما يتقرر فاما وأنت تراني أفعل هذا فلا مظنة فيه ولكن أمثل عندك (٣) نفسي انك شاب وعمرى ان علم الشباب محقور .

وحدثني قال سمعت ابا الحسين بن نصرويه يقول : وافى ابو محمد المهلبى لما كتب لمعز الدولة - البصرة فاعتقل القاضي ابا القاسم جعفر بن عبد الواحد الهاشمي لينقض منه ويشفي ابا تمام الزينبي الهاشمي لاجل ما كان بينهما من المصاهرة وعداوته لابن عبد الواحد ولم يكن بين ابن عبد الواحد والمهلبى شيء يختص به من عداوة فدخل ابو تمام الى المهلبى مسلماً فلما خرج قال المهلبى لغلمانه

(١) يريد : ولا احاجك . (٢) لعل الصواب : يتقرر . (٣) يريدانه عند محاجته

للشاب يجعل نفسه شاباً . والعبارة غير واضحة .

انظروا الى اين بلغ فعادوا وقالوا قد خرج من الدهليز وانصرف فقال: أقبض على مثل ابن عبد الواحد لا شيء الا لاجله ويدخل اليّ وهو معتقل عندي فلا يكون فيه من المروءة ما يدخل اليه ويعرض نفسه عليه ويتكفل بامرّه ويسألني فيه ويكون سبب اطلاقه ويسترقه بذلك؟ قم يا ابا الحسين فخذ بيد ابن عبد الواحد الى منزله فقد أطلقته قال فضيت الى ابن عبد الواحد وهو في الحبس فحدثته بما جرى وجئت به الى المهلبى فشكره وانصرف الى منزله.

وحدثني قال سمعت ابا الحسين بن نصرويه يقول: حضرت مجلس المهلبى وقد دخل اليه جعفر بن عبد الواحد فلقية في وجهه مقطب وقصر به ثم جلس وأخرج من كفه رقعة فتأملت التأقل والتكره في وجهه فقرأها ووقع فيها ثم أخرج أخرى وأخرى الى ان عرض عليه عدة رقاع فوقع وكما وقع في واحدة انبسط وجهه في وجه ابن عبد الواحد الى ان تكلمت الرقاع ثم قام ابن عبد الواحد ودخل ابوتام الزينبي فرفعه المهلبى أتم رفعة واهتاش له فأقبل عليه بوجهه وأخرج رقعة فعرضها عليه فوقع له وأخرج عدة رقاع وكان كلما أخرج رقعة ووقع فيها ظهر في وجهه الكراهية والتأقل الى ان فرغ من الرقاع فأخذها ابوتام وقام فأقبل المهلبى وقال يا ابا الحسين شتان بين الرجلين دخل اليّ ابن عبد الواحد فعملت لان أقصيه بما عملته من قلة الرفع والتقرب فعزّيت عليّ اول رقعة فاعتقدت قبل قراءتها ان أردّها فلما قرأتها وجدتها لحاجة غيره فاستحييت ان يكون أكرم مني وقد بذل جاهه لمن

سأله سوائي مع ما يعلمه بما له عندي فما منعه ذلك أن يستريح بجاهه للسائل وأبخل انا بما أقدر عليه فيكون أكرم مني فأنت من ذلك ووقعت له ثم توالى رقاؤه فوجدت جميعها حوائج الناس ما له ولا لأحد ممن يخصه شيء منها فوقعت في جميعها ونفسي سمحة بذلك وقد نبل في عيني وتذمت من ردها وقد دخل هذا فعاملته من الأكرام بما رأيت لما بيني وبينه فعرض رقاؤه فوجدت اولها في شيء يخصه فوقعت له وكلما عرض رقعة تطلبت ان يكون فيها شيء لغيره فأقضيه له وأجعل به محمدة عليه فما وجدت الجميع الا له فيما يخصه فكرهت ذلك له وانحط من عيني ولم أستحسن رده لما بيننا فوقعت له فكيف يمكنني ان أرفع من هذا سبيله وأضع من تلك سبيله .

سمعت ابا اسحاق يقول سمعت جعفرأ الخلدی يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السري السقطي يقول : فاكهة القر (١) الغيبة . وسمعه يقول سمعت جعفرأ الخلدی يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السري السقطي يقول : اشتهي منذ ثلاثين سنة شهوة ما قدرت عليها فقل له ما هي قال اشتهي آكل أكلة لا يكون فيها لله عز وجل على تبعه ولا لمخلوق . فما وجدت ذلك .

(١) لعله : القرب . والقرب والغيبة من اصطلاحات اهل التصوف . اولل صوابه فاكهة القراء الغيبة والقراء جمع قاري يعنون بهم الفقهاء . والقر بمعنى البرد اي ان الغيبة تنوب في فصل الشتاء عن الفاكهة كما يقال النار (فاكهة الشتاء) .

وسمعت ابا اسحاق يقول سمعت بعض شهود الحضرة القدماء يقول :
 كنت بمحضرة ابي عمر (١) القاضي وجماعة من شهوده وخلفائه الذين يأنس بهم
 فأحضر ثوباً يانياً قيل له في ثمنه خمسون ديناراً فاستحسنه كل من حضر المجلس
 فقال يا غلام هات القلانسي فجاء فقال اقطع جميع هذا الثوب قلانس واحمل
 الى كل واحد من أصحابنا قلنسوة ثم التفت اليها وقال انكم استحسنتموها
 باجمعكم ولو استحسنه واحد لو هبته له فلما اشتهر كتم في استحسانه لم أجد طريقاً
 الا ان يحصل لكل واحد منكم واحدة منها .

حدثني ابو الحسين محمد بن محمد بن اسماعيل بن شاند الواسطي قال كان
 ابو قرّة الحسين بن محمد القنائي الكاتب قد كتب لابي علي كتاب (٢) بن
 العباس الديلي المعروف بالكوسج ضامن واسط برسالة الوزير ابي محمد المهلب
 ومشورته عليه بذلك ثم استوحش منه فاستتر منه يومين او ثلاثة وراسله
 فأمنه وظهر فكتب ابو قرّة الى المهلب يخبره بعد ظهوره وسبب استتاره
 لئلا يهجن أخباره عند (٣) ابي علي قال فوقع بخطه على ظهر الكتاب توقيعاً
 قرأه فكان « أحسن الله اليك كما أحسن توفيقك فلتسألن (٤) نفسك فاني
 عونك ومن ورائك ان شاء الله » .

(١) بالاصل : عمرو . (٢) لعله كلاب . (٣) لعله : عن . يعني لوجاءته عن ابي
 علي . (٤) لعل الصواب : فلتسألن أو معنى لتسألن لتحاسبن .

وحدثني ايضاً قال كان المهلبى في بعض انحداراته الى البصرة وهو وزير
أضاق فأخذ غلة عظيمة بعشرة آلاف دينار لابي وجدها بالبصرة واخذ غلات
التجار المكدورة من دسّيسين وواسط وغلات خلق كثير وباعها وصرفها في
دخل وخرج المملكة فأشير على ابي بالاقتصاد الى سبكتكين الحاجب
ومسأله يخبر معز الدولة بذلك فيأمر بارتجائها منه فخالف ابي وانحدر الى
المهلبى فتلقاه بالابلة . قال : فلما صعدت اليه هش بي وسر سروراً عظيماً
وقال ماجاء بك فقلت بلغني ان الوزير أيدد الله اخذ غلة وجدها لي بالبصرة
فسررت بذلك لتقديرى انه شرفني بهذه الحال وبسط يده في مالي كما بسطها
في مال نفسه وأولياته اذا احتاج الى أموالهم وتشرفت بذلك الى ان بلغني انه
أخذ مع مالي أموال التجار وأصحاب الضياع وأصاغر الناس من اهل
دسّيسين وواسط فأقلقني ذلك وعلمت ان هذا لو كان على سبيل الانس
لخصني به سيدنا الوزير ولم يشرك فيه معي هذه الطبقة التي لا يجوز مثله ان
يأنس بها في قرض ولا استعانة وانما هم للمصادرات فقط فخفت ان يكون
جميل رأيه قد استحال في تخليطي بهذه الطائفة فبحث مستصلاً لرأيه . وواقعاً
تحت أمره . قال : فأعجبه قولي جداً فقال لي يا علي (١) أنت والله مقبل
(وكررها مراراً) قبل ان تدخل اليّ بلحظة حضرتي من قال انك قد
أصعدت الى الحاجب سبكتكين لتشاكني (٢) اليه فاستقدت لك كل قبيل
وعملت على نصره فعلي ان جرى فيه كلام بكل ما يجوز ان ينصر به مثله فانا

(١) قد سبق ان اسم الرجل محمد . (٢) لعل صوابه لتشاكني أو لتشكوني .

أفكر في ذلك اذ استوذن لك عليّ فدخلت فسحرتني ووالله لا خرجت من هذا الموضع أو أصلك (١) الى مالك أو أكثره وأقيم لك بالباقي وجوهاً ناضة وجذب الدواة فكتب الوجوه بما يعجل ويسبب وفرغ من ذلك وامر بانشاء الكتب وسبب لي بالباقي على شباشي الخوارزمي مولى معز الدولة ضامن البصرة فأخذته في مدة قريبة واصعدت الى واسط .

حدثني ابو بكر بن جعفر السواق احد تجار الكرخ ببغداد المشهورين باليسار والستر وحفظ القرآن ووجه من وجوههم قال : كان عليّ وعد بنفذة لابن عبدان الصيرفي « وهذا رجل باق الى الآن من وجوه الصيارف بدر عون من المياسير » فأخرت إنجازاه لضرورة لحقتني ولم تكن عادتي جارية معه بمثل ذلك فجاءني يقتضيني وقال في عرض الخطاب أقول لك يا ابا بكر كما قال الله « وشديد عادة منتزعة » فقلت انا الله ما قال الله عز وجل هذا قال فاستحيا مني وقام فما عاد اليّ اياماً فلما حضرت الدراهم أنفذتها اليه .

وكان عندنا بالبصرة رجل من التجار مستور يعرف بابي علي بن سعدان احد الباعة في دار البطيخ موسر ير كعب وينسب في المجالس وفي الكلام فأخبرني ابو طلحة الأزدي صاحب بني المثنى شيخ مستور قال رأيت مرة ونحن جلوس في دهليز جعفر بن عبد الواحد القاضي ننتظر الاذن عليه وقد حضرت العصر فقام كل واحد منا فصلى وقام ابن سعدان فصلى صلاة لم أرقط أستخف منها فقلت له

(١) لعل صوابه : أوصلك .

يا باعلي هذه ليست صلاة فأحسن صلاتك فان هذه الصلاة كما قال ابن المعتز:
 صلاتك بين الملا نقرة كما اختلس (١) الجرعة الواغ
 فقال لي يا باطلحة أعزك الله هذا فضول لا نعرفه: نحن نصلي صلاة التجار
 فقلت له هذا أعجب كأن الله عز وجل فرض على التجار صلاة غير الصلاة
 التي فرضها على سائر عباده . وتمام الشعر لابن المعتز مشهور وكان الثميري نديمه
 صلى بحضرته صلاة سخيقة ثم سجد بعدها سجدة طويلة فقال ابن المعتز ارتجالاً
 البيت الاول وتماه :

وتسجد من بعدها سجدة كما ختم المزود الفارغ

حدثني محمد بن عدي بن زحر البصري جارتنا بها قال رأيت أبا اسحاق
 ياسين رجل كان ينزل بالقرب من المسجد الجامع بالبصرة وقد حدث في آخر
 عمره يناظر رجلاً في الجامع وهو يقول له قال النبي (٢) صلى الله عليه وسلم
 « من برّ يوماً بربه والدهر لا يغتر به » .

« للبحث صلة »

—•••—

(١) في الديوان ٢ : ١٦ استلب . (٢) كأن الغرض من هذا الخبر التعجيب من
 رواية أبي اسحق لهذا الحديث مع انه ليس بحديث .

آراء وافكار

—(())—

الفرق بين السنة والعام

« في اللغة العربية »

جاء في من الوجيه الفاضل صاحب الامضاء ما يأتي :

«أتذكر اني قرأت يوماً في إحدى الجرائد نبذة عن كلمتي (السنة) و (العام) وانها ليستا بمعنى واحد ولكن نسبت ما قاله الكاتب في التفريق بينهما وأرى الكتاب جميعهم يستعملون الكلمتين في معرض واحد . فما معنى (السنة) وما معنى (العام) وما وجه استعمال كل منهما ؟» دمشق : غالب الزالقي

(الجواب) — يوجد لعلماء اللغة في هذا الموضوع ثلاثة جوانب من القول :

(أ) ظاهر عبارات متون اللغة انه لا فرق بين السنة والعام في المعنى ولا في الاستعمال ، فالسنة هي العام والعام هو السنة فعبارة القاموس (السنة العام) وقال في محل آخر (العام السنة) ومثلها عبارة الصحاح . والظاهر من عباراتهم ايضاً ان الحول بمعناها اي بمعنى السنة والعام فصاحب المباح يقول (والسنة الحول) ثم قال (والعام الحول) وقال (حال حوالاً من باب قال اذا مضى ومنه قيل للعام حول) . وجمعها ثلاثتها : حمد بن يحيى (ثعلب) في فصيحه فقال : « والعام والحول والسنة بمعنى واحد ويأتي كل واحد منها على شتوة وصيفة » ويفهم من عبارته الاخيرة ان كلاً من الاسماء الثلاثة يشترط في مدلوله ان يشتمل على (شتوة) اي فصل شتاء كامل و (صيفة) اي فصل صيف كامل ، وذلك بأن نعتبر اول يوم من فصل الشتاء هو اول السنة فيمضي فصل الشتاء ويدخل فصل الصيف حتى آخر يوم منه فتكون السنة قد

تمت اما اذا اعتبرنا يوماً من وسط فصل الشتاء ثم مضى الشتاء ومضى الصيف ودخل الشتاء حتى وصلنا الى اليوم الذي بدأنا به . فان هذه الايام التي مضت لا تؤلف لنا سنةً وانما ألقت منها انصافاً غير متوالية . فاطلاق اسم الحول والسنة والعام عليها تجوز وتسامح . هذا هو استعمال الكلمات الثلاث في فصيح كلام العرب عند ثعلب . وان كان ثعلب قول آخر اخبروا به الجواليقي من دون ان يسمعه هو منه كما يأتي .

(٢) مامر في معنى السنة والعام هو ظاهر متون اللغة أما الشراح فقد ذكروا فرقاً بينهما قال ابن الجواليقي : ان عوام الناس لا يفرقون بين العام والسنة ويجعلونها بمعنى واحد فيقولون — لمن سافر في اي يوم من ايام السنة الى ان يعود ذلك اليوم — انه قد انقضى على سفره عام (يعني كما يقولون : انقضت على سفره سنة) قال وهذا غلط والردواب ما أخبرت به عن احمد بن يحيى (هو ثعلب نفسه) انه قال : (السنة) من اي يوم عدته الى مثله (والعام) لا يكون الا شتاءً وصيفاً اذ يعني كاملين كما مر يانه بحيث لا تكون البداية من وسطها بل من أولها . أما السنة فبدأتها من أي يوم أردت : من اول الشتاء واول الصيف أو من وسطها . اذن كل عام هو سنة وليست كل سنة عاماً فقد تقول أقمت في بيروت سنة ولا يصح ان تقول أقمت عاماً اذا كانت بداية إقامتك من يوم واقع في وسط الشتاء وبقيت الى ذلك اليوم من الشتاء القسايل . وحاصل الفرق ان السنة لا تسمى عاماً ما لم تتألف من صيف وشتاء كاملين متواليين والى هذا ذهب ايضاً الازهري وصاحب لسان العرب فقد قال (العام الحول يأتي على شتوة وصيفة) .

(٣) وهناك فرق آخر بين كلمتي السنة والعام نشأ عن التجوز في استعمال العرب لكلمة (السنة) مذ أصبحوا يريدون بها القحط والجذب والشدّة . قال ابن ابي الحديد في (شرح النجم) والسنة اسم لكل عام ثم غلبت على عام القحط . وقد شاع هذا الاستعمال على لسانهم بحيث اذا أطلقوا كلمة (سنة) فهم منها هذا المعنى في الأعم الأغلب وعليه الحديث الشريف (اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف) يعني سني شدة وقحط . واستعمالها هذا جعل الفصحاء اذا أرادوا سنة الرخاء والخصب يعدلون عن استعمال كلمة (سنة) الى كلمة (عام) : فيقولون أخذهم الله بالسنة أو بالسنين وأكثتهم السنة أو السنون . ومنه قوله تعالى (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين) كل ذلك مجاز عن شدة القحط . فهذا أكثر استعمال

لفظ (السنة) بخلاف العام فإنه يستعمل في الخصب والرخاء . ومن ثم يقول العرب (عام الفيل) لأنه كان عام خير فرج الله فيه عن العرب كربهم وشدتهم التي أتزلها بهم أبرهة الحبشي وفيله (محمود) . وقال الراغب في (المفردات) العام كالسنة لكن كثيراً ما تستعمل السنة في الحول الذي يكون فيه الجذب والشدة ولهذا يعبر عن الجذب بالسنة ويعبر بالعام في ما فيه رخاء وخصب قال تعالى : (عام فيه يُغاث الناس وفيه يعصرون) وقال تعالى (فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً) . قال الراغب وفي هذه الآية (الأخيرة) نكتة لطيفة حيث عبر عن المستثنى بكلمة (العام) وعن المستثنى منه بكلمة (السنة) لأن الخمسين سنة مضت قبل بعثة نوح عليه السلام وقبلها لم يحصل له اذى من قومه (يعني فكانت سنة هناء ولذا قال خمسين عاماً) واما بعد بعثته فهي شدة عليه (يعني ولذلك قال ألف سنة) اه .

هذا حاصل ما قانه علماء اللغة في معنى العام والسنة . فبعضهم وحد بينهما وبعضهم فرق والتفرقة من جهتين : من جهة وضع اللغة الأصلي . ومن جهة استعمال البلغاء الطاري . على ان التفرقة في الحالتين أغلبية لامطرودة فان من تتبع كلام الفصحاء وجدهم كثيراً ما خالفوا فلم يفرقوا ولا سيما في زماننا فان المتكلمين حتى البلغاء منبه كلما يفرقون في الاستعمال بين (السنة) و (العام) الا المدقق الحريص على جعل أسلوبه مطابقاً لقوانين البلاغة وأساليب القرآن فإنه يراعي الفرقين المذكورين .

المغربي

—•••—

« بحث لغوي »

جرت مناقشة بين الاستاذين (محمد عبد البديع) و (محمد دسوقي) من علماء الازهر بشأن صحة استعمال بعض الكلمات والأساليب لتخصبها في ما يلي :

(١) قولهم (تساءلت) مسندة الى ضمير المفرد انكر صحتها الاول وأجازها الثاني فقال انها مثل (تقاضيت) لان تفاعل كما يكون بين اثنين يكون من واحد . قال ابن قتيبة

في أدب الكاتب « تأتي تفاعلت من واحد كما جاءت فاعلت من واحد نقول تراءيت له وتماريت في ذلك وتعاطيت كذا » .

(٢) قولهم (السوس ينخر في العظام) أنكر صحته الاول وأجازه الثاني فقال انه صحيح اذا كان ينخر مجازاً عن يفسد والمجاز غير مجبور بل هو أبلغ من الحقيقة .

(٣) قولهم (الأجانب في مصر متمعون بينما نحن محرومون) أنكر جوازه الاول وأجازه الثاني وقال انه صحيح اذا جعلنا جواب بينما محذوفاً دل عليه قولهم (الأجانب في مصر متمعون) لان حذف الجواب لقريئة مسموع لغة .

(٤) قولهم (كلما سقي الخنظل كلما ازداد صرارة) اتفقا على تخطئته لما فيه من تكرار أداة الشرط .

« المغربي »

تعليق الاستاذ الزنجاني

« على مقال الاستاذ عبد الرازق »

ورد في ج ٧ من سنة ١٢ من مجلة المجمع ترجمة الفيلسوف الشهير ابي نصر الفارابي بقلم الاستاذ الجليل مصطفى عبد الرازق أجاد وأفاد فيما كتب واعتمد فيها على الكتب المعروفة الموجودة فيها ذكر هذا الفيلسوف ولسنا في صدد البسط في ترجمته وذكر ما ورد منها في غير المصادر التي اعتمد عليها الاستاذ إنما الغرض الإشارة الى بعض ملاحظات حصلت لنا اثناء مطالعة مقاله .

قال في ص ٣٨٦ والفارابي منسوب الى (فاراب) ولم يشذ عن القول بذلك الا ابن النديم في الفهرست فانه يقول أصله من (الفارياب) من ارض خراسان والا البيهقي في كتابه المخطوط في تاريخ الحكماء فانه يذكر ان الفارابي من فارياب (تركستان) .

أقول فاراب كما نص عليه كثير من المؤرخين وجغرافيي المسلمين بلدة وراء نهر سيمون شمالي شاش وتعرف الآن (باطرار) ولما ذكر في تاريخ حملات جنكيز خان الى الممالك الاسلامية وفي ترجمة تيمورلنك الفاتح الشهير واما (فارياب) فهي قصبة من بلاد خراسان

من أعمال جورجان وقد نسب اليها جماعة من اهل العلم ايضاً وعلى كل حال فابو نصر منسوب بلاشك الى فاراب تركستان كما انه ينسب اليها ايضاً اسماعيل بن حماد الجوهري صاحب كتاب الصحاح في اللغة وخاله اسحق بن ابراهيم صاحب (ديوان الادب) في اللغة ايضاً وغيرهما .

وهذا الوم انما نشأ عن تشابه الكتّابين وتقارب بلاد تركستان وبلاد خراسان .
وذكر الاستاذ في ص ٣٨٩ بعد ذكر انتقالات ابي نصر الى الشام فمصر وغيرهما « وكلام المؤرخين مضطرب في امر هذه الانتقالات وقد أورد ابن خلكان في كتاب الوفيات ان ابا نصر ذكر في كتابه المرسوم بالسياسة المدنية انه ابتداء بتأليفه في بغداد وأكمله بمصر » ثم علق الاستاذ المترجم عليه بانه ليس في كتاب السياسة المدنية المطبوع شيء من هذا .

أقول ان هذه الفقرة وردت في بعض نسخ الكتاب القديمة والظاهر ان ابن خلكان وابن ابي أصيبعة استندا في ذلك الى النسخ القديمة الموجودة في زمانها فقد رأيت في نسخة مخطوطة من كتاب السياسة تاريخ كتابتها سنة ٦٧٢ ذكرت في اولها العبارة التي نقلها ابن ابي أصيبعة وهذا نصها : « كان ابو نصر الفارابي ابتداء بتأليف هذا الكتاب ببغداد وحمله الى الشام في آخر سنة ثلاثين وثلاثمائة وتمه بدمشق في احدى وثلاثين ثم نظر في النسخة بعد التحرير فأثبت الأبواب التي في الحواشي بخطه ثم سأله بعض الناس ان يعمل الكتاب فصولاً فعمل الفصول بمصر سنة سبع وثلاثين وجعلها مضافة الى الكتاب وهي ستة فصول » وهي كما يظهر مشابهة لعبارة طبقات الأطباء ثم ورد في النسخة بعد ما نقلنا هذا ما وجدنا في النسخ ونحن تركنا الفصول اختصاراً وكتبنا الابواب في الحواشي اهـ » .

ونقل الاستاذ في ص ٣٩٠ عند ذكر وفاة الفارابي عن البيهقي خبراً انه قتل حين ارتحاله من دمشق الى عسقلان ثم شك في صحة هذا الخبر واحتمل تحريفه لما رواه المؤرخون عن مقتل ابي الطيب المتني الشاعر المشهور في عودته من بلاد فارس الى الشام سنة ٣٥٤ هـ .

أقول قد ذكر هذا الخبر غير البيهقي ايضاً من المؤرخين منهم صاحب كتاب (تلخيص

الآثار^(١) فانه قال ان قاب ولاية في تخوم الترك بقرب بلد ساغون وهي ارض سنجة ذات غياض ومقدارها في الطول والعرض أقل من يوم الا ان بها منعة وبأساً وينسب اليها ابو نصر محمد بن احمد بن طرخان الفارابي صاحب المعجائب وانه اول حكيم نشأ في الاسلام وكان سياحاً عالماً بأنواع الحكمة وبالاكسير . ثم قال في خبر وفاته إنه كان في قافلة تمشي في فلاة فوقع عليهم اللصوص وكان حاذقاً في الرمي فقاتل حتى قتل في سنة اربعين وثلاثمائة .

ولا منافاة بين ذلك وبين صلاة سيف الدولة عليه ودفنه بالشام فانه نقلت جنازته اليها بل قد نقل ذلك المؤرخ الفارسي الشهير (خواندمير) صاحب التاريخ الكبير المسمى بروضة الصفاء وقال انه قتل بايدي قطاع الطريق عند خروجه الى سفر عسقلان وكان ذلك بعدما نفدت سهامه وهو يحمي بها (كذا) في المحاربة معهم . وكان ماهراً في الرماية ولما سمع بواقعة سيف الدولة أرسل في طلب قاتليه حتى أخذوا جميعاً فأمر بهم ان يُصلبوا حيث كان به مدفن الرجل ويتركوا على الجذوع منكسين الى ان هلكوا بهذه العقوبة اه .
واما شك الاستاذ في اتصاله بالصاحب بن عباد كما نقله عن البيهقي وذكره غيره ايضاً فالظاهر انه محله لما ذكره ويمكن ان يكون ذلك الاتصال وقع بينه وبين ابن العميد الذي كان قبل الصاحب واشتبه ذلك على الناقلين فنسبوه الى الصاحب .
زنجان (ايران) : ابو عبد الله الزنجاني



(١) كتاب أكثر صاحب روضات الجنات في النقل عنه .

، مطبوعات حديثة

— (١) —

الجاحظ

« لشفيق بك جبري طبع بدمشق سنة ١٣٥١ — ١٩٣٢ ص ٢٥٠ »

رأى قراؤنا في السنة الماضية في محاضرات الاستاذ شفيق بك جبري التي حاضر بها في كلية الآداب بدمشق وكيف نظر في الجاحظ من عامة أطرافه . وبذكرون انه كان في السنة التي قبلها حاضر تلاميذه في المتنبي وسلك على هذا الفرار في تحليل شعره . تكلم في حولين على حياة شاعر وعلى حياة كاتب ، هما ولا شك من أئمة هذا الشأن في اللغة العربية . وانا لنغبط ان رأينا كثيرين من الباحثين في الأيام الأخيرة يتناولون أحد الشعراء أو الكتاب من الأقدمين بالبحث في خصائصهم ، ولكن الإجابة قلما كتبت الا لأفراد بحثوا في الموجود من آثارهم بحثاً دقيقاً ، وفكروا في الاستخراج والاستنباط تفكيراً عميقاً ، وهذا ما أوغل فيه برفق الاستاذ جبري في تحليل حياة شاعر وكاتب فشكرته الآداب على صنيعه لانه جرى على أسلوب جديد على مثال أدباء الغرب عندما يريدون تصوير عظماء رجال الادب ولا يقبل في هذا العصر غير هذا الأسلوب . وبذلك خرج البحث اليوم ايضاً في تراجم العظماء عن الأسلوب العقيم الذي جرى عليه معظم كتاب التراجم والطبقات قديماً فنقلوا في مترجمهم الغث والسمين بدون تعليل ولا تحليل . وحبذا لو توسع الباحثون في هذا الصنف من الأدب ونبشوا دفائن الكنوز التي أورثنا إياها الأجداد . وعانوا النظر فيها بمنظار العصر واصوله على ما فعل الاستاذ جبري في حياة الجاحظ والمتنبي ، فوقفنا بهذا الأسلوب الجميل ، على ما انطوى عليه هذان العظماء من الخصائص النادرة .

م . ك

معهد الآداب في الجزائر

— وعيده الخمسيني (١٨٨١ — ١٩٣١) —

« ص ٥٦٠ طبع في الجزائر سنة ١٩٣٢ »

Cinquantenaire de la Faculté des Lettres d' Alger
(1881 — 1931)

هذه ثنتان وعشرون مقالة في موضوعات مختلفة كتبها اثنان وعشرون أستاذاً من أساتذة مدرسة الآداب في جامعة الجزائر ونشرت بعناية الجمعية التاريخية الجزائرية . وفيها بعض الصور الجميلة عند الانتضاء . وما يلفت النظر من أبحاثها الصراع عند العرب للاستاذ (ماريوس كنار) ، وكتاب مخطوط لابن زيدون كتبه لابي بكر بن الافطس صاحب باجة من قلم الاستاذ (كور) ، ونظرات في مملكة المرابطين أوائل القرن الثاني عشر للاستاذ (ليني يروفنسال) ، ومنبر جامع ندروقه للاستاذ (جورج مارسيه) ، ومنع تمثيل رواية محمد لدي بورييه من قلم الاستاذ (مارتينو) ، وعشرون قصيدة لحافظ الشيرازي مترجمة عن الفارسية للاستاذ (هنري ماسيه) ، وأشعار للامير عبدالقادر أنشأها في الجزائر وفي فرنسا الخ . وكلها تنبع عن بحث ودرس . وهناك كلام على عدة كتب صدرت مؤخراً بالفرنسية عن الجزائر وما إليها في الجغرافيا والتاريخ والطوبوغرافيا وطبقات الارض وغير ذلك .

م . ك

رسالة الدر الثمين

« لمؤلفها الشيخ أحمد محمد الفساطوي الطرابلسي ^(١) ص ٩٠ »

رسالة تبحث في مزايا الاسلام وخصائصه ، ومؤاخذاته للعلم والعقل في جميع الادوار ، وصبق القرآن الى تقرير العلوم والفنون والصناعات ، وانطباق آياته الفنية على المخترعات والمكتشفات ، وبيان معجزاته التي ظهرت في عصر العلم ، والمدنية الاسلامية وأثرها في اوربا . ومن أجمل فصوله ما كتبه تحت عنوان : « الاقتراء على الاسلام » وقول بعض

(١) نسبة الى طرابلس الغرب

متعصي الا فرنج : « انه ما دان به شعب الا تأخر وتقهقر » فقد أجاد في رده وأحسن .
 وإنا نوجه أنظار المؤلف الى تصحيح الآيات الكريمة بدقة وعناية وهي في (ص ٨
 ١٤ ، ١٦ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٤٥ ، ٧٧) والى تصحيح الأحاديث بمعارضتها على الأصول ،
 وقد أورد (في ص ٤٥) : « من أراد الدنيا فعليه بالعالم ومن أراد الآخرة فعليه بالعالم »
 مرفوعاً الى النبي (ص) فحجبت له ، وراجعت من اجله ما بين يدي من كتب السنة المشهورة
 فلم أجده في شيء منها ، حتى ولا في كتب الموضوعات ، والمعروف انه من كلام الامام
 الشافعي ، وهناك أحاديث أخرى إما ضعيفة أو موضوعة وما في التصحيح يغني عنها .

محمد بهجة البيطار
 عضو التجمع العلمي

عبدة الشيطان في العراق

« للسيد عبد الرزاق الحسني ، طبع في مطبعة العرفان بصيدا »
 « سنة ١٣٥٠ ص ٨٠ »

الصالح أو المتشوف ان لم يتقن بعلم صحيح كذن فتنه لصاحبه وللناس ايضاً ، وامام
 اليزيدية عدي بن مسافر البجلي مولداً ، المكاري — نسبة الى جبال حكار من أعمال
 الموصل — موطناً ومدناً ، المتوفى في منتصف القرن السادس للهجرة — كُن على ما وصفنا ،
 فقد أجمع المؤرخون على صلاحه ، واقتن الأثوف بتقشفه وزحمته ، وغلوا غلواً كبيراً
 في حبه ، ثم تراخى المهد على موته فألوه وعبدوه ؛ وكان ينهى في حياته عن لعن
 إبليس — تفادياً عن لعن غيره فألوه إبليس من بعده وعبدوه ؛ وقال بصلاح يزيد
 الأموي فألوه يزيد وعبدوه ايضاً ؛ وهذا هو سبب تسميتهم باليزيدية على الأرجح ،
 وحذف الرسالة تكشف السر عن هذه الامور كلها ، وتوضح منشأ هذه التحلة وتطورها .

محمد بهجة البيطار

درس في وادي النطرون

« درهايتنه ودياراته »

Etude sur le Wadi Natroun, ses moines et ses couvents

كتاب باللغة الافرنسية وضعه صاحب السمو الامير عمر طوسون ، شرح به وادي النطرون جغرافياً واتى على تاريخ ما كان عليه في القرون الغابرة وما قامت عليه من الديارات التي أوت اليها الرهبان القبط . فسمى الأديار باسمائها والرهبان بجماعاتهم . وهو درس أثري دقيق عانى به سحر المؤلف لامشقة المطالعات الكثيرة فحسب بل ومشقة السفر الى تلك الارضين النائية ليدرس بنفسه الامكنة واخرائب ويطبقها على المعلومات التي استخلصها من بطون الكتب القديمة ، وذلك مشقة لا يستطيعها الا من كان في مجبوحة كالامير .

وادي النطرون هو جزء من السودان الأعلى موقعه في قفاريبية طوله ستون كيلومتراً وعرضه نحو العشرة فيه يرك كثيرة ذات الماء المالح تكثر فيها مادة النطرون (اي الصودا) لذلك دعي الوادي بهذا الاسم ، واسمه الروماني القديم (Nome nitriote) وعند عرب الاسم المعروف به اليوم .

معلومات هذا الكتاب دقيقة جداً من الوجهتين التاريخية والاثريه ، وجموعها مستند أكيد يصح ان يرجع اليه المؤلفون لأث الأصول التي استند اليها وأخذ عنها المؤلف لا تصل اليها الأيدي بلا عناء فأكثرها عبارة عن مخطوطات مدفونة في الاديرة القديمة وفي المكاتب المهمة كمكتبة الناتيكان بتعذر على أي كان الوصول اليها .

عبد الله رعد

أسماء النبات

رسالة تقع في ثنتين وسبعين صفحة من القطع المتوسط تبحث في معاني أسماء النبات

وعلاقتها التاريخية وأشهر النساء اللاتي دعبن بهن من قلم الاديب امين الغريب صاحب مجلة الحارس .

تعفناها فألفيناهما رسالة ناجحة من حيث طرافة الموضوع والاستقصاء التاريخي والأسلوب العربي الجيد فخلق السيدات لادبيات التفويتين مطالعتهما . فله منا الشناء وله من العالم الثواب .

عبد الله رعد

—•••—

اتجاه الاسلام

Whither Islam ? a Survey of Modern Movements in the Moslem World. By H. A. R. Gibb

- كتاب باللغة الانكليزية تأليف الاستاذ «جب» مدرس اللغة العربية في جامعة لندن . توخى به ان يبحث عن حقيقة النفسية الاسلامية والمؤثرات فيها وعن حالة الجماعة الاسلامية وصلاتها بالجماعات الانسانية الأخرى واتجاه العالم الاسلامي نحو الحضارتين الغربية والشرقية .

وبالنظر لما يقتضيه مثل هذا البحث من الدقة والتمعن في درس كل شعب من الشعوب الاسلامية ومعرفة اللغات العربية والتركية والفارسية والاردوية واجاوبة والملاير لم يجد المؤلف مندوحة عن الاستعانة بعلماء المشرقيات فكتب الى الاستاذ ماسينيون بجامعة باريز ليجت له في شعوب افريقية الشمالية ما عنده مصر ، والاستاذ كمبفاير في سكان مصر وآسيا الغربية (الشرق العربي وتركيا وفارس وافغانستان) ، والاستاذ برج في سكان اندونيسيا ، والفتنات كولونيل فراز في شعوب الهند . اما المؤلف فقد كتب المقدمة واخاتمة التي حاول فيها ان يصور اتجاه الشعوب الاسلامية في العصر الحاضر وموقفها من العالم الاوربي وموقف الغرب من الاسلام وما يرجي ان تكون العلاقات في المستقبل بين الشريقتين . ويعتبر الاستاذ «جب» ان الاسلام الذي يبلغ عدد اتباعه حسب الاحصاءات الأخيرة مائتين وخمسين مليون نفس موزعين في العالم توزيعاً جغرافياً عجيباً يجعلهم في حكم المتصلين بعضهم ببعض البعض الآخر — هو اكبر عامل للتوازن بين فوضى الوطنية الاوربية

وبين زحف الشيوعية الروسية . وفي آخر الكتاب معزّز بين الاماكن التي يسود فيها الاسلام والاصقاع التي هم فيها اقلية .

عبد الرحمن الجوخدار

—••••—

وصف المخطوطات الشرقية

« في خزانة ادوارد براون »

A Descriptive Catalogue of the Oriental Mss. Belonging to the late E. G. Browne. By Edward G. Browne

كتاب باللغة الانكليزية ألفه الاستاذ (رينولد نيكلسون) وهو مجموعة حوت فهرساً مفصلاً للتأليف والمخطوطات الشرقية التي تمتلكها مكتبة الاستاذ المستشرق المرحوم ادوارد براون وفيها الكتب الباقية في الاديان والفلسفة والتاريخ القديم والعلوم الطبيعية والطب والشعر العربي والفارسي والموسيقى والفنون الجميلة .

وقد أورد المؤلف في المقدمة تاريخ حياة الاستاذ براون منذ يوم نشأته حتى تاريخ وفاته سنة ١٩٢٦ وما مرّ عليه من الأديار في دراسته التاريخ والأدب الفارسي والعربي ، وفي سياحته الى بلاد العجم ، وما ألف بعد ذلك من الكتب ، وأشهرها : تاريخ الأدب الفارسي ، الصحافة والأدب في بلاد الفرس الجديدة ، البيئات ، الطب العربي والثورة الفارسية . وتقع هذه الابحاث في ٣٢٥ صفحة .

عبد الرحمن الجوخدار



الإشراف في منازل الأشراف

« لابن أبي الدنيا »



التعريف بالمؤلف وتأليفه

هو عبد الله بن محمد بن عبيد بن صفيان بن قيس أبو بكر القرشي (وفي رواية عبيد الله بدلاً من عبد الله والقشيري بدلاً من القرشي) وهو قرشي من ولأء مولى بني أمية المعروف بابن أبي الدنيا « صاحب الكتب المصنفة في الزهد والرقائق » « وهو أحد الثقات المصنفين للأخبار والسير وله كتب كثيرة تزيد على مائة كتاب » « عد منها صاحب الفهرست ثلاثة وثلاثين كتاباً وقال انه كان زاهداً ورعاً . ولد في بغداد سنة ٢٠٨ وتوفي سنة ٢٨١ هـ وأخذ العلم عن جماعة من علماء عصره وروى عنه جماعة وقالوا انه صدوق . ولما مات قال اسماعيل بن اسحاق القاضي : رحم الله ابا بكر مات معه علم كثير . وتولى ابن أبي الدنيا تربية المعتضد وابنه المكتفي من خلفاء بني العباس فكان مؤديهما وكتب اليهما :

ان حق التأديب حق الأوبة عند أهل الحجا وأهل المروة

وأحق الأنام ان يعرفوا ذا لك ويرعوه أهل بيت النبوة

وكان اذا جالس احداً ان شاء أضحك وان شاء أبكاه . قال : دخل المكتفي على

الموفق ولوحه بيده . فقال : مالك لوحك بيدك قال مات غلامي واستراح من الكتاب .

قال ليس هذا من كلامك ، هذا كان الرشيد أمر ان تعرض عليه ألواح أولاده في كل

يوم اثنين وخميس ، فعرضت عليه فقال لابنه : مالغلامك ليس لوحك معه . قال : مات

واستراح من الكتاب ، قال : وكأن الموت أسهل عليك من الكتاب . قال : نعم .

قال : فدع الكتاب . قال : ثم جئته فقال لي : كيف محبتك لمؤدبك . قال : كيف لا أحبه وهو أول من فتق لساني بذكر الله ، وهو مع ذاك ان شئت أضحكك واذا شئت أبكاك قال : ياراشد أحضرني هذا . قال : فاحضرت فقربت قريباً من سريره ، وابتدأت اخبار الخلفاء ومواعظهم فيكي بكاءً شديداً . قال : فجاءني راشد فقال لي : كم تبكي الأمير . فقال : قطع الله يدك مالك وله ياراشد ، تنج عنه . قال : وابتدأت فقرأت عليه نوادر الاعراب . قال : فضحك ضحكاً كثيراً ، ثم قال شهرتني شهرتني ، وذكر الخبر بطوله . قال ابو ذر القاسم بن داود الكاتب أحد من أخذ عن ابن ابي الدنيا لاحمد بن محمد بن الفرات : أجرى له خمسة عشر ديناراً في كل شهر . قال ابو ذر : فكنت أقبضها لابن ابي الدنيا الى ان مات .

وقال ابن ابي الدنيا : كنت أودب المكتفي فأقرأته يوماً كتاب الفصح فأخطأ ، فقرصت خده قرصة شديدة وانصرفت ، فلحقني رشيد الخادم فقال : يقال لك ليس من التأديب مماع المكروه ، فقال : سبحان الله ، أنا لا أسمع المكروه غلامي ولا أمتي ، قال : تخرج اليّ ومعه كاغد وقال : يقال لك صدقت يا أبا بكر ، واذا كان يوم السبت تجي^٤ على عادتك ، فلما كن يوم السبت جئت فقلت : أيها الأمير تقول عني ما لم أقل . قال : نعم يامؤدبي من فعل ما لم يجب قيل فيه ما لم يكن .

اما الكتاب فهو من مخطوطات دارالكتب المصرية بالقاهرة أخذ بالتصوير ودخل في خزانة المجمع العلمي العربي وهو في ١٩٣ صفحة منصفة القطع كُتب بخط جميل يظن انه من القرن الثامن وقد كتب في أوله : « كتاب الإشراف في منازل الأشراف تأليف ابي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد القرشي . ابن ابي الدنيا رواية ابي الحسن احمد بن محمد بن عمر الاصفهاني . »

نماذج من الكتاب

(١) حدثني ابي قال حدثني نصر بن باب قال : أخبرنا داود بن ابي الهند عن الشعبي قال : كتب عمر بن الخطاب الى المغيرة بن شعبة ان استنشد من قبلك من الشعراء ما قالوا في الجاهلية والاسلام ، فأرسل الى الأغلب العجلي فقال أنشدني فقال :

أرجزاً تريد أم قصيدا فقد سألت هينا موجودا

قال ثم أرسل الى ليند بن ربيعة فقال : أنشدني فقال : ان شئت أنشدتك مما قد عني
عنه من شعر الجاهلية قال : لا ، أنشدني ما قلت في الاسلام ، فانطلق الى أديم فكتب
فيه سورة البقرة فقال : أبدلني الله مكان الشعر هذا . قال : فكتب بذلك الى عمر بن
الخطاب . فكتب اليه عمر : انه لم يعرف اخذ من الشعراء حق الاسلام الا ليند بن
ربيعة ، فانقص من عطاء الأغلب خمس مائة واجعلها في عطاء ليند . قال : فركب اليه
الأغلب فقال تنقص عطائي من ان أطلعك قال : فرد الخمس مائة وأقر في عطاء ليند
الخمس مائة . (ص ٧-٨)

(٢) أخبرني العباس بن هشام بن محمد عن أبيه قال : أخبرني مولى لزياد بن
ابي سفيان قال : خرج ابو الاسود الدؤلي حاجاً بامرأته وكانت جميلة ، فيينا هي تطوف
بالبيت اذ عرض لها عمر بن عبد الله بن ابي ربيعة المخزومي فغازها . فانت ابا الاسود
فأعلمته فأتاه ابو الاسود فكله فقال عمر : ما فعلت ، فلما عادت الى المسجد عاد فكلها فأخبرت
أبا الاسود فأتاه وهو في المسجد مع قومه فقال :

انت الفتى كل الفتى لولا خلائق اربع

فسكت عمر ولم يقل شيئاً . فقل ابو الاسود لامرأته : انه ليس بعائذ فلما خرجت
الى المسجد كلها ايضاً فأخبرت ابا الاسود فأتاه وهو في المسجد فقال :

واني لثنييني عن الجهل والخي وعن شتم اقوام خلائق اربع
حياء واسلام وبقيّة(?) واني كريم ومثلي قد بضر وبنفع
نشتات ما بيني وبينك اني على كل حال استقيم ونظلم

فقال له عمر : لا والله يا عم لا أعرض لهذا بعد هذا اليوم ابداً بشيء تذكره
ففعل . (ص ١١-١٢)

(٣) وأخبرني العباس بن هشام عن أبيه عن خالد بن سعيد الأموي عن خالد بن
غُمير بن الحباب قال : كنا مع مسلمة بن عبد الملك في غزوة القسطنطينية فخرج الينا رجل
من الروم فدعا الى المبارزة ، فخرجت اليه فاقتلنا فسقط كل واحد منا عن فرسه ، فأخذته

أسيراً فأثبت به مسئة فساء له . قال : وكان رجلاً جسيماً جميلاً فأراد ان يبعث به الى هشام بن عبد الملك وهو يومئذ بحراً فقلت : أصلح الله الأمير ، ان رأيت ان توليني الوفادة به اليه قال : انك لا تحق الناس بذلك فبعث معي فكلناه وساء لنا فجمل لا يكفينا حتى انتهينا الى موضع فقال ما يقال لهذا الموضع قال : فاذا هو فصيح اللسان . قلنا هذا الجريش وتل محراً فقال :

ثوى بين الجريش وتل محراً فوارس من ثمارة غير ميل

فلا جزعين ان ضراء نابت ولا فرحين بالخير القليل

قال : ثم سكت فكلناه وقلنا من أنت فلم يرد علينا شيئاً فلما انتهينا الى الرها قال : دعوني فلاصلي في يعبها قلنا : دونك . قال : فصلى وكل ذلك لا يكفينا . فلما انتهينا الى حران قال : اي مدينة هذه قلنا : هذه مدينة حران . قال : اما انها اول مدينة بنيت بعد بابل ثم سكت فأقبلنا عليه فقلنا كلنا ما حالك ، فأبى ان يكفينا فلما دخلنا حران قال : دعوني حتى استنم في حمامها ، فاطلى . ثم خرج كأنه برطيل فضة يياضاً وعظماً قال : فأدخلته على هشام وأخبرته كيف كان امره وما جعل يسألنا عنه فقال له هشام : ممن انت قال : انا رجل من إباد ثم احد بني حذافة فقال : ويحك أراك رجلاً عريساً لك جمال وفصاحة فاسلم تحقن دمك ونسني عطاءك قال : ان لي بالروم اولاداً قال : ونفك ولدك قال : وما كنت لارجع عن ديني ، فأقبل به هشام وأدير فأبى ، فقال : دونك فاضرب عنقه . قال فضربت عنقه (ص ١٢ - ١٤)

وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان هذه القصة عن احمد بن محمد الهمداني عن خالد بن عمير بن عبد الجباب السلمي بالفاظها الا قليلاً ، وليس فيها من الاختلاف الا في مسألة المبارزة ، ففي رواية ياقوت : فخرج اليها في بعض الايام رجل من الروم يدعو الى المبارزة ، فخرجت اليه فلم أر فارساً مثله ، فتجاوزنا عامة يومنا ، فلم يظفر واحد منا بصاحبه ، ثم تداعينا الى المصارعة فصارعت منه أشد الناس فصرعني وجلس علي صدري ، ليزبجني وكان رسن دابته مشدوداً في عنقه ، فبقيت أعالجه دفعاً عن روجي ، وهو يعالجنني ليزبجني ، فبينما هو كذلك اذ جاشت^(١) دابته جيضة جذبه عني ، ووقع علي صدري فبادرت وجلست علي

(١) جاشت حادت وانحرقت .

صدره ، ثم نفست به عن القتل وأخذته أسيراً . وبقية القصة ليس فيها شيء من الاختلاف وفي ياقوت كان البيت الثاني من اللذين أشدهما الفارس الياضي :

فلا تجزعون ان ضراء ثابت ولا فرحوت بالخير القليل

(٤) وأخبرني العباس بن هشام عن أبيه عن عوانة قال قال العجاج للحكم بن المنذر ابن الجارود : ما تلبس في الشتاء قال : ظاهر الخبز . قال في الربيع قال : العصب . قال في الصيف قال : ثياب سابور . قال : فتشرب اللبن قال : لا قال : ولم ، قال لانه مذفرة بمجرة مجفرة . قال : فتشرب الطلاق قال : لا قال : لم . قال : لانه مبيسة منقحة مقطعة . قال : فما تشرب قال : نبيذ الدقل في الصيف ، ونبيذ العسل في الشتاء . قال : أنت الذي يقول لك الشاعر :

يا حكم بن المنذر بن جارود مرادق المجد عليك ممدود

أنت الجواد والجواد محمود

قال : نعم قال : اما والله لأجعلن مرادقك السجين ، ثم قال الحكم :

متى ما كن في السجين في حبس ماجد فاني على رب الزمان صبور
فلو كنت خفت النكث والفدر لم أجب دعاك اذا كان الامان غرور
لقد كنت دهرأ ما أخوف بالني تخاف وما يسطو علي أمير

فقال له العجاج مالك لا تبالي من تزوجت ، قال : اني لا أشرف بهن وهن

يتشرفن بي . (ص ٣٠ - ٣٠)

(٥) حدثني الحسين بن عبد الرحمن قال : أوصت أعرابية من بني جشم بنتاً لها

ليلة هداها فقالت :

سليمة السادة من فرعي جشم

مضى الشباب ودنا وفد المهرم

وماضني الدهر بتعراق السقم

وقرب القول مضت أم الحكم

وزاعم ناعر وحق ما زعم

بانني رهن ضريح ورجم

فأله فاختي وارهي لدع الكلم
وحالني الصدق ومحمود الشيم
فالصدق للبر وللعمل آدم
والبعل لا تزري به عند العدم
ولا تضيعن عليه ما كنتم
ولا ترديه قوله اذا احترم
فانه يعقب مذموم الندم
هذي وصاتي قبل حين اخترم (ص ٤٢)

(٦) حدثنا عبد الرحمن بن صالح الأزدي قال حدثنا اسماعيل بن عياش عن محمد
ابن يزيد الرحبي ومحمد بن الحجاج الخولاني عن عروة بن روم اللخمي قال : كتب عمر
ابن الخطاب رحمه الله عليه الى ابي عبيدة بن الجراح كتاباً فقرأه على الناس بالجالية : من
عبد الله عمر امير المؤمنين الى ابي عبيدة بن الجراح سلام عليك . اما بعد فانه لم يتم امر
الله في الناس الا حصيف العقدة ، بعيد العزة ، لا يطلع الناس منه على عورة ، ولا يخون
في الحق على جرة ، ولا يخاف في الله لومة لائم والسلام عليك .
قال وكتب عمر الى ابي عبيدة : اما بعد فاني كتبت اليك بكتاب لم آلك ونفسي
فيه خيراً ، ازم خمس خلال يسلم لك دينك ، وتحظى بافضل حظك : اذا حضرك الخصمان
فعليك بالبينات العدول ، والايمان القاطعة ، ثم ادن الضيف حتى ينسبط لسانه ، ويجتري
قلبه ، وتعاهد الغريب ، فانه اذا طال حبسه ترك حاجته وانصرف الى أهله ، واذا الذي
أبطل حقه من لم يرفع به رأساً ، واحرص على الصلح ما لم يتبين لك القضاء والسلام عليك .
(ص ٤٤ — ٤٥)

(٧) قال زبير بن ابي بكر أنشدني يحيى بن الزبير بن عمرو بن الزبير :

وتلفت في الديار خلاً	ومضى للسبيل كل حبيب
وخلت بعد مجلس من كهول	وشباب يها حماة وشيب
وتخلفت بعدهم في أناس	جهلوا حرمي وحق مشيبي

قدرماني الكبير بالغل منهم ورواه الصغير بالتأديب
غير ما جارم ذنوباً ولكن منع البر ضغن تلك القلوب
فالى الله أشكي ذاك اني صرت في الدار كالبعيد القريب (ص ٥١)

(٨) حدثنا علي بن الجعد قال : اخبرني شعبة عن ابي عمران الجوني عبد الملك بن حبيب قال : كتب عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري : انه لم يزل للناس وجوه يرفعون حوائج الناس ، فأكرم وجوه الناس ، فبحسب المسلم الضعيف من العدل ان ينصف في الحكم والقسمة (ص ٥٠)

(٩) حدثنا ابي قال حدثنا هشام بن محمد عن ابي محمد القرشي قال : مرّ مسلمة بن عبد الملك بقبر الوليد بن عقبة بن ابي ميعط بالرقّة فقال : قبر من هذا ، قيل قبر الوليد ابن عقبة قال : رحم الله اباؤهب وجعل بطني عليه . فقبر من هذا الآخر قيل قبر ابي زبيد الطائي الشاعر قال : وهذا فرحمه الله فقيل انه كان نصرانياً . قال : انه كان كريماً (ص ٥٣)

(١٠) حدثني سليمان بن ابي شيخ قال قتل أبان بن سعيد بن العاص يوم أجنادين شهيداً ، وقتل خالد بن سعيد بن العاص يوم مرج الصفر شهيداً ، وكانت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام دخل بها بمرج الصفر فخرج وهو عروس فقاتل فقتل ، وخرجت هي بعمود فقتلت سبعة من الروم وكانت قبله تحت ابن عمها عكرمة بن ابي جهل فقتل عنها يوم فحل ، فلما اتقضت عدتها خطبها يزيد بن ابي سفيان وخالد بن سعيد فخطبت الى خالد ثم تزوجها عمر بن الخطاب فهي التي تسحر عندها عبد الرحمن بن الحارث لاث ام عبد الرحمن فاطمة بنت الوليد بن المغيرة ماتت قبل ذلك بدهر ، وهي ام ام حكيم ، واستشهد قبل ذلك الحكيم بن سعيد بن العاص يوم مؤتة مع جعفر بن ابي طالب ، واستشهد مع رسول الله (ص) يوم حصن الطائف سعيد بن العاص . وحدثني محمد بن عباد العكلي قال سمعت عبد العزيز الاموي يحدث عن اهل بيته قال ولد سعيد بن العاص ابو احيمه ثمانية رجال لم يمت احد منهم علي فراشه فقتل ثلاثة مع المشركين وقتل احيمه يوم الفجار وقتل العاص بن سعيد بن العاص وعبيدة بن سعيد بن العاص يوم بدر وقتل

سعيد بن (٠٠) يوم الطائف وقتل الحكم بن سعيد يوم البامة وكان يعلم الحكمة بالمدينة
وقتل خالد يوم مرج الصفر وهو الذي يقول :
مَن فارس كره الحكمة بعيرني رحماً اذا تزلوا بمرج الصفر
وقتل أبان وعمرو يوم أجنادين وقال ابن الكلبي قتل عمرو يوم فحل (١١٨ - ١٢٠)
قلنا فانظر الى مفاداة بني أمية بارواحهم ليوطدوا دعائم الملك الاسلامي وينشروا الاسلام
بين الانام .

(١١) حدثني محمد بن عباد بن موسى قال حدثنا زياد بن زيان الكلبي عن شريقي بن
قُطامي عن الكلبي عن زهير بن منظور عن جارية بن اصرم قال : رأيت وداً في الجاهلية
في صورة رجل آدم اشعر مرتد يبرد حبرة مؤتزر باخرى مثقلد قوساً ووفضة وأمامه
حربة صر كوزة ، ثم رأيت رسول الله (ص) قدم تبوك فبعث خالد بن الوليد فجعله
جذاذاً (ص ١٢٠)

(١٢) أنشدني أعرابي من بني تميم من بني حنظلة :

من تصدى لأخيه	بالغنى فهو أخوه
فان اضطر اليه	راء منه ما يسوه
يكرم المثرى فان	أملق أقصاء ذروه
نحن في دهر على	مُعديم لا يجدي أبوه
وعلى الوالد لا	يفضل ان عال بنوه
لورأى الناس نبياً	سائلاً ما وصلوه
وهم ان طمعوا في	زاد كلب أكلوه
لا تراني آخر الد	هي بتسأل أفوه
ان من يسأل غـ	ير الله بكثير محرومه
والذي قام بار	زاق الوري طراسلوه
وعن الناس بفضل الله	فاغنوا واحمدوه
تلبسوا أثواب عز	فاسمعوا قولي وعوه

انت ما استغيت عن صاحبك الدهر اخوه
فاذا احتجت اليه ساعة يحك فوه
أفضل المعروف ما لم تبتذل فيه الوجوه

(ص ١٢٤ - ١٢٥)

(١٣) حدثنا سليمان بن ابي شيخ قال : حدثنا سليمان بن زياد عن أخيه يحيى بن زياد
قال : كان عبد الملك بن مروان يكتب الى الحجاج : جنبني دماء بني عبد المطلب فاني
رأيت بني حرب أصابوها فلم يمهل لم (ص ١٢٦)

(١٤) وحدثني عبد الرحمن (بن عبد الله بن قُريب) قال حدثنا عمير قال : زعموا
ان الحجاج بن يوسف مات ولم يترك الا ثلاثمائة درهم ومصحفًا وسيفًا وسرجًا ورحلاً
ومائة درع موقوفة (ص ١٣١)

(١٥) أنشدنا الحسين بن عبد الرحمن قال أنشدني الأموي :

من عذيري من قائل اخواني	كلهم في مقاله غير وان
نصحتوني يزعمهم قلت كفوا	لا أرى شأنكم يلائم شاني
لا أبيع الجزيل من عرض مثلي	بخسيس من ناقص الاثمان
ماء وجهي يرد غرب لساني	دون ما قد أردتم من بياني
ذهب المبتدون بالاحسان	والمكافون بابتذال اللسان
ان ذل السؤال يأتيه الع	ر وان عصفه مضيق الزمان

(ص ١٣٢)

(١٦) حدثنا هشام بن الوليد قال : حدثنا عبد الله بن حشُرَج البصري قال :
حدثني المستنير بن اخضر عن ابياس بن معاوية بن قرة قال : جاءه دهقان فسأله عن
السكر أحرام هو أم حلال . فقال : هو حرام . قال : كيف يكون حراما . قال :
أخبرني عن التمر أحلال هو أم حرام . قال : حلال . قال : فأخبرني عن الكشوث أحلال
هو أم حرام . قال : حلال . قال : فأخبرني عن الماء أحلال هو أم حرام قال : حلال .
قال : فما خالف ما بينها وانما هو من التمر والكشوث والماء ان يكون هذا حلالاً وهذا

حراماً . قال : فقال إياس للدعقان : لو أخذت كفاً من تراب فضربتك به أكان يوجعك . قال : لا . قال : لو أخذت كفاً من ماء فضربتك به أكان يوجعك قال : لا . قال : لو أخذت كفاً من تبين فضربتك به أكان يوجعك قال : لا . قال : فإذا أنا أخذت هذا الطين فمجننته بالتبن والماء ثم جعلته كتلاً ثم تركته حتى يجف ثم ضربتك به أوجعك قال : نعم وتقتلني قال : فكذلك هذا التمر والماء والكشوث إذا جمع ثم عتق حرّ ثم كما جفف هذا فأوجع أو قتل وكان لا يوجع ولا يقتل (ص ١٣٣ - ١٣٤)

(١٧) حدثنا أبو كريب قال : حدثنا طلق بن غنام قال : حدثنا شريك عن عبد الملك بن عُمير قال : كتب المغيرة بن شعبة إلى معاوية يذكر فناء عمره ، وفناء أهل بيته ، وجفوة قريش أياه . قال : فورد الكتاب على معاوية وزیاد عنده . فلما قرأ الكتاب قال له زياد : يا أمير المؤمنين ولني إجابته قال : فألقى إليه الكتاب . قال : فصدّر زياد الكتاب ثم كتب : أما ما ذكرت من ذهاب عمرك فإنه لم يأكله أحد غيرك ، وأما ما ذكرت من فناء أهل بيتك ، فلو أن أمير المؤمنين قدر أن يقي أحداً الموت لوقي أهل بيته ، وأما ما ذكرت من جفوة قريش إياك فاني بكون ذاك وهم امروك . فلما قدم الكتاب على المغيرة قرأه قال : اللهم عليك زياداً اللهم عليك زياداً . (ص ١٣٧)

(١٨) حدثني الحسين بن عبد الرحمن قال : قال شبيب بن شيبه : رأى خالد بن صفوان رجلاً قد أصابوا مالا فتكلموا وغلوا فقال :

وأنطقت الدراهم بعد عي أناساً طال ما كانوا مسكوتاً
فما عادوا على جارٍ بخير ولا رفعوا لمكرمة يوتا
كذلك المال يجيز كل عيب ويترك كل ذي حسب صموتا

(ص ١٤٥)

(١٩) حدثنا علي بن حرب الطائي قال : حدثنا اسماعيل بن زياد بن أبي زياد ، القتيبي عن أبي جرير عن الشعبي قال : كان رجل يهدي لعمر بن الخطاب كل عام نخد جزور ثم إليه رجلاً فقال : يا أمير المؤمنين ، اقض بيتنا قضاء فصلاً كما يُفصل الرجل من سائر الجزور . قال : فقضى عليه عمر ثم كتب إلى عماله أن الهدايا هي الرشا (١٥٨)

(٢٠) أنشدني ابو عبد الله بن فتن قوله :

أصبحت أنفض مثل الطفل معتمداً	علي السيدين كذاك الشيخ يعتمد
من عاش أخلقت الايام جُسدته	تكرهاً وجفاء الأهل والولد
نطوي الليالي وتطوينا فتخلفنا	ومن من بعد ما أخلقتنا جدد
طال التأوه للضعف الذي أجده	وباد قومي وطال المم والسُّهد
وصرت أرسف بعد الشد من كبر	رصف المقيد بل لي فوق ما أجده
فهل نشيخ كبير لا حراك به	من الزمان طيب عنده رشد
أين الشباب الذي كنا نعيش به	عيشاً رضيعاً وأين الجد والجلد
فقدت للشيب لذات الشباب الا	كل اللذات بعد الشيب تفتقد
أمرى كثيرى قليلاً يستدل به	على الفناء ولكن بعد لي امد

(٢١) وأنشدني رجل من اهل البصرة لرجل من بلعبر :

إذا ما أراد الله ذلّ عشيرة	رماها بتشتيت الهوى والتخاذل
فأول عجز القوم فيما ينوبهم	تدافعهم عنه وطول التواكل
وأول خبث الماء خبث ترابه	وأول لؤم القوم لؤم الخلائل

(ص ١٨٨)

(٢٢) حدثني شيخ من بني تميم قال : أوصى رجل ابنه فقال : يا بني اغتنم مسالة من لا يدّين لك بمحاربتك ، وليكن هربك من السلطان الى الوحش في الفيافي ، حتى تأمن من سعاية الساعي بك ، وطمع الطامع فيك ، لا يغرنك بشاشة امرئ حتى تعلم ما وراءها ، فان دفائن الناس في صدورهم وخدعهم في وجوههم ، ولتكن شكائتك من الدهر الى رب الدهر واعلم ان الله اذا أراد بك خيراً او شراً أمضاه فيك ، على ما أحب العباد او كرهوا . (ص ١٩٢)

(٢٣) سمعت شيخاً من قريش من ولد عمر بن عبد العزيز قال : كتبت الى رجل في حاجة : اني قد بذلت لك من جاهي ما قد صنته عن غيرك ، فضمني من كرمك بحيث وضعت نفسي من رجائك .

حدثني محمد بن الحسن بن مسعود الانصاري قال : حدثني ابراهيم بن مسعود قال :
كان رجل من تجار اهل المدينة يختلف الى جعفر بن محمد ويخالفه ويعرفه بحسن الحال
فتغيرت حاله فشكا ذلك الى جعفر بن محمد فقال له جعفر :

لا تجزع وان أعسرت يوماً فقد أيسرت في أدهم الطويل

ولا تيأس فان اليأس كفر لعل الله يغني عن قليل

ولا تظن بربك ظن سوء فان الله أولى بالجميل

قال فخرجت من عنده وأنا من أغنى الناس .

آخر كتاب الاشراف (ص ١٩٣)

هذا آخر النماذج التي اخترناها وآخر الكتاب .

محمد كرد علي



ماهية الجنون وتاريخه

- ٢ -

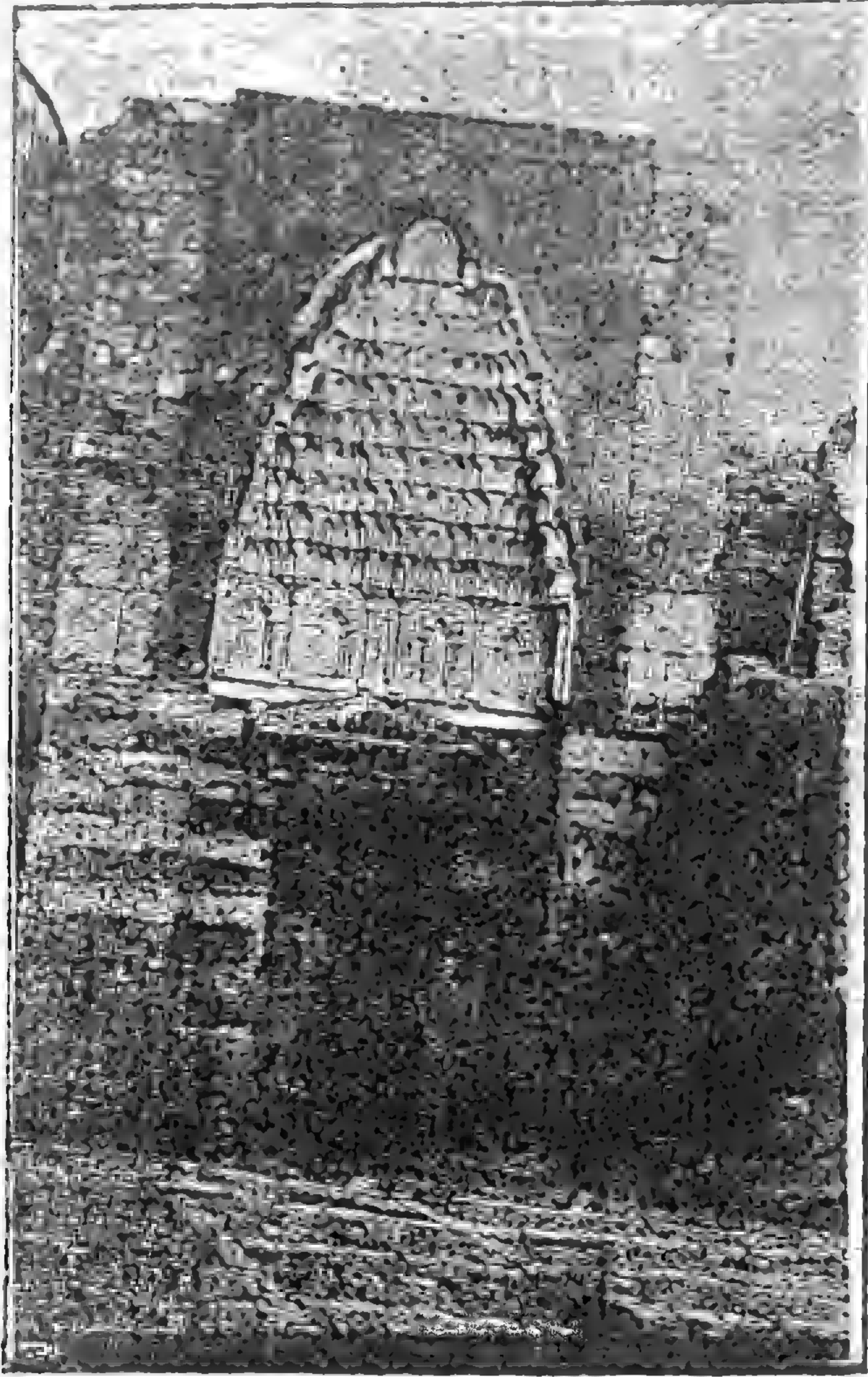
الجنون في اللغة العربية - الجنون في اللغة الاستتار . وجن الشيء إذا استتر . وأجن الليل الشيء إذا ستره . والمجنون من الناس من كان مستور العقل . وقد أطلق العرب كلمة الجنون على جميع الآفات النفسية على اختلافها وتنوعها فقالوا : الجنون فنون ، ولا يخلو العاقل من ضرب من الجنون . وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : ليس من أحد إلا وفيه حمقة فيها يعيش . وسمى النبي صلى الله عليه وسلم من أبلى شبابه في المعصية مجنوناً . وسمى العرب العاشق مجنوناً . وسموا بالجنون من يخالفهم في عاداتهم فيجيء بما ينكرون . ولهذا قالوا في النبي صلى الله عليه وسلم حين تحداهم إلى الإيمان بالله أنه ساحر أو مجنون . فالجنون والحالة هذه كلمة عامة أطلقها العرب على جميع الأحوال النفسية الشاذة . والمجنون عندهم كل من أصيب في نفسه فلم يألف مع البيئة عقلاً أو فعلاً أو انفعالاً . وهذا أقصى ما وصل إليه العلم الحديث في تعريف الجنون في العصر الأخير .

غير أن الاصطلاح قد أخرج هذه الكلمة من معناها الذي تقدم ذكره ، وخصها بمن أصيب في عقله فراح يسب ويخلط ويهذي ويضرب ويخرق الثوب . وقد فقدت اللغة العربية بهذا التخصيص مادة عامة هي في أشد الحاجة إليها اليوم من الوجهة العلمية . ولما كان الرجوع إلى كلمة الجنون متعذراً بعد ذلك التخصيص ولما علق بها من معنى الإهانة والتحقير رأينا أن يستعاض عنها بكلمة نفاس أي مرض النفس اشتقاقاً على القياس كما يقال كُباد وقُلاب . فيقال منفوس كمكبود ومصدور .

أما ما يوجد في اللغة العربية من الألفاظ التي عدّها كثير من علماء اللغة مرادفة لكلمة مجنون فإنها في الحقيقة غير مترادفة ونسبتها إلى الجنون نسبة النوع إلى الجنس . فإن لكل

منها معنىً خاصاً يميزها عن الأخرى . وقد لا يوجد في لغة من لغات العالم القديمة والحديثة ما في اللغة العربية من الأسماء الخاصة المتعلقة بالحالات النفسية المرضية . فالقدومة والبلاهة والرعونة والحمق والعتة والسبه والهذيان والخرف والزور والمس والخليل والهوس والهلس والوسواس والجذب الى غير ذلك من عشرات الأسماء ما هي الا مسميات لحالات نفسية مرضية مختلفة خاصة . ووجودها قديماً في اللغة يدل دلالة واضحة على كبر الملم بالاحوال النفسية وخصائصها في تلك العصور الغابرة .

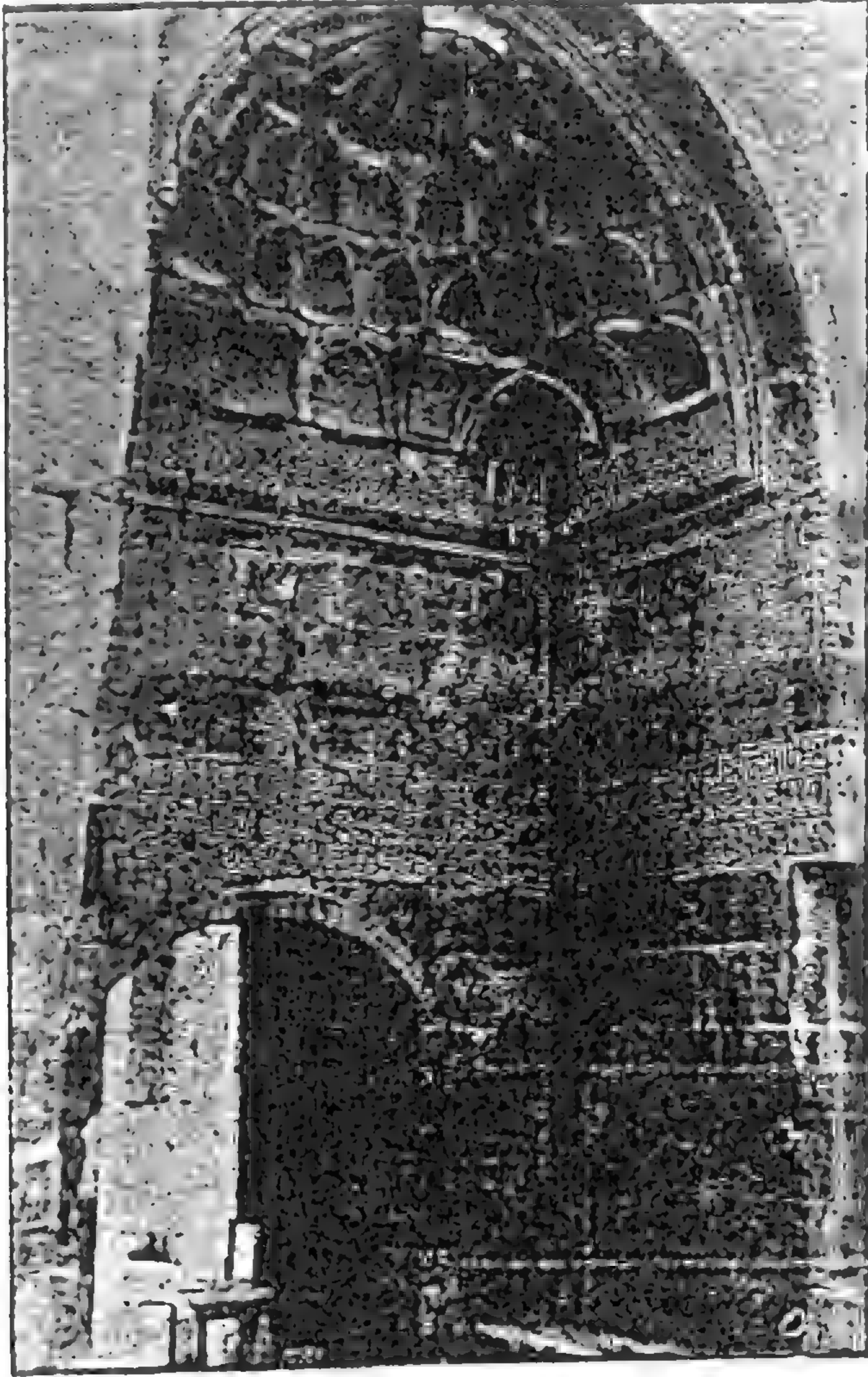
الجنون والشرع الاسلامي — للشريعة الاسلامية فضل السبق على سائر الشرائع القديمة والحديثة بوضع أحكام للمجانين جامعة مطابقة لروح العدل والعلم والاجتماع على اختلاف الزمان والمكان . فهي تنزل المجنون في الحكم وفي المعاملات منزلة الصغير غير المميز أو المميز أحياناً حسب نوع جنونه ودرجته . وتقضي على السفه والفسق اللذين يهدما العلم الحديث من النفوسين بالهجر محافظة على أموالهم . وتحدد درجات المجنورين والمأذونين منهم وتعرفهم وتبين أنواعهم وتفصل أحكامهم بالنسبة لأنواع التصرفات مما لم تتوفق اليه الشرائع المدنية الحديثة الا في القرن الأخير . فالمجنون في الشرع الاسلامي غير مكلف وهو مجبور لذاته . وحكمه حكم الصغير غير المميز اذا كان جنونه مطبقاً . وحكم الصغير المميز اذا كان جنونه قسيمياً . وتصرفات المجنون في حال إفاقته كتصرف العاقل . والسفيه المجبور هو في المعاملات كالصغير المميز وولي الحاكم فقط . ويضمن المجنون الضرر والخسارة اللذين نتجاً من فعله . ولا ينفذ حكم القتل على من جن قبل تنفيذ الحكم . ويستند القاضي في اثبات الجنون الى الخبر من الاطباء . الى غير ذلك من الاحكام الكلية المعمول بها في الاسلام منذ الف وثلاثمائة سنة والتي لا تختلف في نصوصها عن الاحكام المرعية اليوم عند أرقى الامم حضارة وثقافة ومدنية .



«البيمارستان النوري الكبير في دمشق»

أنشأه الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي سنة ٥٦٠ هـ

وهو اليوم مبني للآفات



« البيارستان القميري في دمشق »

أنشأه الأمير سيف الدين قنبر سنة ٦٤٣ هـ في سفح جبل الصالحية
وهو اليوم حظيرة بأوي إليه الفقراء والمساكين

الجنون والمجانين في اوروبا في القرون الوسطى — وبينما الطب النفسي يرقى في الممالك الاسلامية بابهى الحل كانت اوروبا تائهة في ليل من الأضاليل وقد شاع فيها الاعتقاد بالجنون الآلهي والشرطي شأنه في القرون المتقدمة فراحت تبجل المصابين بالهذيان الديني وترمي بالكفر المبطلين بأنواع المذيان الخالف للشرائع والمعتقدات فيحكم عليهم بالسجن والقتل أو يقذف بهم في أعماق آبار روما القديمة حيث يقضون نحبهم ضحية الجهل المطبق . ولم يكن القانون الروماني يستثني من العقاب سوى المصابين ببعض أنواع الجنون المطبق كالغته التام والبلاهة الشديدة . وقد كان هؤلاء المرضى غير المسؤولين يرسلون الى قرى وجزر غير أهلة ولا منبته تخصص لهم صيانة للناس من أذاهم ، والهولنديون هم أول من ابتدع هذه الطريقة في تجريد المجانين ، وقد كانت هذه القرى ذات أسوار ضخمة مرتفعة وفي داخلها غرفة ذات سلاسل وقيود يقيد بها المجانين المحتدون ويظنون فيها الى أن يقضوا نحبهم .

الجنون والمجانين في القرون الأخيرة — بقي علم الجنون حتى أواخر القرن الثامن عشر غريباً عن علم الطب كأنه لا يمت اليه بصلة . وظل العالم باجمعه حتى أواخر القرن التاسع عشر ينظر الى الجنون نظره الى الحيوانات المفترس فيعمل على غله وتجيده والتجبر عليه ليأمن أذاه دون ان تأخذه به رافة أو أن يفكر بمداواته وبرئه . وقد كانت المجانين في جميع البلدان يساقون في الأسواق مغلولي الأيدي حفاة مكشوفي الرؤوس مطوقى الأعناق بسلاسل طويلة يقودهم بها السجانون ومن ورائهم الناس والأولاد يهزأون بهم ويسخرون منهم الى ان يبلغوا المكان المعد لهم وهو أشبه بسجن في باطنه حجرات صغيرة ضيقة منخفضة السقف مظلمة لا ينفذ اليها النور الا من نافذة صغيرة في السقف أو في أعلى الجدار وقد سلحت جدرانها بالسلاسل والأغلال يقيد بها الجنون ويزج فيها على الأرض أو على مقعد خشبي حيث يقضي ليله ونهاره بعيداً عن النور والهواء في جوف تتكاثر فيه العفونة والروائح المنتنة الكريهة الى ان تمت اليه الطبيعة بد الاحسان والشفقة فتستدركه باحد أمراضها القتالة وترمجه من مظالم أخيه الانسان .

ومن بواعث الأذى والأسف ان الناس كانوا حتى أوائل العصر الحاضر يؤمنون هذه الملاجيء أو بالحري هذه المجازر لترويح النفس بمشاهدة أولئك الضعفاء الأبرياء

فلا تعتر بهم عندما يشاهدونهم يقاسون تلك الآلام شفقة ولا رأفة ، بل بالعكس كان منهم من يحاول إثارة غضب ذلك البائس بإيذائه ليأدر اليه زبانية المحل بالسياط فيقهقه الناظرون لهذا المنظر الوحشي كأنهم ليسوا من طينة هؤلاء التعساء . ولا غرو فقد خلق الانسان ظلوماً .

ومما تقدم ذكره يتبين لنا ان مدينة القرون الاخيرة انحصرت في تجريد المجنون عن الحياة الاجتماعية لتتملص من أذاه دون ان تمد اليه يد الاسعاف ودون ان تلحظه عين العلم بطرف ، وفي ذلك لعمري منتهى الانانية والظلم .

الجنون والمجانين في القرن التاسع عشر والعشرين — هكذا بقي الجنون يُعد حالة لا صلة للعالم بها والمجنون حيواناً لا يمتُّ الى البشرية باصل الى سنة ١٧٩٣ حيث قبض الله له رسولاً من الرحمة حطّم بجهاده العلمي سلاسله وقيوده ونهض به من درجة الحيوان الى مكانة الانسان المريض وذلك المصلح المجدد الكبير هو الدكتور بينيل الذي تجلّد له الانسانية في صدرها ذكراً مشفوعاً بالحرمة والثناء .

عهدت حكومة الشعب الفرنسية ايها السادة الى بينيل (Pinel) سنة ١٧٩٣ بإدارة مستشفى بيستر (Bisétre) فشق عليه مارآه فيه من حالة المجانين التي اتينا على وصفها . فألّى على نفسه ان يعمل على اتقاذهم من هذه المجازر التي يحمر منها وجه الانسانية خجلاً فتقرب الى الحكومة بطلب حل قيود المجانين ومعاملتهم باللين والحسنى فهزأت بكلامه مراراً ثم اجابته الى طلبه بعد ان اخذ على نفسه تبعة هذا العمل ويرهن فعلاً على ان اطلاق المجانين ينقص من هياجهم ويساعد على برئهم . فدخل الطب النفسي من هذا العهد في دور رقي جديد وقد عم هذا الاصلاح انكثرا والمانيا وايطاليا وصائر الممالك الاوربية الراقية . فسادت فيها فكرة الانسانية وبدي بقلب تلك السجون الدامية الى دور قمرىض يلتقى فيها المجنون ما يلقاه المريض من العناية والمعالجة والنظافة والغذاء والدرس الطبي والمشاهدة .

ومنعاً لاساءة التصرف بالحجر على الناس المصابين بالآفات العقلية اصدرت الحكومة الفرنسية قانون ٣٠ حزيران سنة ١٨٣٨ المتعلق بنظام المؤسسات الصحية المخصصة للمجانين . ولم يزل هذا القانون معمولاً به حتى اليوم . وفي جميع الممالك الاوربية بفروق قليلة . وعلى الرغم من ان هدف هذا القانون اجتماعي غير طبي فان وضع المجانين في دور خاصة تتوفر فيها

اسباب الخدمة والتمريض وحسن الادارة فصح للاطباء مجسلاً لدرس اولئك المرضى ومشاهدتهم مما عاد على الطب وعلى الانسانية بالنفع الكبير لان الجنون الذي لم يكن يعرف من حقائقه الا القليل بدأ يتضح رويداً رويداً ويدخل في نهج علمي صحيح .

ففي سنة ١٨٢٢ ميزيل (Bayle) الخبل العام (Paralyse générale) ووصف لاسيك (Lasèque) سنة ١٨٥٢ هذيان الاضطهاد وجدد مارك وفورده طب الجنانين الشرعي وفي سنة ١٨٥٤ وصف فالرت (Falret) وبيارجر (Baillarger) الجننة المتناوبة ثم جاءت اعمال مولر ولفرن وكوتار وشاركو وغيرهم من الاساتذة المشهورين وكما ترمي الى تصنيف امراض النفس وتمييز كل منها عن الآخر . اما المداواة فقد قامت في وجهها عقبات حمة اهمها الاعتقاد باستمالة شفاء الجنون وعدم امكان مداواته وقد ايلي مانيان (Magnan) في مقاومة هذه الفكرة بلاءً أحسن ونهج في استقرائه العلمي طرق التشريح والتجربة متوخياً التوفيق ما بين الفسيولوجيا والسريريّات . فهداه عمله هذا الى اكتشاف اسباب كثير من الحالات النفسية الجنونية وذلك ان هذه الحالات تنشأ في الغالب عن اختلالات الجسم العضوية الناشئة عن المسكرات والسموم والعفونة وعدم كفاية الاعضاء الباطنية وغير ذلك مما يجعل ما بين امراض الجسم والآفات النفسية علاقة قوية . ويفتح في وجه الامراض النفسية طرقاً جديدة للمداواة والوقاية .

هنا دخل طب النفس في عهد جديد . فانه لم يقف عند عدا الجنون مريضاً عادياً بمعنى مداواته مدة مرضه بل تجاوز هذا الحد الى القول بوجود الامراض بتشخيص الداء في بدء حدوثه ومكافحته كما تكافح سائر الامراض بطرق التحفظ والوقاية والمداواة العاجلة . وذلك لان المشاهدات الطبية اثبتت ان كثيراً من الامراض النفسية تشفى بسهولة اذا عولجت في بدء نشوئها كما ان الاحصاءات دلّت على ان في ١٠٠ حادثة شفاء يوجد سبعون ممن عولجوا في السنة الاولى والثانية و ٣ - ٤ ممن عولجوا في السنة الثالثة . وخير دليل ناطق على علاقة امراض الجسم بآفات النفس وامكان مداواتها والوقاية منها : الزهري اي الافرنجي فهو مرض ويل تنشأ عنه امراض عصبية ودماغية عضالة تشفى بالمداواة العاجلة . كما انه من الممكن منع حدوثها بمداواة هذا المرض في بدء ظهوره .

وهكذا يقال في المسكرات الغولية وغيرها فان ادمانها يفسد الكبد ويضعف

الاعصاب ، فتقف الخلايا الكبدية دون ايفاء وظيفتها فتتسم الخلايا الدماغية وتصبح مريضة ينشأ عنها الاختلال العقلي والخلقي ، فاذا فطم السكر عن المسكر وأصلحت كبده بالأدوية الخاصة يقل تجمع السم في دمه فتصلح حاله النفسية . وهكذا الحال مع غير المسكرات من السموم ، ومع الامراض العنيفة واختلال الافرازات الغدية وغيرها مما يسبب ضعف الخلايا الدماغية ويحدث فساداً في الافعال العقلية وفي الفاعلية والانفعال ، فيدعى صاحبها مجنوناً بينما هو مريض وكان بالامكان وقايته من هذه الامراض الجنونية بمداواة سببها كما انه في الامكان شفاؤه منها اذا اكتشف الطبيب السبب وعالجه قبل ان يتأصل الداء في جسمه .

ومما تقدم ذكره يتضح لنا أيها السادة ان كثيراً من الأمراض النفسية التي كانت الطب القديم يحكم بعدم شفاؤها تشفى اليوم بفضل الرقي العلمي الحديث وهي تكافح وتتقى كما تكافح سائر الأمراض الجسمية .

على ان الوقاية النفسية قد خطت اليوم خطوة كبرى تعد على حدائث عهدها من مفاخر هذا العصر ومبتدعاته وبذلك بفضل جهود احد المحسنين الامير كيين كليفور ويليام بير (Clifford W. Beers) الملقب بينل اميركا . وذلك ان هذا الرجل المحسن الكبير كان أصيب باختلال عقلي من جراء مرض الوافدة ، وحجر عليه من سنة ١٩٠٠ الى ١٩٠٣ ، فلما شفي وخرج من المستشفى أخذ على نفسه ان يعمل على وقاية بني جنسه من الاختلالات النفسية ويسعى لحسن مداواتها ، فأسس سنة ١٩٠٨ في نيويورك جمعية حفظ صحة النفس وتطوع للتبشير بها ، فانتشرت فكرته هذه في جميع العالم المتمدن ، فتأسست في سويسرة وفرنسة سنة ١٩٢٠ وفي بولونيا سنة ١٩٢١ وفي البرازيل سنة ١٩٢٣ وفي بيرو والمجر وتشكوسلوفاكيا وبولونيا سنة ١٩٢٤ مؤسسات كبيرة لحفظ صحة النفس .

وقد كانت الحرب العالمية الاخيرة العامل الاكبر في توجيه ابصار العالم المتمدن الى أهمية الوقاية النفسية ووجوب الاعتناء بصحة عقلية الفرد التي تتوقف عليها حياة المجموع وسلامته . فقد كان يوجد وراء كل جيش من جيوش الامم المحاربة العظمى حياة صحية عملها فحص نفسية الضباط والافراد ، ومستشفيات خاصة لمداواة الآفات النفسية في

خطوط القتال . قال الدكتور بترتريسكا في كتابه الوقاية النفسية : ان (٦٨٠٠٠٠) جندي أُخرجوا من الجيش الاميركي وأعيدوا لبلادهم لاكتشاف آفات نفسية في جسامهم وانه بفضل هذا الانتقاء كانت صحة الجيش الاميركي النفسية جيدة مسرة ، فقد بلغ عدد حوادث الانتحار والجنايات فيه (١٢٠) حادثة انتحار و (١٧٣١) جنحة وجناية بينما كن عدد حوادث الانتحار فيه قبل الحرب (١١٧٠) حادثة و (٢٥٠٠٠) حادثة جنحة وجناية . وختم هذا البحث بقوله ان تجربة الحرب أثبتت أهمية العنصر النفسي في صحة المجتمع .

وقال الدكتور تولوز مؤسس الوقاية النفسية في فرنسا : « تتألف مقومات الفاعلية الاجتماعية الاساسية من نفسية الافراد ، فان مرض عضو واحد من أعضاء الفرد لا يمنع من القيام بعمل صناعي صحيح ، بينما أخف الحالات النفسية السبئية تؤدي الى نقص الفاعلية المنتجة أو بطلانها ، فسلامة النفس والحالة هذه هي في الدرجة الاولى من الاهمية فيما يتعلق بانتاج الفرد الذي هو العنصر الذي تتألف منه حياة الامة السعيدة ، فمن الواجب على فرنسا التي نهكتها الحرب وأفقرتها ان تستجمع كل قواها لاعادة بنيان ثروتها من القدرة النفسية . »

واليكم خلاصة نظام اتحاد وقاية النفس الافرنسي المطبق اليوم :

- (١) تهذيب الشعب وتعليمه ليدفع عن نفسه الامراض النفسية كما يتقى مرض السل وذلك بواسطة التبشير والصحف والدعاية لترك المسكرات واجتناب دور القمار والميسر .
- (٢) تأمين كشف المرض النفسي ومداوانه في بدئه وذلك بفتح مستوصفات خاصة بالآفات النفسية يقوم بمهامها اخصائيون وممرضات سيارات .
- (٣) وقاية الطلاب والصناع من الآفات النفسية بدرس درجة تحمل قواهم العقلية وتعيين الصناعة التي تتفق مع مداركهم .

ومن هذا النظام يتضح لنا ان جميعات حفظ صحة النفس لم تقف عند حد مداواة الامراض النفسية والوقاية منها بل تعدتها الى هدف أسمى ، فهي تدرس قابلية الاشخاص والطلاب العلمية والعملية وهم في مدارسهم وتوجه كلاً منهم الى العلم أو الصناعة التي تلتئم مع مواهبه ، فيستثمر العلم والصناعة من قواه الحد الاقصى ، وفي هذا امتحان الرقي والتقدم . ومن هذه الخلاصة التاريخية أيها السادة يتبين لنا ان علم الامراض النفسية ولا نسميها

بعد اليوم بالجنون لما تلوثت به هذه الكلمة من أدران الجهل والظلم والوحشية في العصور الماضية — قد تطور تطوراً سريعاً في هذه السنين الأخيرة من أساطير خرافية — الى علم طبي — الى فن مداواة ووقاية — الى علم اجتماعي تركز عليه سعادة الامم ورقبها ، وان المنفوس أي المصاب بآفة نفسية ولا نسميه بعد اليوم مجنوناً لما تدنس به هذه الكلمة من من الحقدارة وعدم الدلالة على المعنى العلمي — قد ارتقى من سلب آلهة أو ملوك شياطين الى أثيم شرير يسجن أو يحرق أو يصلب — الى حيوان مفترس يكبل بالسلاسل والاغلال — الى بريء يستحق الرأفة والاحسان — الى مريض معصوم ينتقل ما بين سرير المستشفى وردحات المصح حيث النور والهواء الطلق والهدوء والمطاعم والمشايخ مما بعد من مفاخر هذا العصر ، وهو يؤيد ما قدمته في بدء هذه المحاضرة : إن أرقى عصور البشرية علماً هي التي عرفت فيها ماهية الجنون وأبغى أيام البشرية حضارة هي التي عومل فيها المجنون معاملة المرضى بالرأفة والشفقة والاحسان .

الدكتور اسعد الحكيم



محاضرات

— في —

✽ تاريخ آداب العرب ✽

— « —

١ — ماهو الادب . ما تاريخه ، من هم العرب . ما أصلهم . وابن منبتهم . لم سموا عرباً . طبقاتهم . امهات قبائلهم . العرب والأعراب . جزيرة العرب . حدودها . واقسامها قديماً وحديثاً . الخ . أبحاث أكثر ترددها في صدور المؤلفات الموضوعة في هذا الشأن . واحتلت من مقدماتها مكاناً فسيحاً ليس من حقها ان تحتله ، حتى أصبح الشدة من خريجي الثانويات يسأمون حشوها في أذانهم وحشدها في أذهانهم .

إذا أضفنا هذا الى ما في الساعات المرصدة لهذا العلم في هذا المعهد من القلة ، تجدنا جدّ مهذورين في ان نصدف عن هذه الأبحاث وما على شاكتها مما ليس من الموضوع في العمود ، وان نمد يدنا الى المقصود من أقرب نواحيه ، من غير ما حاجة الى ركوب الصعب والدلول من المقدمات الطويلة .

٢ — يرد العلماء اليوم اللغات البشرية الى ثلاثة أصول : السامي . والآري . والطوراني . ويمدون العربية من الأصل السامي . وإذا اعتبرنا اللغة البابلية الاولى التي عُثِر على بقيتها في آثار الدولة الحورية — هي الأصل السامي الذي انشقت منه اللغات المنسوبة اليه ، يترجح عندئذ أن العربية أقرب أخواتها الى ذلك الأصل ، او انها هي الاصل نفسه ، تقلبت في اطوار ، وتنقلت في احوال ، وحدثتها القرون الخالية بالصقال . حتى وصلت

(١) دروس الاستاذ طه بك الراوي عضو المجمع العلمي العربي واستاذ التفسير في جامعة آل البيت سابقاً والآداب العربية في دار المعلمين اليوم .

الى ما وصلت اليه الآن . ذلك لأن العلماء رأوا مشابهة واضحة بين العربية الحاضرة والبابلية الاولى . ووجدوا في هذه كلمات ، وعلامات ، واصولاً ، وقواعد ، هي نفسها موجودة في العربية مع خلو سائر اخواتها السامية منها . أو هي موجودة فيها مع تحريف وتحوير ، ليسا بالبعيدين .

فمن وجوه المشابهة بين العربية المضرية والبابلية ، حركات الاعراب ، فانها في البابلية كما هي في العربية . ولا أثر لها في سائر اللغات السامية . ومن هنا يظهر ان الاعراب عريق في العربية عرفها وعرفته قبل أن يعرفها التاريخ . ومن وجوه المشابهة علامة الجمع السالم فانها في اللغتين (ون) . وصيغ الافعال في اللغتين متقاربة جداً . والتنوين في البابلية ميم ساكنة . والميم اخت التون في العربية . وكثيراً ما تتبادلان مثل (عنبر) تنطق (عمبر) ومن امثلة الكلمات التي جاءت في اللغتين معاً من غير ما تحريف : أنف ، عنب ، بلال ، صعصة ، نسر ، شمس . الى غيرها من الكلمات التي لا يختلف شيئاً في اللغتين .

إذا أضفنا هذا الى ما يراه المحققون من أن مهد العنصر السامي جزيرة العرب ، يتبين لنا جلياً صدق ما ذهبنا اليه من ان اللغة العربية هي العمود الذي انشعبت منه سائر اللغات السامية . او لا أقل من أنها أقرب اخواتها كلها الى الاصل الاول المندثر على تقدير وجوده . والعلماء يعللون ذلك بكون العربية المضرية عاشت في معظم عصورها متبدية ، والبداءة حرز حريز لما تحوطه بعنايتها وتربيته في حجرها من اللغات ، إذ من البديهي أن اللغة تتلون بتلون العمران . وتصطبغ بصبغة الحضارة التي تعيش في اكنافها . وأين العمران والحضارة من المهامه القبيح ، والصحارى التي تحار فيها الريح !! .

٣ — ليس معنى كون العربية أصلاً . أو قرينة من الاصل أن هذه اللغة المضرية النعربية التي تحوكتها اقلامنا ، وتلوكتها افواهنا ، هي تلك الام القديمة على ما كانت عليه في مهد حياتها . حفظتها لنا القرون الخالية ، فأدتها اليها مصونة من التحوير والتغيير . لا . وانما المقصود ان الشعب العربي الذي مازال ولم يزل يحتفظ بجزيرته ، مهد العنصر السامي . احتفظ بأهم لغات هذا العنصر . وان تلك الام تطورت من حال الى حال ، وتعهدتها الاجيال بالصقال ، ولم تزل تتنازعها عوامل البسط والقبض ، والرفع والخفض ، الى ان تناولتها يد النهضة الاسلامية . فجمعت شملها ، ولت شعشها ، وزادت في ثرائها ، وبالغت

في نمائها ، ثم وطدت قواعدها ، وضبطت اصولها وفروعها ، واحاطتها بعظيم رعايتها وشملتتها
بجليل حمايتها ، الى ان بلغت ما بلغت من البسطة في السلطان ، والكثرة في الاعوان .
وانسع صدرها للعلوم المختلفة من بين شرعية ولسانية ، وفلسفية ، وغيرها ، وبلغت يوم
ذاك شأواً قصياً لم تصل اليه لغة من لغات العالم التي كانت تعاصرها .

فاذا انت القيت نظرة اليها وهي زاخرة بالعلوم والفنون في العصر العباسي فيجدها اوسع
رفعة منها في العصر الاموي . وهي في العصر الاموي ، وصدر الاسلام ، أفسح مجالاً منها
في الجاهلية يوم كانت منعزلة في زوايا الجزيرة . وقس على ذلك حالها في الجاهلية الآخرة
بالنسبة الى حالها في الجاهلة الاولى .

وبالجملة فان اللغة تنبسط بانسباط اهلها في الحضارة والعمران ، وتنقبض باقباضهم .
وترتقي بارتقائهم ، وتنخفض بانخفاضهم . وهي — بعد — كائن حي معروض لعوامل
التركيب والتحليل . والتجدد والدثور . وسائر العوامل التي تخضع لها الاحياء من هذا
القبيل . واهم علائم الحياة في اللغة نشاط عاملي التجدد والدثور في بنيتها كالانسان في عنوان
شبابه . فتستغني عن الفاظ وتراكيب ، وتنضم الي نفسها الفاظاً وتراكيباً ، حسبما تقضي
به عوامل النشوء والارتقاء ، او كما يقولون : حسبما يتطلبه قانون الانتخاب الطبيعي . ومن
هذا نعلم ان لغة العرب اليوم تختلف عنها بالامس .

٤ — وليس في مقدور الباحث اليوم ان يحيط علماً بكل ما تقلبت عليه هذه اللغة من
أطوار التهذيب ، وما مرت به من عوامل البناء ، والتوسيع . ولكن يمكن ان يقال على
سبيل الاجمال ان أطوار تهذيبها وعوامل نمائها وتوسيعها ، تابعة لتطور أحوال المتكلمين
بها . فاذا علمنا — مثلاً — ان دولة حموربي التي وصلت الى ما وصلت اليه من رفعة الشأن ،
والتبسط في العمران — عريية النجار ، نعلم عند ذلك ان هذه اللغة نالت على عهد هذه الدولة
قسطها من التهذيب والبناء بقدر ان بقدر ما أحرزته تلك الدولة من سعة العمران ، وقوة
السلطان . ويقال مثل ذلك في الدول العريية الاخرى ، التي ظهرت لمع من اخبارها من
خلال غبار العصور الخالية ، مثل دولة العالليق في مصر المعروفة عند اليونان باسم
(الهيكسوس) . ومثل دولة معين في اليمن ، وسائر الدول اليمنية التي تبسطت في الفتوح ،
وتوسعت في الحضارة .

ومن هذا يتبين ان معرفة اطوار التهذيب لهذه اللغة تستمد من تاريخ الامة العربية فلترك هذا الجانب للباحث في تاريخ العرب . على انه لا يفوتنا ان اطوار التهذيب ليست قاصرة على ما تنقلب عليه الامة من الاحوال السياسية . بل هناك تطورات لها شأنها خارجة عن هذه . منها : اتصال العرب بغيرهم بالمجاورة ، والمتاجرة ، وما الى ذلك . ومنها انتشار القبائل في انحاء الجزيرة ، وانفراد كل قبيل بمحاسن من القول يغطيه عليها القبيل الآخر . ومنها الأسواق المشهورة ، والجامع المذكورة . مثل عكاظ . ومجنة . وذي الحجاز . ومنها الحج . وغير ذلك من المجتمعات .

هذا امر تطورها في الجاهلية وأما في الاسلام فلا طوار التهذيب تاريخ واضح النج . سلم به في غير هذا الموطن ان شاء الله تعالى .

٥ - أما عوامل البناء في اللغة فكثيرة أهمها : الاشتقاق ، والنحت ، والقلب ، والابدال ، والاشتراك ، والتضاد ، والترادف ، والمجاز ، والكناية ، والاصطلاح ، والتوليد ، والتعريب ...

واذا أنمت النظر في هذه العوامل تجدها على قسمين : قسم منها يرجع الى بنية اللغة مثل الاشتقاق . وقسم تستمد اللغة من الخارج مثل التعريب . وهذا أشبه شيء بكيفية نماء الاجسام الحية . فان وسائل نمائها على درجتين : الاولى تمثيل الأغذية التي تستمد من الخارج . والثانية تحصل بكثرة الخلايا بانقسام الواحدة منها الى اثنتين . ثم انقسام كل من الاثنتين وهكذا ...

١ - الاشتقاق :

يقول الصرفيون : ان الاشتقاق أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما في أصل المادة والمعنى ، ليدل بالثانية على المعنى الاصلي ، مع زيادة مفيدة ، لاجلها اختلفت حروفها ، أو حر كانتا أو هما معاً ، مثل كتب من الكتابة ، وقرأ من القراءة . وبعبارة أخرى : هو رد لفظ الى آخر لمناسبة بينهما في المعنى والحروف الاصلية .

وقد ذكروا له نوعين : الاول الاشتقاق الأصغر وهو المشهور بين علماء العربية . واذا أطلق الاشتقاق ينصرف اليه . والثاني الاشتقاق الأكبر . وأهم مميزاته عن سابقه انه لا يشترط فيه الترتيب في الحروف بين المشتق والمشتق منه .

ثم ان التغييرات بين المشتق والمشتق منه في الاشتقاق الأَصغر تنحصر في وجوه :

الاول - زيادة حركة في المشتق مثل (عَلِمَ) من (الْعِلْمُ) . الثاني - زيادة حرف فيه مثل (طالب) من (الطلب) . الثالث - زيادة حركة وحرف معاً مثل (ضارب) من (الضرب) . الرابع - نقص حركة منه (كألفرس) من (الفرس) . الخامس - نقص حرف منه مثل (ثبت) من (الثبات) . السادس - نقص حركة وحرف معاً مثل (نزا) من (اللزوان) . السابع - نقص حركة وزيادة حرف مثل (غضبي) من (الغضب) . الثامن - زيادة حركة ونقص حرف مثل (حُرِّمَ) من (الحرمان) . التاسع - زيادة حركة وحرف ونقصهما مثل (استنوق) من (الناقة) . العاشر - تغير الحركتين مثل (بَطِرَ) من (البطر) . الحادي عشر - نقص حركة وزيادة أخرى وحرف ، مثل (اضرب) من (الضرب) . الثاني عشر - نقص حرف وزيادة آخر ، مثل (راضع) من (الرضاعة) . الثالث عشر - نقص حرف وزيادة آخر وحركة ، مثل (خاف) من (الخوف) . الرابع عشر - نقص حركة وحرف وزيادة حركة فقط ، مثل (عدّ) من (الوعد) فان فيه نقص الواو وحركتها وكسر العين بعد ان كانت ساكنة . الخامس عشر - نقص حركة وحرف وزيادة حرف ، مثل (فاخر) من (الفخار) .

اما الاشتقاق الأكبر فيشترط فيه حفظ أصل المادة دون تقلبات الهيئة ، مثل تقلب مادة (ق و ل) على وجوهها الستة المحتملة : ولق . لقو . . . الخ وهي في كل هذه التصاريف

تدل على الخفة والسرعة . قال ابو حيان النخوي : وهذا مما أبدعه الامام ابو الفتح بن جني .
 وكان شيخه ابو علي الفارسي يأنس به في بعض المواضع .
 والذي يتقرى كالم اللغة العربية بانعام نظر ، يجد ان لمعظم موادها اصلاً يرجع اليه
 كثير من كلماته ان لم تقل كلها ، خذ على ذلك مادة (ف ل) وما يثلثهما تجد الجميع تدور
 حول معنى الشق والفتح . مثل : فليح ، فليج ، فليح ، فليح ، فليح ، فليح ، فليح ، فليح . ومثل ذلك مادة
 (ق ط) وما يثلثهما تقول : قط ، قطع ، قطر ، قطف ، قطن . . . الخ وكلها بمعنى
 لانفصال .

وأول من فتح باب هذا النوع من الاشتقاق ابو الفتح ايضاً ، وللعلامة الزمخشري
 ولوع فيه ، تجد ذلك كثيراً في كشافه ، ويذهب بعض اللغويين الى أن هذا الأصل
 جارٍ في كل تراكيب المواد اللغوية ولو بضرب من التأويل الا قليلاً . وهذا مذهب
 لا يخلو من المبالغة ، اذ ان كثيراً من مفردات اللغة دخل عليها من لغات أخرى ثم صار
 مع الزمان كأنه منها في الصميم . ولا يمكن في حال من الأحوال ان يرد الى أصل من
 أصولها . وللغفلة عن هذه الناحية نجد الكثير من اللغويين يتحللون لبعض الكلمات اشتقاقات
 أقل ما يقال فيها انها من المضحكات . حكي عن بعضهم انه مثل عن اشتقاق الجرجير
 — نوع من النبات — فقال : سمي بذلك لان الريح تجرجه اي تجره . وشئ عن
 اشتقاق الجرة ، فقال : لانها تجر على الارض . ويقول انما سمي الثور ثوراً لانه يشير الارض
 للحرث ، الى أمثال هذا الهذيان والأعجب ان بعضهم يتكلف للأعلام العجمية ضرراً من
 الاشتقاق تتقاطر السخافة من أطرافها . ولا نعدم في هذا العصر أناساً من هذا القبيل .
 فقد بلغني ان بعضهم سئل عن البجيرة — وهي كلمة يستعملها الأتراك للنافذة — فقال :
 انها من فيجر الرجل اذا فتح عينيه ، لان النافذة تكون مفتوحة ، فافراً وأعجب .

ولمكانة هذا الباب في علم العربية أفردوه بالتأليف وأحاطوه بالعناية الواسعة ، ومن
 الف فيه الأصمعي ، ومحمد بن المستنير المعروف بقطرب ، وابو الحسن الأخفش ، وابو نصر
 الباهلي ، والمفضل بن سلمة ، والمبرد ، وابن دريد ، والزجاج ، وابن السراج ، والرماني ،
 وابن النحاس ، وابن خالويه وغيرهم . هذا زيادة على ما جاء به الصرفيون في كتبهم من
 التحقيق والتعريض . وأكبرهم عنابة في ذلك امام الصرفيين وسندهم ابو الفتح بن جني

الموصلي . وقد ألف فيه بعض المعاصرين من أعلام الشام كتاباً تقيساً بعد آية في بابه .
هذا وإن العصر الذي نحن فيه يتطلب من هذا الباب فضل توسع ، وبذل عناية ، لأن
المعاني الجديدة المتدفقة ، والمبدعات العصرية المتكاثرة ، تتطلب من الألفاظ ما تعين به
مفردات اللغة إذا لم تنزع إلى هذا الباب فتوسع منه ما ضيقه غلاة المحافظين ، ثم تستمد
منه العون ، فتجد منه خير معين وأقوى نصير .

ثم إن هذا الباب أوسع من أن يحاط به في مثل هذه العجالة ، ولكننا نظرنا إليه من
بعض نواحيه التي تتعلق بموضوعنا وتركنا التفاصيل للكتب الموضوعة فيه .

٢ - النحت :

قد يعمد العربي إلى كلمتين فأكثر ، فيقتطع منها حروفاً يؤلف منها كلمة جديدة يدل
بها على مجموع المركب الذي اقتطعت منه ، أو على معنى آخر قريب من معنى ما اقتطعت
منه ، فيقول في النسبة إلى عبد شمس ، عبشمي - مثلاً - كما يقول : (بسم) يريد أنه
قال : بسم الله الرحمن الرحيم ، ويسمون العجوز الصغابة الكثيرة الهذر : صهلقي ، أخذاً
من (صهل) ، و (صلقي) ، بمعنى صات صوتاً شديداً .

وقد أطلق علماء العربية على هذا النوع من العمل اللغوي النحت ، لأن العربي ينحت
من الكلمتين كلمة ، وفي هذا العمل من الفوائد ما فيه مما يرمي إلى إمداد اللغة بالثراء ، وزيادة
على ما فيه من الاختصار بكون الكلمة الجديدة تدل على جملة من القول ، فقولنا : (بسم)
مثلاً أخصر بكثير من قولنا : قال بسم الله الرحمن الرحيم .

ولم يضعه إلا وائل قواعد واضحة ، ولذلك اعتبره بعض النحاة سماعياً ، وقل الاعتماد
عليه عند المتأخرين من العلماء ويظهر من كلام ابن مالك في تسهيله أنه يعتبر هذا الباب
قياسياً في باب النسبة ، ولكن أبا حيان أنكر عليه ذلك وقال إن هذا الحكم لا يطرد ،
وانما يقال منه ما قاله العرب فقط والمحفوظ منه - عند أبي حيان - عبشمي ، في النسبة
إلى عبد شمس . وعبدري ، في عبد الدار . ومرقسي ، في أمريء القيس . وعبقي ،
في عبد القيس . وتيلي ، في تيم الله . هذا ما أورده أبو حيان من المسموع في باب النسبة
من النحوت . ومعلوم أن النحت في غير باب النسبة أكثر منه في بابها فقد قالوا هلل ،
وأكثر من الهيلة ، إذا قال : لا إله إلا الله ، وحولق ، وأكثر من الحولقة ، وحوقل

(انكر بعضهم ان يقال حوقل . وعده من الغلط وليس بشيء لانه جرى على السنة كبار اللغويين . ومن حفظ حجة على من لم يحفظ) واكثر من الحوقلة . اذا قال : لاحول ولا قوة الا بالله . ومنه حمدل حمدة : قال : الحمد لله . وحسبل حسيلة . قال : حسبي الله . وحسبل حيلة قال : حي على الصلاة . حي على الفلاح . وحي على كذا . قال الشاعر :
اقول لها ودمع العين جار لم يحزنك حيلة المنادي

وجعقد جعقدة . قال : جعلت فداك . ودمعة دمعرة قال : دام عنك وطبق طلبقة . قال : اطال الله بقاءك . ومشكن مشكنة . قال : ماشاء الله كان . وكبتع كبتعة . قال : كبت الله عدوك . وسعمل سمعة . قال : السلام عليكم وقالوا : حبرم القدر اذا وضع فيها حب الرمان . وامثلة ذلك كثيرة . حتى ذهب ابن فارس وجماعة من المحققين الى ان الاسماء الزائدة على ثلاثة احرف اكثرها منخوت . مثل قول العرب : رجل (ضبط) أي شديد . أو ضخم مكثز اللحم منخوت من ضبط وضبر . بمعنى اشتد خلقه وتوثق . قال : ومنه اسد (صلد) . ورجل صلد أي صلب . منخوت من . صلد وصدم . (وبعث) منخوت من بعث واثير . (وبجثر) من بجث واثار .

ويرى التخليل ان التثنية يجيء في الحروف . قال : اصل لن . (لأن) تخففت فصارت لن وقد حدث لها بالتركيب معنى جديد في الجملة . . .

وللتثنية بد سموح في امداد اللغة بالثروة ، ولا سيما لغة العلم . ولكن بعض المتأخرين من النحويين . حالوا بين أهل العلم وبينه بقولهم انه باب سماعي ، وبذلك أوصدوه في وجوه القوم على حين الحاجة ماسة الى فتحه وتوسيعه بقدر المستطاع لمعالجة الفاقة اللغوية تجاه المعاني العلمية التي فاض فيضها وعب تيارها في هذا العصر .

مالنا وللمتشددين من متأخري النحاة الذين كما انتقج امام اللغة العربية باب تنفس منه هرعوا اليه وسدوه على زعم انهم يخدمونها بالمحافظة عليها وسد مسالك العجمة عنها وما أشبه عملهم هذا بعمل تلك الصينية التي تضع قدميها في زوجي خف من الحديد للمحافظة على غضارتها وجمالها ، ولم تدر انها سوف يأتي عليها زمن تفقد فيه هاتان القدمان قوتيهما وتعجزان عن القيام بوظائفهما ، وكذلك شأن اللغة عند هذا الفريق من القوم يوصدون عليها أبواب القياس وبأخذون عليها مجامع الطرق على زعم انهم يحرسونها ويحافظون على

نضارتها وييقون على غضارتها ، وفاتهم انهم بهذا الضيق يعملون على إمامتها بأوامر عناصر الحياة فيها ، وابعاد عوامل النماء عنها ، وانهم لا يزالون يضيقون عليها السبل حتى يقول المرجفون والذين في قلوبهم مرض انها أصبحت لغة مصابة بفقر الدم ، وذبول الخلايا ، وميتت بسائر أعراض الهرم فدارت عاجزة عن ان بتسع صدرها للمعاني الجديدة المتكاثرة والعلوم العصرية المتدفقة بالمصطلحات وبذلك يسجلون عليها عجزها وهي غير عاجزة وفقرها وهي غير فقيرة ، وانما العجز في نفوس الذين يزعمون انهم قائمون على خدمتها ، وهم في أودها مشغولون ، والفقر في تفكيرهم ، ولكنهم لا يعلمون .

٣ - القلب :

هو تقديم بعض حروف الكلمة على بعض ، وبذلك تتولد كلمة جديدة تتفق مع أصلها في مادة الحروف وتختلف عنها في الترتيب مثل : صاعقة ، وصانعة ، وخطيب مصعق ، ومصقعر ، ويشس وأيس ، وعاث في الأرض ، وعثا فيها ، وأثول ، والوث ، ونزغ الشيطان بينهم ، ونفز ، وهو ينسكع وينكسع اذا تمحير ، ومرزاب السطح ، ومرزابه ، وكلام وحشي ، وحوشي ، وهم الأوباش والأوشاب ، أي الأخطا من الناس .

وأمثلة هذا الباب كثيرة ذكر منها الجلال السيوطي في الزهر جملة صالحة ، وقد ألف فيه ابن السكيت كتاباً خاصاً ، وعقد له ابن دريد سيف جهرته باباً على حديثه ، وكذلك فعل أبو عبيد في كتاب الغريب المختف .
وليس في هذا الباب كبير فائدة من حيث الثروة اللغوية الا من ناحية الالفاظ ، اما المعاني فانها لا تتكثر به ، اذ المقلوب والمقلوب عنه يدلان على معنى واحد ، فان جذب ، وجبذ ، يدلان على معنى واحد وان تعددا لفظاً .

ويذهب البصريون من النحويين الى ان معظم ما يسميه اللغويون قلباً ليس به ، وانما هو من باب تعدد اللغات . فجبذ عندهم - مثلاً - لغة قبيلة وجذب لغة قبيلة أخرى . وعلى هذا يكون الكثير مما يظنون ان القلب قد دخله ليس بذاك . ولا يتحقق القلب عند هؤلاء الا اذا تم لاحدى اللفظتين من التصاريف ما لم يتم للأخرى ، فمندئذ يعتبرون اللفظة ذات التصريف التام أصلاً وذات التصريف الناقص فرعاً ، مثل يشس وأيس فانهم

لما وجدوا للاولى منهما مصدراً وهو اليأس ، ولم يجدوه للثانية ، قالوا ان الاولى اصل والثانية فرع ، وليس هناك فائدة مهمة من وراء هذا الخلاف الا من وجهة واحدة وهي انه : هل كانت القبيلة الواحدة من العرب تستعمل اللفظين معاً ، أو كانت تستعمل لفظاً واحداً منهما . واللفظ الثاني تستعمله قبيلة أخرى ، سيأتي في باب المترادف ما يلقي شيئاً من النور على هذه المسألة لان اللفظين في هذا الباب لا يترجان عن كونهما مترادفين ، سواء قلنا بالقلب أو بتعداد اللغات .

٤ — الابدال :

عرفنا ان القلب نقل حرف من موضعه الى موضع آخر من الكلمة نفسها فتولد من ذلك كلمة جديدة ، وبعبارة أخرى تصير الكلمة الواحدة كلمتين .

اما الابدال فهو ان ترفع حرفاً وتضع غيره موضعه ، فتولد من ذلك كلمة أخرى تدل على عين ما تدل عليه الاولى من المعنى ، فهو أخو القلب من ناحية أثره في الثروة اللفظية للغة دون المعنوية منها .

وقد اختلفوا فيه كما اختلفوا في القلب فقال فريق المبدل والمبدل منه يقعان في لغة القبيلة الواحدة ، فالقبيلة التي تقول (صراط) مثلاً هي نفسها التي تقول (سراط) ، ويذهب المحققون الى ان العرب لا تعتمد تعويض حرف من حرف ، وانما هي لغات مختلفة لفظاً ، لقبائل مختلفة ، تدل على معاني متفقة ، بان تقتارب اللفظتان في لغتين لمعنى واحد حتى انهما لا يختلفان الا في حرف واحد ، وعلى هذا لا تتكلم القبيلة الواحدة بكلمة (صراط) — مثلاً — طوراً بالصاد وطوراً بالسين ، انما يقول هذا قوم وذاك قوم آخرون .

ومن أمثلة هذا الباب ، قولهم : ضربة لازب ، ولازم ، وتلثم ، وتلعثم ، والقطر ، والقتر ، للناحية . وجمعها أقطار وأقتار . والخثالة ، والخفالة ، الردي من كل شيء . والثوم ، والفوم ، وهو الخنطة . واللثام ، واللفام . وبعثر ، وبجثر ، ومد الحرف ، ومطه . والثرى ، والبرى . . . الخ .

والأمثلة كثيرة تكاد تفوت الحصر ، حتى قال بعض المحققين قلما تجدد حرفاً الا وقد جاء فيه البدل ولو نادراً ، يريد به البدل ، السماعي . اما ما يذكره الصرفيون من ان حروف الابدال تسعة (ا ت د ط م ه و ي) فانهم يريدون به الابدال القياسي وهو

مفصل في كتبهم وليس من موضوعنا الإفاضة فيه . وللإبدال السماعي دواعٍ كثيرة .
 منها : سهولة النطق بأحد الحرفين المبدل أو المبدل منه . ومنها — وهو أهمها — اليقظة
 فان لها الأثر البين في تنشئة الألسن ولهذا نجد القبائل اليمنية مثلاً تختلف في كثير من
 الألفاظ عن القبائل الحجازية ، فان هؤلاء ينطقون السين شيئاً فيقولون الناس مثلاً ،
 واولئك يلقبونها تاء فيقولون التاء ، وهؤلاء يقولون : ليك وسعديك — مثلاً —
 واولئك يقولون : لبش وسعديش ، بقلب الكاف شيئاً ، وهي شئتنتهم .
 وسنعرض لهذا البحث في باب اختلاف لغات القبائل ونتمه فضل إفصاح الله تعالى
 . الله تعالى .

« للبحث صلة »



رحلة اوليا جلبي

« في البلاد العربية »

— ٩ —

ومن يقصد قصر ابن وردان عن طريق الحمراء يغادر سمية نحو الشمال فيرى على يساره ضريح الشيخ فرج الذي تقدم ذكره ومرجاً فيج بدعى مرج الخصيمية كان ولا يزال منزل اعراب هذه الديار كما ان بعض الملوك والامراء الذين كانوا يأتون للاستيلاء على سمية او حماة ينزلون بجيوشهم فيه . منهم سيف الدولة بن حمدان في سنة ٣٤٤ لما جاء موحارب الأعراب الذين ثاروا عليه كما قدمنا . والملك المعظم عيسى بن العادل بن ايوب ملك دمشق لما جاء في سنة ٦٢١ لمحصرة ابن أخته الملك الناصر ملك حماة ، ثم اخوه الملك الكامل ملك مصر لما جاء في سنة ٦٢٦ لمحصرة الملك الناصر المذكور ايضاً ، ثم تيمورلنك طاغية التتر في سنة ٨٠٣ جاء الى هنا بعد ان خرب حلب وبعث بفرقة من جيشه لتخريب حماة وقلعتها ثم قصد دمشق . ويرى السائر قرية تل اعدا وكانت مقر الامير مهنا بن عيسى الذي تقدم ذكره وفي شرقيها ذيل العجل وفي شمالها تل سنان واهل هذه القرى الثلاث في يومنا شركس . وفي غربي تل اعدا بطيخة صغيرة يحصل فيها ملح ناصع البياض لولا انه قليل المראה ينشأ من توافد مياه القنى وسيول القرى المجاورة في الشرق والشمال في فصل الشتاء واجتماعها في هذه البطيخة التي في قعرها معدن الملح . ويقدر وزن كمية ما يمكن ان يجنى منها في السنة بخمسة آلاف قنطار لولا ان الحكومة مانعة ذلك منعاً باتاً وقابةً للملح الجيول . فيقوم بهذا المنع حراس مدة فصل الصيف الى ان تفد السيول المذكورة وتنزله وتحمله اذا فاضت الى مرج الخصيمية فعين الزرقاء فالأودية الذاهبة الى العاصي . هذا

ويرى السائر على يمينه من الضياع جصين والبويض واللالا والريعة وعلى يساره الدوسة وخنيفس والشهب والشها والرحية . وفي شمالي الرحية هضبة عالية فوقها قلعة قديمة خراب تدعى « قلعة الرحية » لعلها من الحصون التي شيدها الرومان على طرف البرية لمنع البادية من العيث . يصل اليها الصاعد من طريق في غربيها فيرى بابها الذي لم يبق منه سوى عضادتيه وعتبته . وفناء هذه القلعة رحب لا يقل عن نصف هكتار كان حوله سور ضخيم بقيت منه أسسه وفي وسطه أطلال دارسة وأحجار وأعمدة مبعثرة وكلها من الحجارة السوداء وبئر ذات فوهة واسعة مردومة على ان العمق الظاهر منها الآن لا يقل عن الخمسين متراً . وبعد خمسة كيلومترات من هذه القلعة يصل السائر الى ثكنة الحمراء الخراب وهي من عهد السلطان عبد الحميد أقام فيها جنوداً يربون المهار المعدة لفرسان الجيش في المرج الافيج الذي في غربي الثكنة ويحفظون هذه البراري والضياع القائمة فيها وكلها كانت ومن أملاك هذا السلطان الخاصة ، ثم انتقلت بعد خلعها في سنة ١٣٢٧ الى بيت مال الدولة العثمانية وبعد ان زالت هذه الدولة عقيب الحرب العامة في سنة ١٣٣٧ انتقلت الى بيت مال دولة الشام . وهذه الاملاك كثيرة ومنتشرة في شرقي حلب وجنوبها وشرقي الحمراء وسلمية وحمص تعد نحو ثمانمائة قرية وضبعة يقطن ما كان منها في الشمال حول حلب والحمراء أعراب من قبائل وأنغاد شتى تركوا سكنى المضارب وبثوا القباب وانصرفوا الى الحرث والزرع ويقطن ما كان منها في الجنوب شرقي سلمية وحمص قليل من الاسماعيلية وكثير من النصيرية . وقد كانت هذه القرى والضياع في زمن هذا السلطان عزيزة الجانب ينعم فلاحوها بأحسن أمن وأجمل رعاية لانه منع عنها عيث البادية بفضل الثكنات والمخافر التي وضعها على حدود الحاضرة — كثكنة الحمراء وثكنة جب الجراح في سفح جبل الشومرية شرقي حمص ومخافر سعن الشجرة وتل الأغر وعقيربات السويد والفرقلس والمخرم — واعنى فلاحيه من الجندي والتكاليف الاميرية فعمرت اذذاك هذه القرى والضياع بعد ان ظلت خراباً بضعة قرون . وما انت خلع هذا السلطان حتى زالت تلك الرعاية الا قليلاً ، ولما تقلص ظل الدولة العثمانية من ربوع الشام ونشبت قن قبيلتي الموالي والحديدين خربت ضياع الحمراء وجلها مما يقطنه فتود هاتين القبيلتين وما ان يصطلحا ويرجع الجفأ الى

مواطنهم ومزارعهم ويعمروها حتى تنشب الفتنة ثانية فتعود للخراب وهكذا دواليك .
وفي القسم السالم من تكتة الحمراء أقاموا في يومنا مختراً فيه بضعة جنود من الدرك
يعززونهم بقوة كافية عند الازوم ، وثمة حوش شبه الحظيرة لرجل حموي يستغل قسماً
من مرج الحمراء بالحرث والزرع ويعمل مثله فلاحو قريتي الحمراء ورأس عين الحمراء
المجاورتين .

وبعد مغادرة تكتة الحمراء يتجه السائر نحو الشمال الشرقي فيرى على يمينه من الضياع
اللالا وجناة الصوارنة وأصل أهلها من صوران التي تقدم ذكرها في بحث طريق شيزر
وحماة ، والشيماء وعلى يساره تل محصر ومويلج الصوارنة وابو عجلة فقصر ابن وردان الواقف
وسط هذه البراري الشاسعة كأنه رمز العظمة والخلود .

لما تسنى لي زيارة هذا القصر وخربة الأندرين في خريف سنة ١٣٤٥ ورجعت الى
دمشق أنقب في كتبنا العربية لعلني أجد ذكراً لها لم أذكرها الا على بضعة أسطر عن الاندرين
قالها ياقوت في معجمه سأقلها في موضعها . اما قصر ابن وردان فلم يذكره ياقوت ولا غيره
فاضطرت اذ ذاك لسؤال المرحوم الأب لويس شيخو فأجابني في مجلة المشرق « عدد نيسان
سنة ١٩٢٧ » ان اول من وصف قصر بن وردان الاختاذ موردتمان في المجلة الاثرية
الكتانية الالمانية المطبوعة في النمسا سنة ١٨٨٤ ثم عاد بعده غيره من السياح كاستروب
وهرتمان وفون اوبنهايم وستريفوفسكي فوصفوه ونشروا صورهم . على ان هذا الوصف قد
جاء واسعاً مستوفى مع نقوش وتصاوير بدیعة في منشورات البعثة الاميركانية في جامعة
برنستون بالانكليزية في القسم الثاني المطبوع في لندن في هولاندة سنة ١٩٢٠ ص ٢٥
٤٥ ووصف خربة الأندرين في الكتاب المذكور ص ٤٧ — ٦٣ هـ . قلت لم أتمكن
من الاطلاع على المجلة والمنشورات التي ذكرها الأب شيخو ولعل الخلاصة الموجودة في
الدليل الازرق لمونمارشه مأخوذة عنها فجعلتها عمدي في بيان ما يلي :

يتألف هذا القصر من ثلاثة أبنية لاتماثل قط بقية المباني التاريخية في بلاد الشام ،
وتعزى مكانتها على مقالته الاثريون الى ان بناءها وخاصة امتزاج الاحجار والواح الآجر
يختلف عن الطراز المعروف في فن البناء السوري ويقرب من طراز المباني الملوكية في

القسطنطينية في عهد يوستينيانوس^(١) ويرجحون ان بانيها المهندس ايزيدور ، وشبه دوسو هذه الابنية من حيث التركيب ومزج المواد لما في قصر المشتى في شرقي الاردن .
والابنية الثلاثة تشمل كنيسة كبيرة ثم قصراً عظيماً وكان كلاهما حينما زرتهما سالماً بعض السلامة ، وثمة بناء عسكري واسع خراب بالمرّة ولعله كان ثكنة . وأجل هذه الابنية القصر وهو واسع الأركان ذو طابقين عاليين في الاول منهما أروقة طويلة كل منها مؤلف من صفين من الغرف يتصل بعضها ببعض . وقد شيد هذا القصر ومثله بقية المباني بالاحجار الحريرة السود وبالواح من الآجر كبيرة صفراء غاية في الصلابة والجودة ودعمت بملاط قوي . وثمة أحجار جيرية يضاء واعمدة من الرخام بنيت بها الاقسام الداخلية وعلى أسكفة احد أبواب القصر كتابة يونانية تاريخها ٥٦١ ميلادية وأخرى في موضع ثان تاريخها ٥٦٤ في عهد الامبراطور يوستينيان . وقد تداعى معظم جدران الطابقين والاقسام الداخلية وتفتت الاحجار والاعمدة ولم يبق في الطابقين سالماً الا الواجهة الجنوبية وبعض الابهاء ذات القباب وبعض النوافذ وبقي في الواجهة الغربية قسم من القباب وعضادتان ضخمتان احدهما مزدوجة . فالقصر في الجملة أخنى عليه الذي أخنى على لبد . اما الكنيسة فقد كانت ذات بناء عظيم له ايقونستاس وهو رواق فوقاني ذو ثلاث قناطر يشرف على

(١) دام حكم هذا الامبراطور من سنة ٥٢٧ الى ٥٦٥ م وكان كثير السهر شديد الرغبة من حاشيته ، فتح فتوحات عظيمة وأخضع ممالك الشرق والغرب التي كانت على وشك الانفصال عن بلاده وأعاد مجد الرومان ، وكان يقدر العدل والنظام ، أمر بجمع زبدية الشرائع الرومانية السابقة وحشرها في قانون واحد دعاه باسمه ، وكان عمرانياً شديد كبراً من الحصون وقناطر الماء والحمامات والمستشفيات والديارات والكنائس والقصور الفخمة ، أجهلها وأعظمها كنيسة أياصوفيا في القسطنطينية ، بناها له المهندس الانمياني ايزيدور وأنثيوس ، (وفي الشام ينسب اليه قصر ابن وردان ودير ميده صيدنايا ولعله بنى غيرهما ايضاً) ، الا ان تلك الحروب العظيمة والمباني الجسيمة أثقلت كاهل الشعب الروماني وأضعفته ولما مات يوستينيانوس لم يؤسف عليه ، وسع بلاده وعمرها لكنه ابتزصرعها وغادرها فقيرة بالانفس والاموال . (عن تاريخ العصور الوسطى لماله وايباق الاقرنيين) .

داخلها . وكان على الكنيسة قبة عالية ركبت على قناطر تستند على دعائم ضخمة ولا تزال بعض جدران طابقها التحتاني والايقونستاس الفوقاني وقسم من نصف القبة وقنطرتها الكبرى مائلة وصحن الكنيسة متطاوّل ينتهي بحنية مدورة وثمة صحن تالية تمتد في كل جانب . والثكنة التي خرب معظمها ذات شكل مستطيل وكان لها سوران بينها غرف ذات قباب وفي داخلها فناء رحب في وسطه بناء عال ذو طابقين وقبب عديدة . ولا يمكن الزائر ان يميز في هذه الثكنة الا باب مدخلها الكبير وهو في شمالها وعلى اسكفته كتابة كبيرة والزاوية الشمالية الشرقية للسور الخارجي وبضعة أقسام من البناء المتوسط .

ومن الغريب ان هذا القصر الفخم المبني قبل الاسلام لم يذكره احد من جغرافيين العرب ولا ياقوت الذي ذكر قصوراً عديدة أقل منه شأنًا لذا فقد غمض علينا معرفة ابن وردان الذي نسب اليه هذا القصر وفي اي عهد كان ومن رغب فيه وبذخ ثم متى وكيف بدأ خرابه وقد قيل ان معظم ذلك حدث في عهد السلطان عبد الحميد حينما أمر بإنشاء ثكنة الحمراء فنقلت الجنود احجاره اليها ثم أجهز الجوار على ما بقي حتى أصبح على ما وصفناه وهم ما زالوا على هذا الاجهاز دائبين وبالأأسف . ومن الغريب ايضاً ان عمال بوسنيانوس الذين بنوا هذا القصر وتوابعه كيف انتقوا هذه الاماكن النائية عن حماة نحو ٦٠ وعن سمية ٤٦ كيلومتراً وعنوا بحسن هندستها وزخرفها اكان ذلك لجمال هذه البراري وهي في يومنا أشبه بالفلوات تملؤها من الخضار والأشجار قل ان استتب فيها الأمن في العصور الغابرة ان غلات سنين او ثلاث بارت سنين وما زال هذا شأنها حتى يومنا الا قليلاً — أم لمران القرى التي حولها وكلها الآن ضياع حقيرة لاتدل رسومها وآثارها على انها كانت من الكبر بحيث تستحق وجود مثل هذا القصر ومشملاته ؟ هذا وعلى مقربة من القصر ضويعه ذات قباب يعمل أصحابها على إخراج قناة قديمة في أراضيها وثمة في الاطراف من الضياع الصغيرة رسم الورد ورسم عيسى وابو خنادق وابو عجرة والشياو العطشانة والمنطار وخربثي المصيطبة والثروت .

والسائر من قصر ابن وردان الى الأندرين يجتاز نحو الشمال الشرقي ٢٥ كيلومتراً جلها منبسطة محصاة وتلعات يكثف فيها الشج والقيصوم والروثة وغيرها من نباتات البادية

وبتخللها أودية فيها زروع ضئيلة قليلة المساحة لبعده هذه الربوع وضعف زراعتها وهم من صعاليك العربان الحاضرة ، ويرى السائر في طريقه خرائب ورسومًا لا يحوى جلها الا قليلاً من الخيم او القباب منها على اليمين رسم الورد وعلى الشمال رسم عيزى والخطايصة والجنيينة والحنية وتفاحة وحوى الى ان يوافي الاندرين . تقع هذه البلدة الخراب وسط برية منبسطة شاسعة يحدها شمالاً جبل الاحص الممتد جنوبي حلب وفي سفحه الجنوبي الشرقي قرية خناصره التي كانت مصيف الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز وغرباً عماح وبطائح تمتد الى قرية خرايج الشحم وشرقاً البادية المترامية الأطراف نحو دير الزور وما وراءه وجنوباً السباسب التي تنتهي عند أرياف قصر ابن وردان وسعن وسعين او سعن الشجرة وبغديد وهذه ورد اسمها في صبح الاعشى للقلقشندي في ذكر طريق جعبر ، وفي معجم ياقوت وقد عدها من قرى حلب .

واليك ما قاله ياقوت عن الأندرين : أندرين اسم قرية في جنوبي حلب بينهما مسيرة يوم للراكب في طرف البرية ليس بعدها عارة وهي الآن خراب ليس بها الا بقية الجدران واباها عني عمرو بن كلثوم بقوله :

الاهي بصحنك فاصبحنا ولا تبقي خمور الأندرينا

وهذا مما لا شك فيه . وقد سألت عنه اهل المعرفة من اهل حلب فكل وافق عليه وقد تكلف جماعة اللغويين لما لم يعرفوا حقيقة اسم هذه القرية والجاتهم الحيرة الى ان شرحوا هذه اللفظة من هذا البيت بضروب من الشرح ٠٠٠ الخ اه . قلت وقد أتي لي في خريف سنة ١٣٤٥ زيارة هذه البلدة البيزنطية التي ما برحت خراباً ياباً منذ الفتح الاسلامي على ما يظن وتجولت بين كنائسها السبع وأطلالها ورسومها التي ما برح بعضها ماثلاً وبعضها هدم وأصبح ركاماً أو طمرت تحت الرمال السافيات . ولما لم أجد في كتبنا العربية بحثاً عن الاندرين سوى ما نقلته آنفاً عن ياقوت وهو لا ينقع غلة من الناحية الاثرية رجعت الى كتب مستشرقى الافرنج فوجدت مونمارشه في دليله الازرق يقول :

الاندرين وكان اسمها قديماً Androna بليدة تمتد أحيائها ومبانيها في ساحة كبيرة لم يبق منها الآن سوى الانتقاض المركومة والاطلال المهذومة وجلها من الحجر الحري

وبعضها من الآجر المشوي . وهذه الأتقاض والأطلال تدل على ان الاندرين كانت بليدة بيزنطية مسورة لاتزال خططها ماثلة كما كانت حينما هجرها قاطنوها في عهد نظنه عهد الفتح العربي . وحينما يقترب السائح من هذه البليدة يرى أبنية تشبه الابراج شيدت بالحجارة الحرية السود تظهر منفردة أو مجتمعة في أحياء مختلفة ، وكانت هذه الأبراج في زوايا جدران المباني العظيمة التي أضحت أتقاضاً مراكومة . اما المباني التي لاتزال أتقاضها كثيرة فهي الشكنات وهذه جدران طوابقها السفلى ما برحت قائمة على انهار مدفونة تحت أتقاض الطوابق العليا ثم كنيسة عظيمة ولعلها الكاتدرائية ثم كنيسة في جنوبي البلدة يحيط بها جدار ثخين ثم خزان ماء جسيم . ولا يزال ثمة كميات عظيمة من أتقاض المباني التي شيدت بالآجر المشوي بصمب انجحت عنها وهناك كنيستات متجاورتان مخصصتان الى الملائكة العلويين وأخرى قرب الجدار الشرقي وواحدة أصغر في الجنوب الشرقي من الشكنات ومذبحان احدهما مربع الشكل كان له قبة والثاني كان مستطيلاً ، وتجاه الشكنات بناآن لم يشيدا على مخططات منتظمة احدهما تظهر فيه غرفة مدورة واخرى متطاولة منتهاها على شكل نصف دائرة مما يدل على انه كان حماماً . وثمة كثير من الخرائب وأتقاض الدور الخاصة كان معظمها على ما يظهر مبنياً حول فناء رحب ، وفي بعض هذه الأبنية أحواض محفورة . وثمة ايضاً طريقان احدهما من الشمال الى الجنوب والثاني من الشرق الى الغرب كانا يتقاطعان في منتصف هذه البلدة . وسور الاندرين لا يزال سالماً في كثير من الاماكن وتظهر منه أبراج مربعة عادية وأبراج مزواة . والسور مبني بالحجارة ضخمة مستطيلة الشكل وقد دعموه بعضائد في كل ٣ - ٤ أمتار .

والشكنات تؤلف سيف وسط المدينة بناءً مربع الشكل يبلغ طول احدى واجهاته ثمانين متراً تنم هيأته على انه مكان عسكري . ولهذا البناء مدخل واحد في الجهة الغربية وأبراج مزواة سداسية الاضلاع وأخرى مربعة في وسط الجهات الشمالية والغربية . وفي وسط الفناء الواسع في هذه الشكنة شيدت كنيسة ابعادها ٢٠ × ١٥ متراً . والكاتدرائية وهي كنيسة الاندرين العظمى موجودة في الجهة الجنوبية الغربية من الشكنة قرب المصلبة التي يلتقي فيها الشارعان الكبيران ، وأتقاضها الباقية تجملنا نضعها في مصاف النماذج المدرسية

للكنائس العظمى ، لها صحن متوسط عظيم منفصل عن الاجنحة الجانبية بثلاث أقواس
محمولة على عضادات متطاولة . والحنية ذات خمس نوافذ وقد هدم معظمها ولم يبق منها
الا جدار الشمامسة وجداران آخران مع قسم من الصحن الداخلي الذي كان بينهما . وأكثر
مباني الاندرين سلامة هي الكنيسة الجنوبية كان كلها مبنياً بالحجارة الا سقفها من الخشب ،
وما خلا ذلك كان حول الكنيسة سور خاص مبني بالحجر مع دعائم وأبرج مما يدل على
انها كانت كنيسة محصنة مشيدة وسط البلدة . ومراسم هذه الكنيسة يشبه الكاتدرائية
لولا ان انحاء الحنية لا يمكن ان يرى من الخارج وليس فيه سوى ثلاث نوافذ ولا تزال
الحنية قائمة مع الغرف الجانبية حتى الطابق الاول وكذلك دعائمها ، ولكن نصف القبة
قد زال بالكيفية ، اما القسم الاعظم من الجدار الشمالي فلا يزال سالماً وكذلك قسم من
الجنوبي والزوايا الغربية للصحن . والدعائم المتصالية في المنتهى الغربي لهذه الكنيسة
محفوظة لكن الجدار والابراج الغربية خربت بالكيفية ، وقد بنوا تجاه الغرفة الجانبية
الشمالية بناء لا يزال سالماً يظهر انه كان ضريحاً وخارج الكنيسة مستطيل اما داخلها
فعلى شكل الصليب .

وفي جنوبي الاندرين وخارج أسوارها خزان ماء مربع الشكل طول كل ضلع فيه
٦١ متراً مبني بالحجارة الجير بعضها ذو نقوش ورسوم رومانية ، وعمق الخزان لا يربو على
خمس الامتار ولعله كان يبلغ السبعة اذ كان مجده ، والقسم الأعلى من الكورنيش يؤلف
مشى عريضاً يدور حول الخزان كله وفي خارجه صف من الاحجار الضخمة مربعة الشكل
جعلت لمنع مياه السيول من النفوذ الى الخزان اه . قلت ويصل الماء الى هذا الخزان من
قناة عظمى قسمها القريب من الخزان ستر بالحجارة منحوتة ضخمة وهي تأتي من الجنوب الشرقي
من أراضي رسم بدعي أم أميال الشرقي عمرته من عيد قريب جالية من اسماعيلية القدموس
وتصل هذه القناة بأخرى ترد من ارض رسم آخر يدعى ابو الفر يقع في شمالي سعن
وسعين وربما بلغ طول القناة الاولى عشرة كيلومترات وفي شمالي الاندرين الى الغرب
خزان ثان لم يذكره مؤنمارشه تصل اليه الماء من قناة آتية من رسم المقطع الواقع بين
جنوبي الاندرين والغرب وتتصل هذه ابناً باخرى ترد من الغرب الى ضيعة تدعى التفاحة

وربما زاد طول القناتين على سبعة الكيلومترات .

والاندرين تتبع ناحية سميت باسمها من أعمال قضاء معرة النعمان المرتبط بولاية حلب . وقد كانت احد الحلبيين احي قبل الحرب العامة قسماً من ارضها الموات وبنى في شمالي الخربة حوشاً فيه قباب عديدة وشرع بالاستثمار الا ان شداً تلك الحرب الطاحنة وكثرة مرور غزاة البادية من هذه الربوع النائية اضطرته الى ترك العمل . وفي سنة ١٣٤٦ جاء أناس من نصيرية جبال اللاذقية وشرعوا باستثمار ارض الاندرين وفتح قنواتها وتنظيف دورها الخربة وتكبدوا اتعاباً وتنفقات جمة الا ان جشع ورثة ذلك الحلبي وتوالي سني المحل وفقدان المعونة فت في عضدهم فمادوا ادراجهم وهكذا ضاع الامل برجوع العمران الى هذه البلدة التي لم يزلت منذ اربعة عشر قرناً غاوية على عروشها ولا يعلم الا الله ما اذا كان يرجع اليها في المستقبل .

ويظهر انه كان في الاندرين كروم واسعة جيدة تنتج خموراً طيبة مشعشة تحمل الى الاقطار البعيدة ومنها الحجاز فيتغنى بها شعراؤه أمثال عمرو بن كلثوم في معلقته . ولا غرو فارض الاندرين المستوية الرملية الكلسية الصفراء صالحة لانبات الكروم وغيرها اذا توفرت لها مياه الري في مستهل حياتها او جاءها في كل عام مطر يزيد مجموعه على ما يهطل في عهدنا في هذه البراري النائية . فهل كانت هذه الشروط متوفرة حينما دعا العمران ورغد العيش لاشادة تلك الكنائس والتكنات والحمامات والابراج والقصور والدور والخزانات والقنى . . . وابن غاضت تلك المياه وكيف قل تهطل الامطار ، أيسكني استئصال الحراج وتجريد الجبال من نضرتها لحدوث هذا الشح في سماء الشام وتوالي اعوام المحل التي صرنا نشهدا في عهدنا ؟ تلك اسئلة محتاج الى كثير من التفكير لا يتسع المجال لخوضها .

ومن الغريب ان يخلط البستاني صاحب دائرة المعارف بين هذه الاندرين التي حقق باقوت موقعها بجلاء وبين اندرين أخرى خارج حدود الشام الشمالية كانت في عهد الترك مركز قضاء يتبع ولاية حلب وبقيت الآث في حوزتهم وان بنسب بيت عمرو بن كلثوم اليها .

وعما يجدر ذكره حول الاندرين اسرية — بكسر الالف والسين — وهي تبعد عن

الاندرين الى الشرق نحو ٣٥ كيلومتراً . وهي ايضاً قرية خراب ذكرها ياقوت انها
« موضع بين خناصره و سليه وتسميه العامة سورية » وصوابه ان يقول اسرية وقد أخطأ
ايضاً بظنه ان اسم سورية الذي كان يطلقه الروم على بلاد الشام خاص بهذه القرية . وفي
اسرية آبار يرتادها العربان في تشريقهم وتغريبهم واحلال لا يستهان بها وصفها مؤنثا رشه
في الدليل الازرق قائلاً : اسرية واسمها القديم (Seriane) تشرف على الطريق الآخذة
من الرصافة الى سليه . واپس ادل على مقدرة البشر على عمران بادية الشام من وجود المعبد
الروماني الجميل الموجود بين خرائب اسرية . فقد قام هذا المعبد فوق نشر ضمرت تحته
الانقاض المركومة لهذه البلدة ، في جداره الشرقي باب عريض عال غابة في الزخرف
له افير ذو زهور وزوافر على طرفي الاسكفة وفوق الباب قوس واسعة وهي مزخرفة ايضاً .
وفي كل من اطراف المدخل بناء مربع يشبه البرج ، فالذي على اليمين يحوي درجاً حلزونياً
يصل الى سقف المعبد ، والجدران الجانبية القوية في المعبد دعمت في الخارج بعمائد .
وطراز هذه المباني وزخارفها تدل على انها بنيت في القرن الثالث للميلاد ابام كانت بعلبك
في سؤودها اه . وثمة في شمالي اسرية بينها وبين جبل الشبيث الذي بناوح جبل الاحص
عين تدعى عين الزرقاء وبالقرب منها الحمام ، وقد ذكرهما ياقوت قائلاً : الزرقاء بين خناصره
وسورية (وصوابه ان يقول اسرية ولعل ذلك من خطأ النساخ) من اعمال حلب وسليه
وهي ركية عظيمة اذا وردها جميع العرب كفتهم وبالقرب منها موضع يقال له الحمام وهي
حمة حارة الماء اه .

« للبحث صلة » وصفي ذكرها



جامع التواريخ

— أو —

« نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة »

— ٩ —

حدثني ابي قال كان اول شيء قلدته القضاء بعسكر مكرم وتستر
وجنديسابور والسوس واعمال ذلك من قبل القاضي ابي جعفر احمد بن
اسحاق بن البهلول التنوخي وكنت في السنة الثانية (١) والثلاثين من عمري
وذلك في شهر احدى عشرة وثلاثمائة لان مولدي في ذي الحجة من سنة ثمان
وسبعين ومائتين فلما سلم اليّ ابي جعفر العهد وصاني بتقوى الله عز وجل
وباشياء من امور العمل وسياسة في الدنيا والدين وبامر جاريه ينجزه من
العامل هناك لانه كان مسبباً عليه فودعته ونهضت فقال اجلس فقد أنسيت
مهما فجلست فقال انك شاب وفضلك تام وعملك وافر وانك سترد على قوم
فيهم شر وسيجسدونك على فضلك أو يطلبون معايبك اذا حكمت عليهم
بالحق فلا يجدوا طريقاً الى الغض منك الا بنسبتك الى الحداثة وقلة حنكته
ولن تعد منهم ذلك فان صدقت تحققوا ما يريدون والكذب لا يجوز فاياك

(١) الصواب : الثالثة .

ان تخبر بسنك على حقيقتها ولكن اذا سئلت عنها فقل دون الاربعين سنة
فلو كانت عشرين أو أقل لكنت صادقاً في فرعك الى الاربعين ستر (١)
عليك لانها الاشد (٢) وحد المتكهل والحنكة فان بليت بمن يطول معك
فيقول دون الاربعين بكم؟ فقل لست اذكر وابق (٣) انك ليس تخبر ليقطع
الخطاب (٤) ويقع للسائل انك تامن (٥) حقيقة سنك قال فخرجت واتفق ان
شعرة واحدة ايضت في لحيتي في مسافة الطريق فلما دخلت الأهواز عملت
لاخراجها بالمشط الى حيث يلحقها النظر تجملاً بها واستقبلني محمد بن جعفر
ابن معدان الشاهد وكان يخلف ابا جعفر على الوقوف وقد كاتبه باعظامي
وتلقني فجاءني بركوب الى الشط وركبته الى دار اتخذت لي وكان يغشاني
في كل يوم فلما أردت الخروج الى عملي قال لي قد هالتي ما رأيت من فضل
انقاضي أيده الله فكم سنوه فذكرت وصية ابي (٦) فقلت دون الاربعين سنة
فقال دونها بكم فقلت لست اذكر فلم يشك اني ناس لتحققها فأمسك عني وهذا
ضد ما نشاهده الآن فاني قد رأيت بغداد قاضيين هاشميين خطيبين شاهدين
احدهما أجل وأنبه واليهما (٧) أعمال جليلة واحدهما قد تقلد من جهة الخليفة
جلائل الاعمال ووهل (٨) نفسه لقضاء القضاة وخطب ذلك فاتم له وهما
يخضبان لحيتيهما ظاهراً بالسواد واحدهما تترك ذلك قبل موته بسنين وهو

(١) لعله : فزعلك الى الاربعين ستراً عليك .

(٢) راجع كتاب الاضداد لمحمد بن بشار الانباري ص ١٤٤ (طبع لندن) .

(٣) لعله سقط : على . (٤) الاصل : الحساب . (٥) كذا بالاصل : والصواب

ناس . (٦) الصواب : ابي جعفر . (٧) لعل الصواب : اليه (٨) يريد : أهمل .

الادون محلاً والآخر باقٍ مقيم على الخضاب الى الآن ونسأل الله سترًا جميلاً
فان الخضاب وان كانت فيه روايات فانما يعذر فيه الجند والكتاب ومن لا يتصدى
للحكم والشهادة فاما من نصب نفسه فلا عذر له فيه .

حدثني ابو القاسم عبد الرحيم بن جعفر الفقيه المعروف بابن السماك
السيرافي قال كنت بمحضرة ابي بكر احمد بن علي بن شاهويه القاضي بارتجان
فتقدم اليه نفسان ادعى احدهما على الآخر الف درهم فسأله فأنكر فقال
المدعي لك بينة فقال لا ولكن استخلفني لي فقال للمدعي عليه أتحلف ؟ قال فقد
كان قدمني الى القاضي الذي كان قبلك واستخلفني له على هذه الدراهم فقال
المدعي ماتقول فقال نعم قد كان حلف لي كاذباً فقال انصرف فلا مطالبة لك
عليه فانصرفا ثم التفت اليّ والى ابي الوعد الفقيه على مذهبنا وجماعة من الفقهاء
كانوا قعوداً يعني مذهب ابي حنيفة (١) والجماعة حنفيون فقال أرايتم ان
ادعى هذا المدعي الألف انه قد حلفني (٢) للمدعي عليه واني ما حلفته وأردنا ان
نعرض اليمين عليه فذكر انه قد حلف على هذا المعنى ولم يزل ذلك يتردد بينهما
في دعوى كل واحد على صاحبه كيف تفصل الحكم بينهما؟ قال ففكرنا جميعاً
ساعة ثم جرى خوض لم يتقرر له معنى ولم يتضح لنا وجه الفتوى فقلت له ان
رأى القاضي ان يذكر ما عنده فقال : حكى لنا القاضي ابو طاهر الدباس عن

(١) الصواب : على مذهبنا يعني مذهب ابي حنيفة وجماعة من الفقهاء الخ .

(٢) كذا بالاصل .

ابي حازم القاضي في هذه المسألة بعينها انه قال : للحاكم ان يستحلف الذي ادعيت عليه الالف في الابتداء ان هذا المدعي عليك الالف درهم لم يستحلفك عليها عند حاكم آخر .

سئل بعض غلمان ابي الحسن الكرخي عن الدليل على تحليل التبيذ التمري المعمول بالداذي الشديد المسكر فقال قد وجدت الله تعالى لما وعدنا بالجنة ووصفها لنا أباح لنا في الدنيا من جنس ما وعدنا به فيها وحلل لنا تأويلها (١) لتعرف بذلك فضل ما وعدنا به في الجنة ودوام ذلك وانقطاع هذا فلما وعدنا بالخمر في الجنة وقد حرمها علينا في الدنيا ولا طريق الى علم (٢) لنحرص على الاعمال التي توجب دخول الجنة وشربها فيها فوجب ان يبيح لنا في الدنيا شيئاً من جنسها كهذا نستدل به على طيبها فكان التبيذ .

وكان قد سئل عن مثل هذا مرة أخرى فقال : ان الله تعالى خلق المنشور الذي ليس بخيري (٣) . والله لا يخلق ما لا فائدة فيه وليس فيما عدا الخيري من المنشور فائدة الا ان يشرب عليه التبيذ وكان يخرج هذا القول مخرج الجدل لمن يستضعفه ومخرج النزول (٤) مع أهل العلم . وأصحاب الحديث والحفاظ يقولون انه لم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث في تحريم التبيذ ولا في تحليله فذهب ابو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي في

(١) لم أجده لهذه الكلمة معنى مناسباً . (٢) لعله سقط : فظلمها .

(٣) الخيري هو المنشور الاصفر . (٤) لعله الهزل .

مسألة أملاها في تحليل النبذ مشهورة الى ان الاصل في الاشياء انها على الإباحة الى ان يثبت حظرها فلما كان العقل لا يدل على تحريم النبذ ولم ينقطع العذر عن تحريمه (١) وجب ان يكون على الاصل في الإباحة ثم نصر ذلك بأشياء أوردتها واعترض أدلة المحرمين له ويّئن فسادها وأورد زيادات على نفسه وانفصل عنها بما يطول شرحه ويخرج عما نحن فيه ان أوردناه .

حضرت مجلس ابي محمد المهلبى وكانت العامة ببغداد قد هاجت في بعض ايام وزارته وعظمت الفتنة وقبض على جماعة من العيارين وحملة السكاكين وجعلهم في زوارق مطبقة وحملهم الى يبرود وحبسهم هناك فاستهانوا بالقصة وكثف أمرهم وكثر كلام القصاص في الجوامع ورؤساء الصوفية فخاف على تجديد الفتنة فقبض على خلق منهم وحبسهم وأحضر ابا السائب القاسي (٢) القضاة اذذاك وجماعة من القضاة والشهود والفقهاء وكنت فيهم لمناظرتهم وأصحاب الشرط لنا من مضرتهم اذا قامت الحجج عليهم فاتفق ان بدىء برجل من رؤساء الصوفية يعرف بابي اسحاق بن ثابت ينزل يساب الشام احد الربانين (٣) عند اصحابه فقال له بلغني انك تقول في دعائك « يا واحدي بالتحقيق يا جاري اللصيق » فمن لا يعلم ان الله لا يجوز (ان) يوصف بانه لصيق على الحقيقة (فمن وصفه بذلك) فهو كافر لان الملاصقة من صفات الاجسام

(١) لعله : تحليله . (٢) كذا بالاصل .

(٣) الصواب : الربانين . وليراجع كشف المحجوب للهمجوري .

ومن جعل الله جسماً كافر فمن يكون محله في العلم هذا يتكلم على الناس
وقل لي مامعنى ما بلفني عنك انك تقول في جملة كلامك «أخذتني مني ولم تبقي
عليّ فيها انا بلا انا» حصلنا على انكم تهذوا (١) وتوهّموا الناس على انكم ربانين
وتستدعونهم بالجهالات الى الضلالات وتفتنون حضرة السلطان عليه
السياط يا غلام ، فلم يزل يسأل في أمره حتى كف عنه وكتب عليه ان
لا يتكلم على الناس ولا يخلق حلقة .

كان يجي بالبصرة الى معلمي معلم يكنى ابا الحسن وكنى نفسه بابي
البيان فسمعت معلمي يعاتبه على ذلك ويقول يا هذا غيرت كنيبتك وهي مقبولة
وكنية امير المؤمنين؟ فقال له يا باجعفر كم رأيت في عمرك من كنيته ابر الحسن؟
قال لا أحصي ، قال فهل رأيت ابا البيان غيري (قال لا) ، قال خذ يدك هذه
واحدة من فضائلها ، ومن ذلك اني اشتهر بها ولا أشارك فيها ، ومن فضائلها
يسقط عني التلقب وان يشتغل الناس بها عما سوى ذلك من عيوبني .
ورأيت يوماً عند معلمي في مكتبي وقد حضر وقتاً كان المعلم يأخذ
علينا (٢) الشعر وكان عادته ان يقيم الصبيان صفّاً فيطالبهم بانشاد القصيدة
فأقامهم في تلك العشية وقد حضر ابر البيان فقال له يا باجعفر ما هذا القريض؟
قال وكيف؟ قال ان لي عادة في سياسة الصبيان لأرخص لهم فيها . ان سألتني

(١) يظهر ان الوزير كلهم بلفغة العامة ولذلك لم نغير شيئاً من كلامه .

(٢) لعله سقط : فيه

عنك إياها فقال افعَلْ قال تقدّم الى صبيانك يتشاوروا أمري لأريك ذلك
فقال لهم ابوجعفر انظروا ما يأمركم به ابوالبيان فافعلوه . فأقبل عليهم يخاطبهم
في كلامه فقال : لكم أقول أيها الصبيان . ولن يجاوركم من الغلمان . الى حدود
الأحداث والفتيان . اسمعوا وعوا فمن خالف بعد البرهان . أنزلت به غليظ
الامتحان . تراصوا في صفوفكم . والزقوا أقدامكم وأقيموا الواحكم . واقبلوا
عليّ بالحفاظكم . واحضروا فيما ننشدون قلوبكم . وارفعوا أصواتكم .
وقولوا قول صبي واحد :

(قنّا نبك من ذكرى حبيب ومنزلي)

وصاح بالشعر مطرباً فما ملك الصبيان الضحك وضحك معي معهم
فقال يا جعفر انتراب والجندل بفيك وعلى رأسك والويل والويل محيطان بك
أتظن ان تعلم بهذه الحيلة ؟ حقت بك اللعنة والخيبة . أسبايك أفسدت . أمن
قدري بضحكتك وضعت ؟ ام يسترك عند هؤلاء الانكاد هتكت ؟ اشهد
الله لا أكلمك او تعتذر . وأخذ ابوجعفر يداريه ويعتذر اليه حتى رضي لوقته
وكان يقول الشعر وينشده اباجعفر دائماً وما حفظت منه شيئاً ولولا ان هذه
الألفاظ تعاودناها في المكتب ونحن صبيان لم تعلق بحفظي فلما ترعرعت
كتبتها في موضع وانسيتها ثم نقلتها منه الى هذا الموضع وبقيت عندي
الى الآن .

وسمعت وانا في انكساب انه جاء الى معلمي فاسلم اليه ابنه فقال له لم
نقلته من عند المعلم الاول ؟ قال لانني جزت به يوماً والصبيان يتشائمون وهو

لا يمنعهم بأكثر من ان يقول قيدوا الفاظكم خزي الله حرمانكم لانتشاتهم
يا بني البُطر واذا هو ليس بمنعم من سوء الأدب ويدخل في جملة المشومين
فنقلته .

حدثني عبد الله بن عمر بن الحارث قال كان ابي يكتب الى (١) الرقي
على اصل وقع اليه في ذلك وكان مما يكتبه رقية للراءة اذا خافت ان تسقط
ولدها وتعلق في وسطها فلا تسقط . قال وجربنا عليه ذلك على طول السنين فلم
يخطئ . يكتب بسم الله الرحمن الرحيم (ان الله يمسك السموات والارض أن
تزولا الآية) (وما قدر الله حق قدره الآية) (ونفخ في الصور فصعق من
في السموات والارض الا من شاء الله الى آخر السورة) (ومثلاً كلمة طيبة
كشجرة طيبة الآية) قال وكان يكتب رقية الآبق مارأيتها أخلفت
وهي ان تأخذ رقاً فتكتب فيه بسم الله الرحمن الرحيم : (وذا النون إذ ذهب
مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه - الى تنجي المؤمنين . أو كظلمات في بحر لجي -
يغشاه موج الى آخر قوله تعالى فماله من نور . فسأهم فكان من المدحفين .
فالتقمه الحوت وهو ملهم) أدركه بآيات الله يرده رب السموات والارض
فاجعل ما بينهما أضيق على فلان - يعني الآبق - من مسك حمل حتى نمكن
منه فانه من فضلك وعطائك . ويدفن الرق في عتبة باب . قال وكان يكتب
للرعاف في ورقة ويعلقه على جبهة المرعوف . بسم الله الرحمن الرحيم : (وقيل

يا أرض ابلعي ماءكِ ويا سماء اقلعي) الى قوله تعالى : (للقوم الظالمين . واذا
ذكرت ربك في القرآن وحدهُ وألوا على أدبارهم نفوراً) وكان يكتب
للخُراج على ورقة سلق وتوضع على الخُراج (ما أصابك من حسنة فمن الله
الآية) .

« للبحث صلة »



آراء وافكار

اثنا عشر كوكباً

رأيت في المحاضرة التي القاها الاستاذ المغربي باسم (اثنا عشر كوكباً) مواضع للتعليق
احبت ذكرها هنا قال :

الكوكب الخامس بوران الحلبية . والصواب كما هو في نسخة بخطوطه عندي من در الحبيب
لابن الحنيلي - بوران . وقد ذكر لها ابن الحنيلي بعد البيتين اللذين ذكرهما الاستاذ بيتين
آخرين وهما :

فقدت اخي وكان اخي وظهري	على الحدثان سماعاً لأمري
فان عجزت عن النذب القوافي	بعثت السمع نظماً غير ثري
وقال قبل ذلك : ومن شعرها ترثي اخويها العفيف الحسين والمحب عبد الباسط :	
يا بين بالغت في الاشجان والحن	وجلت فينا بمجد ليس بالحسن
اضرمت نار فؤادي والحشاء معاً	أوليتني في الوري حزناً على حزن
اغلقت باب علوم ثم باب هدى	أخذت مني محب الدين من وطني
قد مات في غربة والشام مسكنه	ياليتني قبل ذا ادرجت في كفني
وقد فقدت بعفيف الدين والاسني	فليت بعد عفيف الدين لم اكن
قد كان موت محب الدين نائبة	واطول حزني لذاك المنظر الحسن
الى ان قالت :	

واطول حزني وواو جدي ووا اسني فيم الاقامة بالشيباء لاسكني
ولعل هذه الأبيات لم يذكرها التجم الغزي في الكواكب السائرة ولذا لم ينقلها
الاستاذ المغربي .

وقال بعد ذلك الكوكب السابع فاطمة بنت قزمان . والصواب قريمان كما في التاريخ المتقدم وقوله كانت رئيسة للزاويتين العادلية والدجاجية الصواب الزجاجية بالزاي وهذه كانت مدرسة للشافعية وهي اول مدرسة بنيت في حلب وقد تكلت عليها في تاريخي (اعلام النبلاء) ومسميت بذلك لانها كانت في سوق الزجاجيين .

واستخذت هذه المدرسة خاناً يعرف بخنان (ابن مطاف) وشهرته بين الناس بخان الطاف وهو في محلة الجلاوم واذا دخلت الى هذا الخان ونظرت الى يمينك بعيد الباب تراءى لك آثار المدرسة .

ثم قال الكوكب الثاني عشر هو عائشة الباعونية الدمشقية وقد ذكر فيها ان عائشة لما وصلت الى القاهرة مع ابي الثناء محمود انزلها في داره ثم قدمها الى شيخ الادب السيد الشريف العباسي فأعجب بها وبعث اليها بقصيدة من بديع نظمه فاجابته بقصيدة مطلعها وافت تترجم الخ البيت .

وهنا نكتة لطيفة لعل النجم الغزي اغفلها ولذا لم يذكرها الاستاذ المغربي وهي تستفاد من عبارة الخبلي في در الحبيب وهي ان السيدة المشار اليها لما مدحت ابا الثناء بقصيدة مطلعها :

روى البحر اخبار العطا عن ندام ونشر الصبا عن مستطاب ثناكم
عرضها على شيخ الادباء في زمانه وامام البلغاء في اوانه الحبيب النيب الزين عبد الرحيم
ابن عبد الرحمن العباسي القاهري احد شيوخنا بالاجازة فبعث اليها بقصيدة من بديع نظمه
طالباً ان تحييت في الحال بلسان الارتجال فأثدت في الحال قاصدة للأمثال قصيدة
مطلعها :

وافت تترجم عن خبر هو البحر	بديعة زانها مع حسنها الخفر
ثم بعث اليها اخرى ملفزاً فيها فقال :	
قل لمن بالقريض بذ الفحولا	وانثى عن قصورهم مستطيلا
وارانا عرائس الثغر تجلى	بمعان اضحى علاها جليلا
رافلات من زاهيات المعاني	في مروط تجر فيها التديولا
مسفرات عن حسن معنى بديع	من سناء تبغي البدور الافولا

وتود الرياض ان لو اعيرت
كل طرف اذا تراجع منها
واذا ما ضلوا اللواحق غاذا
ما اسم شيء حروفه عاطلات
ولع القلب دائماً بثلاث
ولباقيه في الخواطر ود
واذا الحذف جال في طرفه
واذا ما استقل ثان بتاليه
واذا ما قلبته دون ترقه
واذا ما اعتبرته دون قلب
واذا ما عكست منه اخيراً
وهو وصف يخص من قد تعالى
واذا ما نقصته واحداً صا
مثل ما في العلا تصور فرداً
كاتب السر رقية الدهر تار
ذو السجايا التي تريك المزايا
دام في ظل نعمة وشفاء
فأجابه بقولها :

يا حبيباً قد حاز مجداً اثيلاً
واماماً فيما حوى لا يجارى
جئتنا بالعجاب نظماً تحلى
سافراً عن وجوه معجز لغز
قد سمعنا وما سمعنا لمعنى
وعلى كل حال فهو محمو
راقنا واسم كاتب السرفيه
وفخاراً بالمصطفى لن يحولا
في علوم جرت له التفضيلا
من لآلي البديع عقداً جميلاً
كل فكر اضحى لديه كميلاً
لغزك الفائق البديع مثيلاً
د صفات مكلاً تكميلاً
زاده رونقاً فاضحى جميلاً

سبداً كاملاً وجيهاً نبياً عالماً عاملاً عطوفاً وصولاً
 زاده الله رفعةً وحياه من جميل الهبات حفظاً جزيلاً
 وحى ذاته وابقى بقاءه في سرور ونعمة لن تزولاً
 ماسرت لسمه وفاح اريج وزها الروض بكرة واصيلاً
 ومدحها في قصيدة الجناب العالي عبد الرحيم العباسي فقال :

لهيئك مجد الخ . ثم قال :

فياروضة العلم التي يارت فضلها سقاك من الغيض البسيط مديد
 هذا هو الصواب في الشطرة الثانية لا كما جاء في المحاضرة وهي فيه (وليس من الفضل
 السري مديد) وهذا لا معنى له ولا يلتئم مع ما قبله وما بعده فاجابته الباعونية تقول (تساميت
 مرمى فاللحاق بعيد) انخ الايات التي اوردها له الاستاذ المغربي وبعدها :

فيا علماً في العلم اصبح مفرداً ومن هو في فن البديع وحيد
 وفاني تاهيل لما لست اهله وقد شملتني بالوفاء سمود
 تطولت احساناً بعز لوانجملت لحسان لم يبرح لمن بعيد
 ولوا بصر المعمار ما قد تأسست عليه لأضحى للثناء يشيد
 ولو شهد الوردى بهجة حسنها لشاهد عنها العجز وهو مجيد
 هذا آخر ما أورده لها الحنبلي في تاريخه ولم يذكر تاريخ وفاتها وليس في ترجمتها فيه
 أكثر مما نقله الاستاذ المغربي عن الكواكب السائرة .

حلب : محمد راغب الطباخ

الدرر الكامنة

« في أعيان المائة الثامنة »

كتاب الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة هو لابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ ١٤٤٨م وقد أخذ المستشرق الألماني الأستاذ فرينس كرنكو - أو سالم الكرنكوي كما يوقع على رسائله لي باللغة العربية - بطبعه في الهند .

وقد استعان الأستاذ علي طبعه بأصول أربعة مخطوطة لهذا الكتاب الأصل الأول نسخة قديمة له تشتمل على الجزء الأول بتمامه ومختصر الجزء الثاني^(١) وقد كُتب الأول في حياة المؤلف وفيه تصحيحات بخطه .

والأصل الثاني نسخة قديمة محفوظة في خزانة المتحف البريطاني في مجلدين هي الأصل الذي نسخت عنه نسخة دار الكتب المصرية .

والأصل الثالث نسخة مكتبة قينا بالنمسة حديثة العهد كثيرة الخطأ .

والأصل الرابع نسخة في مجلدين في خزانة دار حكومة الهند تحتوي الجلد الأول من النسخين الأولين وهذه أيضاً كثيرة الخطأ والمتبع لهذه الأوصاف يرى أن هذه الأصول الأربعة فيها بعض النقص سواء بوجود أجزاء مختصرة بينها أو بكثرة اغلاطها . وقد كانت يجدر بالأستاذ المباشر أن يضيف إلى الأصول المخطوطة نسخة المكتبة الظاهرية في دمشق لأن هذه النسخة على الرغم من إهمال قطبها ورداءة خطها هي من الأصول التي يصح الاستناد إليها فقد وصف الأستاذ محمد كرد علي في مجلته المقتبس^(٢) تلك النسخة ونقل عنها بعض التراجم وذكر أنها بخط إبراهيم البقاعي المتوفى سنة ٨٨٥هـ ١٤٨٠م وهو من معاصري المؤلف ومن الثقات الذين يعول عليهم .

وذكر ذلك أيضاً في كتابه المتمتع بخطط الشام^(٣)

(١) في كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون طبع القسطنطينية جزء ١ ص ٤٨٩

ان جلال الدين السيوطي اختصر كتاب الدرر الكامنة فتلل هذا الجزء المختصر له .

(٢) مجلة المقتبس ٥ ص ٦٢٦ .

(٣) خطط الشام ج ٦ ص ٢٠٧ .

ومما يهم الاطلاع عليه نقله عبارة البقاعي التي اختتم بها نسخته اذ قال :
 « قلت وكانت كتابتي فيه للنسخة الاولى في ربيع الآخر سنة ٨٥٥ وعسر عليّ قراءة
 كثير من النظم الذي في التراجم وغير ذلك ثم نقلته كذلك الى هنا والمرجو من فضل الله
 تعالى تحرير ذلك ومقابلته جميعه على الاصل المنقول منه ان تيسر أو يجرر ذلك من اصوله
 ان شاء الله تعالى وكان فراغي من هذه في ١٧ شوال سنة ٨٥٩ بمنزلي بجارة بهاء الدين
 في القاهرة اهـ »

ورداءة خط النسخة الدمشقية خدعت بعض العلماء فظنوا انها نسخة المؤلف فقد ذكر
 الاستاذ عيسى اسكندر معلوف في مجلة المقتطف ^(١) ذلك كما ذكره لي الاستاذ سعيد
 الكرمي .

اما ذيل الدرر الكامنة الذي عرض بذكره المؤلف وقال انه ألحق فيه الى سنة ٨٣٧
 ونقل عبارته الاستاذ كرنكو عن نسخة خزانة المتحف البريطانية فمسودته التي بخط المؤلف
 في الخزانة التيمورية التي اضيفت الى دار الكتب المصرية في القاهرة .
 ومن هذا الذيل نسخة في خزانة كتب شيخ الاسلام عارف حكمة في مدينة الرسول
 عليه الصلاة والسلام .

وانت ترى ان النسخة الدمشقية من الاصول التي تستحق الاهتمام لانها منسوخة بقلم
 احد معاصري المؤلف كما ان الذيل الموجود بالقاهرة هو مسودة المؤلف فلعل الناشر المجتهد
 العامل يحاول الانتفاع بهذين الاصلين لان الايدي لم تتداول الكتاب المطبوع الى
 الآن على الرغم من مباشرة طبعه منذ سنة ١٣٤٨ هـ ١٩٢٩ م .

عبد الله مخلص

—•••—

مطبوعات حديثة

—(«)—

كتاب الاكتفاء

« في منازل المصطفى والثلاثة الخلفاء »

للامام ابي الريع سليمان بن سالم المشهور بالكلاعي البلسي المتوفى سنة ٦٣٤ هـ
الجزء الاول ص ٤٠٤ . طبع بعناية الشيخ هنري ماسه بمطبعة جول كريونل
بالجزائر

طبت كلية الادب بجامعة الجزائر بضعة مجلدات عربية قديمة فبعناية العلامة الشيخ محمد
ابن ابي شنب نشرت ديوان علقمة بن عبده مع شرح الامام الشنتمري وديوان عمرو بن
الورد مع شرح ابن السكيت والجل للزجاجي . وبعناية الشيخ هنري بريس نشرت في
جزء من ديوان كُثير غزوة مع شرح مختار . وبعناية الاستاذ الشيخ هنري ماسه اجبت اليوم
هذا الكتاب الجليل وقد اعتمد في الطبع على نسختين في المكتبة الدولية بالجزائر وعارضه
على نسختين نفيستين في بعض المكاتب الخصوصية وقدم له مقدمة بالعربية مع ترجمة المؤلف
من مختلف المصادر . واعتمد المؤلف الاول في كتابه على الكتب المشهورة مثل سيرة ابن
هشام وطبقات ابن سعد ولكنه نقل نقولا كثيرة عن « مثل كتاب الواقدي وكتاب
الزبير بن ابي بكر القاضي وتاريخ ابي بكر بن ابي خيثمة وميز رحمه الله بين الفث والسمين »
واستوعب هذا الجزء نسب رسول الله واولية بيت الله الحرام ومن تولى بناءه وعرض
لذكر الحبشة ودخولهم اليمن ولحق عبدالمطلب زمزم وبنيان قريش الكعبة مع ذكر ما احدثوه
من المناسك وما حفظ عن الاحبار والرهبان والكهان من امر رسول الله ثم فصل في بيعته وفي
إسلام حمزة والمهجرة الى الحبشة . وطريقة المؤلف في تأليفه كطريقة ابن سعد وابن هشام .

وهو من اكبر بلغاء الاندلس على ما تجلى في ترجمته ، ومن مطالعة كتابه المفيد جداً في بابيه .
وقد عني زميلنا الناشر بتعجيجه حتى جاء من ام المطبوعات التي عني علماء المشرقيات
باحيائها من كتبنا . م . ك

ضحى الاسلام

« تأليف السيد احمد امين الجزء الاول طبع لجنة التأليف والنشر بالقاهرة »

« سنة ١٣٥١ - ١٩٣٣ ص ٤٠٨ »

تشر الاستاذ صاحب هذا التأليف « فجر الاسلام » بالامس واليوم بنشر « ضحى
الاسلام » وهو في الحياة الاجتماعية والثقافات المختلفة في العصر العباسي الاول اي الى
خلافة الواثق وقدم له الاستاذ الدكتور طه حسين مقدمة أبانت الغرض منه ودلت على
حسناته الكثيرة . وقد قارن فيه بين العهد الأموي والعهد العباسي في العلم وبجث في
سكان المملكة الاسلامية وعناصرها ومزاياها وهوائها ومختلف آدابها ، وفي ميزات المولدين
والتوليد العقلي والتوحيد بين العناصر والصراع بين العرب والموالي وتاريخ العصبية والنزعات
الشعرية والرقيق وأثره ، وحياة اللهو وحياة الجد والترف وتاريخه والزهد واسبابه ، والزندقة
والايمان ، والثقافة الفارسية وانتشارها في العرب والثقافة الهندية والثقافة اليونانية الرومانية ،
وما دخل في المجتمع العربي من آثارها بواسطة الكتب المترجمة وغيرها وما صار اليه العرب
بالثقافة العربية وادبها البدوي والحضري والجاهلي والاسلامي ، وما بقي من الثقافات الدينية
اليهودية والنصرانية في المملكة الاسلامية ، وكيف امتزجت الثقافات ومن هم المقدّمون
من المؤلفين والكاتبين الذين يعزى اليهم الفضل الاول في هذا التطور .

هذه أمهات ابواب الكتاب . وقد جود المؤلف في كل بحث منه ، فكان اماماً في
استقرائه واستنتاجه ، واماماً في جميل أسلوبه وحسن مأناه . وقل جداً في تأليف المعاصرين
ما كتب له الا يغال مع الاجادة الى هذا المدى البعيد . ذلك ان المؤلف قد خُصَّ بالصبر
على الاقتباس من مصنفات القدماء والمحدثين ، وعرف بالرفق في أحكامه على الموافق
والمخالف ، وقل من يضبط نفسه مثله ونادر من رزق مثله اعتدال دم عند مواجهة المصاحب

التاريخية والاجتماعية . واذا قلنا ان ضحى الاسلام كفجر الاسلام لا عيب فيهما من حيث
الوضع وعموم النفع لانكون الى الغلو . لا جرم ان جمهور المتأدين سيقعون في كتابي
الاستاذ احمد امين على اتقع تأليف جمع العلم القديم والأدب الجديد فعبد من المبرزين
بين حملة الافلام في هذا الموضوع الطريف .

م . ك

يقظة الاسلام والعرب

Eugène Jung : Le réveil de l'Islam et des Arabes 1933

مؤلف هذا الكتاب مشهور بابحاثه السياسية في الاسلام والمسلمين ، وهذا آخر كتبه
تكلم فيه على المؤتمر الاسلامي ومقرراته في القدس وعلى المسلمين في شمالي افريقية وعلى
المطامع الاستعمارية وعلى المشاكل التي عرضت للاستعمار وكاد يتأقن انقاؤها لو جرى
المستعمرون على قواعد الانصاف . وللمؤلف صلات حب ووحدة فكر مع رجال الاسلام
ولا سيما مع الاستاذين محمود بك سالم والامير شكيب ارسلات وقد استشهد باقوالها
ودافع عن منازعها ومنازع زعماء المسلمين خير دفاع ، وما قاله ان عدد المسلمين في اوربا
يلف ثلاثين مليوناً منهم عشرون في روسيا الاوربية (٢٦ مليوناً في روسيا الآسيوية) .
ومليونان ونصف مليون في يوغوسلافيا ونصف مليون في بلغاريا و ٩٠٠ الف في البانيا
و ١٠٠ الف في اليونان و ٦٠٠ الف في رومانيا و ٢٠ الف في بولونيا وليتوانيا و ٥٠٠ الف في
المجر او هنغاريا ، وما قاله وهو دليل على إعجابه بالمدينة الاسلامية ان العرب على ما يظهر
جد محقوقين ان كانوا كلهم مسلمين الا قليلاً وبهذا السبب نالهم من الاضطهاد الحقيقي
ظاهراً وباطناً ما نالهم ، على حين كان لهم ماضٍ يحق لهم ان يُعجبوا به : ماضٍ حربي اولاً
ثم ماضٍ في العلم العالي والصنائع والرفاهية مما اتخذته اوربا في القرون الوسطى وكانت
نصف متوحشة — دعامة لقيام المدينة الحديثة . ولعله يقال ان الاوربيين لا يستطيعون
ان يغفروا لاساتذتنا غلظهم فيما لقنوه من المعارف . وقال ايضاً : ليت شعري هل القوة
الاجتماعية في الاسلام هي التي تُقلقُ اوربا ودولها العظمى ؟ ربما كان ذلك لان تعاليم
الاسلام حرة فهي لا تقول بالطبقات والامتيازات ولا تدعو الى الفتن على ما كانت من

الكنائس النصرانية وليس في مطاويها شيء من الرياء السيامي الذي تنقاد اليه بعض الحكومات ، وشعار المسلمين الجميل تقرب القلوب والأرواح وهي مرحلة انتقال الى السلام العام وهذا ما يراد ولا شك القضاء عليه وما مصير من يعمل ذلك الا الخيبة اه .
فتثني على المؤلف بما هو أهله لعمه وتجاربه وجميل أدبه ولطيف نصحه لنفع الناس وأهل الاسلام وأهل المدينة الحديثة خاصة .
م . ك

التربية عند العرب

« تأليف السيد خليل طوطح طبع في المطبعة التجارية بالقدس ص ١٧٥ »

المؤلف من رجال التربية والتعليم في فلسطين قسم كتابه الى فصول تكلم فيها على المدارس عند العرب قديماً بنشأة القراءة والكتابة في الاسلام وتعليم القرآن والتعليم في العصرين الأموي والعباسي وأنواع المعاهد العلمية والكتاتيب والجوامع ومجالس العلم والأدب وبيوت الحكمة في بغداد والفسطاط . وفاته الكلام على دار العلم ودار الحكمة في طرابلس وقد جددتها جلال الملك القاضي ابن عمار (٤٧٢ هـ) فنشرت العلوم والآداب وأصبحت بها طرابلس مباءة علم ودرس وجهز هذه الجامعة بمائة ألف مجلد بحيث أصبحت الفيحاء أول بلدة علمية في الشام على ما قاله الاستاذ فان برشم (خطط الشام مجلد ٤ ص ٣٨) .
وتكلم على المدارس الجامعة كالنظامية في بغداد وزعم انها كانت لنشر مذهب السنة فقط ولم يتكلم على المستنصرية ، وأفاض في الكلام على مناهج التعليم والأوقاف والعلمين وترانيبهم وأساليب تدريسهم وفلسفة التربية عندهم وكتب التربية وعدد ما عرفه منها .
وأدمج فيها كتاب الدارس لابن جني ومختصره للنعماني وكان الأولى ان يعدا في كتب الخطط والبلدان وذكر عيوب التربية وحسناتها عند العرب وأورد قائمة غير تامة من أسماء المدارس في بغداد والقاهرة ودمشق والقدس وغيرها . وبالحذا لو رجع الى ما نشرناه من أسمائها في الجزء السادس من خطط الشام فانه كانت أكثر تحقيقاً رجعنا في تصحيحها الى العارفين وأخذنا عن أمهات معتبرة فيها شيء كثير مما يدخل في تاريخ التربية العربية .
والكتاب مكتوب بأسلوب طلي جلي رجع المؤلف في وضعه الى الأمهات العربية وبعض

المصادر الافرنيجية . فله الشكر على هذه التحفة الأديبة ونهشته بتوفيقه الى وضع ما وضع
ونرجو له ان يظل يتحف العالم بهذه النفثات الطيبة .
م . ك

منهى آمال الخطباء

« تأليف الشيخ مصطفى أبوسيف الحماني طبع بمصر سنة ١٣٥١ هـ »

هو ديوان خطب كبير ، مؤلف من نيف ومائتي خطبة مشكولة ، مشتمل على أكثر
من خمسمائة صفحة ، استعمله مؤلفه بمقدمة مفيدة في موضوعه ، ولكنه التزم السجع وراعى
القواصل في جميع خطبه ، فكل واحدة منهن مركبة من ثلاث فقرات متتالة في الحرف
الأخير ، والفقرة الرابعة لها فاصلة أخرى متتالة في الحرف الأخير ايضاً ، على انه سليم
من التصلف ، خال من التكرار في غير فائدة ، فهو من نوع السجع البدعي المقبول ،
وخطبه جامعة بين القديم والحديث .

ولم يسلم هذا الديوان - على حسنه - من هنات رأينا ان نشير الى بعضها كقوله
(ص ٢) ليس فقط باللسان ، وكرر هذا الأسلوب ، وصوابه تأخير كلمة (فقط) فيها كلها .
وكتوله (ص ١٠٤) : فضل الناس على بعضهم وكرر هذا التعبير ايضاً ، والصواب ان
يقول : بعضهم على بعض وكذا الباقي .

ومن الخفوات الشديدة ما ذكره في الخطبة (٦٧) من نداء الاولياء في الشدائد قال :
« ولا لوم عليك اذا ناديت اي ولي عند حلول كثرة من كوارث الأزمان » وكان يجب
على المؤلف ان يعمل بما أورده في ديوانه من حديث « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين
المهدين من بعدي » الخ . وقد تناظر الصحابة بعد وفاة النبي (ص) في أمر الخلافة وفي
جمع القرآن ، وفي المعارك الدامية كوقعة الجمل وصفين والنهروان والحرة ، وتناظر
الشيخان في قتال مانعي الزكاة وفي إرسال جيش أسامة ، ولم ينفيوا به في هذه الشدائد ،
ولا استفتوه في شيء منها ، وكل هذا معلوم من الدين والتاريخ بالضرورة ، ومن العتل
والخس والوجدان بالبداهة ، فيجب رد ما يتجدد من الوقائع والحوادث الى الوحي المنزل ،
وما عرف من سنن الصدر الاول للاسلام .
محمد بحجة الينطار

هندسة العمارة

« للسيد عبد المنعم عرفة الجزء الاول طبع بالمطبعة المصرية بالقاهرة »

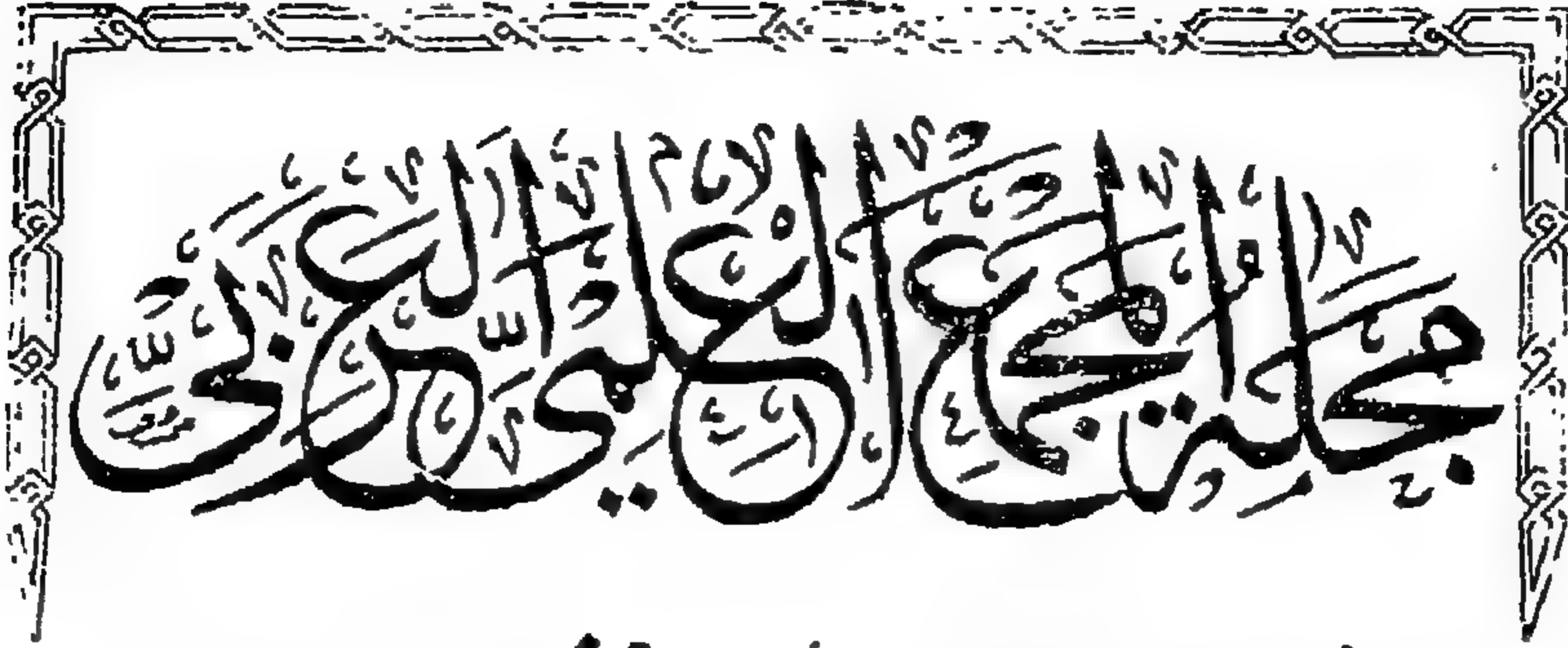
يغلب على الظن ان كتاب هندسة العمارة لمؤلفه الاستاذ عبد المنعم عرفة هو الاول من نوعه في اللغة العربية وقد قسمه الى اربعة اقسام عدد بصورة واضحة أنواع مواد البناء والصفات والتميزات التي تتطلبها الفن المعماري كما عدد الشرائط الواجب اتباعها في استعمال هذه المواد . وقد عين المؤلف في بحث تصميم الدور الحد الأدنى للأبعاد الممكنة للثنايف المنزلية كالمطبخ والحمامات الخ وعني ايضاً بوضع بعض مصورات لمنازل متنوعة مؤلفة من دور الى ثلاثة أدوار ومنها (القيلات) .

أما ما يتعلق بالمواد الأولية فمنها ما هو عام مثل الاسمنت وغيره ومنها ما هو خاص بالقطر المصري مثل أحجار المقالع المصرية وكذلك الشرائط فهي الشرائط العامة المتبعة في بلدات أغلب الحكومات ووزاراتها وهو ما يدعونه (بدقر الشروط Cahier des charges) اما المقاسات والابعاد فقد وضع لها المؤلف الحد الأدنى المتبع في البلاد الاوربية وهذا قليل بالنسبة لبلاد مصر والشام . اما مصورات تصميم البناء فهي من الطراز الاوربي الحديث في مقطعها الأفقي وفي واجهاتها وهذا الطراز يلاقي الآن في بلادنا رواجاً لا بأس به وكان من الأوفق ان يقدم لنا المؤلف في هذا الكتاب الوحيد في باب (واجهات) من الطراز الشرقي ممزوجة بشيء من الطراز الحديث ليسعى لاجاء البناء الشرقي القديم وإعادة مجده الغابر .

دمشق : المهندس

مختار دياب





النشئة سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تشرى ومشتى مرة في الشهر

أيار وحزيران سنة ١٩٣٥ م

الموافق صفر وريبع الاول سنة ١٣٥٤ هـ

دمشق :
المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ٢٥٠ قرشاً سورياً
الدفع مقدماً { وفي جميع الاقطار ٦٠ فرنكاً

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

في الداخل ٥٠٠ من السنة الاولى الى السادسة الى كل سنة منها

≈ ٣٠٠ ≈ السابعة الى الثانية عشرة ≈

≈ ٦٠٠ ≈ في الخارج الاولى الى السادسة ≈

≈ ٣٥٠ ≈ السابعة الى الثانية عشرة ≈

استئناف العمل

باسم الله نستأنف العمل في هذه المجلة بعدما اضطررنا إلى وقفها أربعة وعشرين شهراً (من أول أيار سنة ١٩٣٣ إلى آخر نيسان سنة ١٩٣٥) ، فالأعداد الثمانية التي سنصدرها في هذه السنة (١٩٣٥) تقع متحمة لأربعة الاجزاء التي سبق إصدارها في أول سنة ١٩٣٣ م ، فباعتبار عنوان المجلد يكون مجلد هذه السنة موسوماً بالثالث عشر على نسق المجلدات التي قبله وباعتبار تاريخ السنين تكون أربعة أجزاءه الأولى مؤرخة في سنة ١٩٣٣ م وثمانية أجزاءه التالية مؤرخة في سنة ١٩٣٥ م

شرحنا هذا كي لا يهيم القاري مذيروى هذا الجزء متصلاً بالذي قبله من حيث وحدة المجلد ونسق عدد الاجزاء وتاريخ الشهور ، ومنفصلاً عنه من حيث تاريخ السنين : فتاريخ هذا الجزء ١٩٣٥ م يينا تاريخ الجزء الذي قبله ١٩٣٣ م

وبين التاريخين أربعة وعشرون شهراً انقضت في إشفاق على المجمع لا ينسى ، وشوق إلى مجلته لا يحصى ، وسمي في حياته لا ينفد ، واهتمام بشأنه من ولاية الامور لا ينكر . بل يحمد ويشكر ، حتى تم لهم ما أرادوا من ثيبته ، وتعديل في بعض أوضاعه ، وتنظيم ميزانية له تكفل (على قلتها) بقاءه ،

ودوام الانتفاع به ، ريثما يتسنى لهم توفير المال المخصص له ، وتوسيع دائرة عمله بإضافة آخرين إلى موظفيه العاملين .

وكان مما ارتأته الحكومة أن عهدت اليوم برئاسة المجمع إلى كاتب هذه السطور ، وبكتابة مره إلى الاستاذ عز الدين علم الدين أحد أعضائه المؤسسين ، كما أنها في خلال هذه المدة ألقت لجنة لاستقراء (جرد) ما في (الدار الظاهرية) و (دار المجمع) من الكتب والاسفار ، وتقصى التقيب فيها خشية أن يكون فقد من مخطوطاتها شيء كما كان أشيع في بعض الصحف ؛ لكن اللجنة لم تجد - والحمد لله - في الكتب المخطوطة نقصاً ، ولا في الإدارة إخلالاً ، اللهم الا إهمالاً طفيفاً في بعض نواحي الأعمال التنظيمية ، رأت وزارة المعارف على أثره أن تحدث بعض التغيير والتبديل في موظفي دار الكتب ففعلت .

وهكذا عاد العمل في المجمع ودار الكتب إلى سابق عهده ، ووجهة قصده ، وراجع نفوس محبيهما شيء يقال له الإطمئنان ، « وكان ما قد كان لم يك كان » .

رئيس المجمع العلمي العربي

عبد القادر المغربي

مجمع اللغة العربية الملكي



جرت في خلال تعطيل المجلة أحداث علمية وأدبية ولغوية ذات بال فالتنا تدوينها والتعليق عليها ، ومن أهمها إنشاء مجمع اللغة المصري . وقد لافذر اليوم اذا أغلنا ذكره ولم ندون في المجلة خبره ، وهو أخو مجمنا العلمي الدمشقي الذي يحق له أن يقول فيه ما قاله موسى في هرون : « هرون أخى ، أشد دى به أزرى ، وأشر كندى في أمرى » .

إنه من يوم أن اسنقلت البلاد العربية عن حكومة الاتراك وأخذ العرب في ممارسة شئونهم الادارية والعلمية ، والاضطلاع بسائر مسافق حياتهم القومية والاجتماعية شعروا بالحاجة الى اصطلاحات وأوضاع جديدة يستخرجونها من معاجم لغتهم كي تحل محل الاصطلاحات الاعجمية المنبثة في لغة الدواوين ولغة التعليم والتصنيف وسائر نواحي الحياة العربية . على أنهم ما داموا اليوم عيالا في الفنون الحديثة على اوروبا فانه لا يمكن أن تقام سدود دون تسرب اصطلاحات تلك الفنون وأوضاعها الفنية الى لغتهم . وان قبول هذه الاصطلاحات على علائها وتركها تسرح وتمرح في جو اللغة العربية يفسدها ويعرضها للفناء ، وهذا لا يتفق مع الاستقلال الذي بذل العرب مجهودهم للحصول عليه ، إذ أن اول حجر في بناء استقلال الامم انما هو استقلال لغاتها .

شعر بهذا رجال الحكومة الفيصلية فأنشأوا في أواخر سنة ١٩١٨م لجنة علمية باسم (الشعبة الاولى للترجمة والتأليف) ثم تحولت هذه الشعبة الى مجمع أطلقت عليه الحكومة اسم (المجمع العلمي العربي) وكان ذلك في ٨ حزيران سنة ١٩١٩م حتى جاءت حكومة الانتداب الافرنسية فأبدت الحكومة الفيصلية في العناية بهذا المجمع وتثبيت الران خطوطه الابتدائية ، وقد قالت في المادة الاولى من القرار الذي أصدرته سنة ١٩٢٨م ما نصه :

« L'académie Arabe est une société savante ayant pour rôle »
« la conservation et le perfectionnement de la langue arabe , »
« les recherches érudites d'histoire de la Syrie et de la langue »
« arabe. »

وترجمة ذلك :

« ان المجمع العلمي العربي هو جمعية علماء اخذت على عاتقها المحافظة على »
« سلامة اللغة العربية ونشر بحوث واسعة في تاريخ سوريا وفي تاريخ اللغة العربية »
وقد بذل المجمع العلمي في القيام بوظيفته هذه جهد طاقته وظهرت آثار مجهوده او
إنتاجه في مجلته ومحاضراته وغير ذلك من أعماله التي استغرقت الى اليوم نحو سبعة عشر
عاماً ، وكلما زاد طولاً في العمر ازدادت الحكومة حرصاً عليه والامة رغبة في بقائه .
وبما حاج هذه الرغبة ان بجامع علمية أخرى كانت تنشأ في البلاد العربية المجاورة على
مثال مجمع دمشق من حيث وحدة الغاية في المحافظة على سلامة اللغة ؛ لكنها ما كانت
تنهض حتى بلحقها الوني والفتور ، وحتى تقصر يثاتها عن موانئها وإرفادها بأسباب القوة
والحياة .

على أن الحاجة الى إنشاء مجمع لغوي يحافظ على سلامة اللغة العربية هي والحق يقال
فكرة مصرية كانت تخرج في صدور فضلاء مصر وتشرئب على ألسنتهم منذ سنين
طويلة ، وقد تلقفناها نحن منهم وسبقناهم الى تكوئنها أو تجسيدها . وكنا في هذا السبق
مفرين لم ، مشيرين لنار حميتهم ، فأنشأوا مجتمعهم الجديد على هذا الأساس المتين ، وأبرزوه
في هذا المثال الاثني .

ولا غرو فان جلالة ملكهم فؤاد الاول حفظه الله أعلم ملوك العرب بخطورة امر
المجامع اللغوية ، وعظم فائدتها ، وشدة حاجة الامة العربية اليها . كما أنه رعا الله
أقدرهم على إنشائها وإمدادها بالمال الكافي الذي يمكنها من انقار عملها وإيتاء أكملها .
ففي ١٣ كانون أول سنة ١٩٣٢ م صدر مرسوم^(١) بجلالته القاضي بإنشاء مجمع لغوي
باسم (مجمع اللغة العربية الملكي) وقد جاء في مادته الثانية بيان لاغراضه وهي تلخص :
بالمحافظة على سلامة اللغة العربية ، وجعلها وافية بمطالب العلوم العصرية وحاجات الحياة

(١) راجع نص هذا المرسوم في ص ١٢٠ من هذا المجلد

الحاضرة ، ووضع معجم تاريخي للغة العربية ، وبحوث في تاريخ بعض كلماتها ، ودراسات في اللهجات العربية المختلفة .

هذه هي امهات اغراض مجمع مصر وهي اغراض مجمع دمشق التي ذكرت بجملة في المادة الاولى من قرار انشائه كما ذكرنا آنفاً .

وبما يشد أواصر الاخوة بين مجمع مصر ومجمع دمشق عما ذكر ان نحو نصف اعضائه هم اعضاء في المجمع العلمي الدمشقي :

ففيهم الاساتذة محمد كرد علي (عن سورية) والمعلوف (عن لبنان) والابانثاس (عن العراق) وحسن حسني عبد الوهاب (عن تونس) والاسكندري ومحمد الخضر (عن مصر) وماصينيون (عن فرنسا) ونالينو (عن ايطاليا) وكاتب هذه السطور (المغربي) ، وكلهم اعضاء في مجمعنا الدمشقي .

والباقون احد عشر اساتذاً ودكتوراً : معالي توفيق رفعت وحاييم ناحوم وحسين والي وفارس نمر ومنصور فهمي وابراهيم حمروش وأحمد العوامري وعلي الجارم (هؤلاء عن مصر أيضاً) وجب (عن انكلترا) وليشر و ليتان (كلاهما عن ألمانيا) فالمجموع عشرون عضواً : عشرة مصريون وخمسة شرقيون وخمسة مستشرقون .

تتألف اللغات والدين والما
دات منهم والزي والاسماء
الفتهم مع التباعد نعا
وك حتى كأنهم خلطاء

وقد كثر التساؤل عما هي الفائدة من وجود مستشرقين في مجمع عربي امان نحن انقد لمنا
الفائدة لمسا في ناحيتين من نواحي اعمال المجمع

(الناحية الاولى) تنظيم اعمال المجمع وخاصة الاعمال التمهيدية لوضع المعجم من مثل طريقة تدوين الكلمات وترتيبها واصطناع خزائن وتنظيم جزازات الخ . .
(والناحية الثانية) تحديد معاني الكلمات الفنية حسب تفسيرها في معاجم اللغات الاوربية المختلفة .

فتنظيم الاعمال وتحديد معاني الاوضاع التي تبث في تربة اوربا مما فائدتان بقدرهما
كل منصف قدرهما . عدا الفوائد المعنوية التي لا تنقص عن تبتك القائدين .
وللمجمع دورة في كل سنة تكون في الشتاء او الربيع ، ومدة الدورة شهر واحد

تمقد فيه عشرون جلسة على الاقل الا في السنتين الاوليين ، فيجوز ان تقع في كل منهما دورتان . وقد وقعتا بالفعل في السنتين الاوليين من سني المجمع وانهقد في كل من الدورتين خمس وثلاثون جلسة .

وقد ألف المجمع لجانا للنظر في بحوثه واعماله المختلفة وتهيئة المواد اللازمة للمجمع ولذا كرات الجلسات العامة : من ذلك لجنة الاصول العامة ولجنة المعجم ولجنة المجلة ولجنة وضع الفاظ عربية تسد مسد الالفاظ الاعجمية ولجنة اللهجات وغير ذلك من اللجان . وقد اصدر المجمع مجلة بل سرفراً وقع في نحو ٤٠٠ صفحة ضمنه المراسيم والقرارات المتعلقة بتأسيسه وطائفة كبيرة من اعمال لجانه التمهيدية في وضع الالفاظ والاصطلاحات ومقالات لبعض اعضائه وغيرهم ، وسيصدر سرفراً آخر في هذا الحجم او اقل منه يتضمن اعمال الدورة المزدوجة الثانية التي انهقدت في شتاء عام ١٩٣٥ م ثم ان اعمال المجمع في الدورتين المذكورتين كانت تدور حول ثلاثة مطالب او اقطاب كبرى :

(١) وضع معجم . وقد مهد له في الدورة الاولى (شتاء عام ١٩٣٤) تمهيداً ثم مشى في الدورة الثانية خطوات واسعة في اماكن كان مهده من قبل : فشرح في تبويب كلمات الفنون وتهيئة جزايات لها واصطناع خزائن خشبية ذات طويقات او غيون تسهل ترتيب تلك الجزايات كما اشرنا آنفاً الى أن ذلك مما به اليه الزملاء المستشرقون .

(٢) وضع الفاظ عربية للاصطلاحات العلمية والفنية وقبول كلمات اعجمية او مولدة اشتهر استعمالها في هذه الاصطلاحات مراعياء في ذلك الاصلين اللذين وضعهما للمعرب والمولد ، ولا يخفى ان هذه الاوضاع الجديدة هي المادة التي يتغذى بها المعجم الجديد كما يتغذى بالالفاظ العربية القديمة .

(٣) تقرير اصول عامة تساعد على الوضع والتعريب كما تسهل للغة العربية وتعلمها والكتابة فيها على ابنائها وغيرهم .

هذه هي الاقطاب او المحاور الكبرى التي دار حولها البحث والجهد في جلسات المجمع في دورتيه السابقتين ، وقد ظهر أثر جهوده هذه في الجزء الاول الذي أصدره من مجلته ، بحيث تلقى فضلاء البلاد العربية هذا الجزء برضى وارتياح لما تضمنه من البحوث

المفيدة ولا سيما بحث الاصول العامة التي قررها المجمع : فإني سمعت ثناء عليها من افواه كثير من الفضلاء وخاصة اساتذة العربية في المدارس عندما كتبه النقاد في الصحف من الثناء على تلك الاصول وتمني الاستكثار منها .

اما الالفاظ الجديدة التي وضعها المجمع ونشرها في مجلته وهي زهاء خمسمائة كلمة فقد كان القراء ازاءها فريقين فريق عاذل وآخر عاذر

ويرجع العذل الى ان كثيراً من تلك الكلمات لسنا في حاجة اليه من حيث قبح لفظه او من حيث إمكان الاستغناء عنه بما هو احسن من الكلمات القاموسية او بما هو أبقى من الكلمات المستعملة في لغة العلم او لغة التخاطب وامثلة ذلك في كلمات مجلة المجمع كثيرة . اشتهر منها على السنة النقاد العاذلين كلمة (إرزيز) التي اريد استعمالها للتلفون وأصل معنى (الارزيز) الندي الصوت أي الطويلة او البعيدة فقالوا إنه لا ينبغي قبولها لقبح لفظها او لأن في الكلمات العربية الموضوعة حديثاً ما يقوم مقامها مثل كلمتي المسرة والمهاتف وإن في العدول عنهما الى كلمة (إرزيز) تكليف ما لا يطاق وينشدون :

(إنك انت كلفتني مالم اطلق ساءك ماسرك مني من خالي)

ومثل (إرزيز) كلمات آخر .

ثم ان هؤلاء العاذلين — لما علموا ان المجمع إنما نشر هذه الالفاظ لغرض اطلاع أهل الفضل عايتها او لغرض عرضها على اعضاء المجمع في جلساته المقبلة العامة فينقدونها ويميزون غشها من صميمها وقد فعلوا ذلك في جلسات الدورة الثانية — لما علم العاذلون ذلك حَقَّقُوا لومهم وعادوا الى الرضى ؛ لكنهم تمنوا لو ان المجمع نشر تلك الكلمات في مجلته تحت عنوان واضح مثل ان يقال : (القسم غير الرسمي وهو يتضمن الكلمات التي يعرضها الاعضاء او غيرهم مقترحين على المجمع النظر فيها واختيار ما هو الأنسب منها)

وهذا ما حمل كتابته مرة المجمع على نشر بيان في الصحف اشارت فيه الى الغرض من نشر تلك الكلمات في المجلة وان المجمع سيستدرك مواضع النقد في جزئها الثاني . وهذا نص ما جاء في البيان المذكور بعد حذف فاتحته وخاتمته :

(درس المجمع في هذا الدور ما يقرب من خمسمائة كلمة ، في الشؤون العامة وفي علوم الاحياء والطب ، وفي العلوم الطبيعية والكيميائية ، قدمها اليه اعضاؤه وغيرهم ، بما

عرض أكثره في الجزء الأول من مجلة المجمع ليكون مادة من مواد مدارساته في تلك الدورة . وأقر منها ما اتفقت عليه نصوص كتب اللغة والمطان وعدل كثيراً من الألفاظ ، فوضع لها أوضاعاً جديدة أكثر موافقة للنصوص اللغوية ، وأتم ملاءمة للذوق والاستعمال .

وان المجمع - وكل أعضائه يقدرون أمانة العلم وما تتطلبه من التنقيب وتقليب الأمور على وجوهها في صبر وإناة - يرى أن تصدر عنه هذه الكلمات في الجزء الثاني من مجلته ، حتى إذا أبدى أرباب الاختصاص والدراسة ملاحظات صائبة بشأنها ، كان في ذلك ما يشجع المجمع على أن يقرر صحة استعمال هذه الكلمات فيما وضعت له .

وجلي أن مسلك المجمع في انتهاج النقصي والتحجيص أولاً ، ثم في التريث والائانة لا شتراك أهل الرأي ثانياً ، ثم في انساح الزمن للوصول إلى أحسن نتيجة يتلقاها ثالثاً ، مما يدل على التزام أعضائه ما يقضيه العلم من الأمانة والتعاون والتواضع .

ولقد بحث الجميع في هذه الدورة كذلك بعض أصول لغوية عامة يؤدي بحثها إلى تفسير اللغة دون خروج على أصول قواعدها . ومن أهم هذه القرارات ما يأتي :

١ - قرار بشكلة مادة لغوية ثبت أصلها أو بعض فروعها في اللغة

٢ - قرار النسبة إلى جمع التكسير

٣ - قرار في قياس (مفعلة) لما يكسر الشيء فيه

٤ - قرار لصوغ صيغة (فعال) للبالغة من الفعل اللازم والمتعدي

ومشتر هذه القرارات وأمثالها مع شواهدا واحتجاج لها في الجزء الثاني من مجلة المجمع الذي يظهر أن شاء الله قريباً .

وان لجنة المجلة جرياً على مألوفها لترحب بكل ما يرغب العلماء في نشره فيها من البحوث المتصلة بأغراض المجمع .

وكذلك شرع المجمع في وضع نظام محكم لتدوين المصطلحات تمهيداً لما يوضع من المعجمات وهو آخذ في السعي إلى اقتناء ثمرات الجهود التي تضجت في خدمة اللغة العربية من عكفوا على دراستها من العلماء ، وذلك لتكوين دار المجمع غنية بالمواد الصالحة لبحث الباحثين وتحقيق المحققين اهـ)

والحاصل ان جمهور القراء مرتاحون الى اعمال المجمع من حيث (وضع المعجم)
(تقرير الاصول العامة) لكنهم ارتابوا قليلا من حيث طريقة اختيار الالفاظ والاضاع
الجديدة وتمنوا ان يكون المجمع اكثر تسامحا وتساهلا في قبول ما اشهر من الكلمات
الشائعة في لغة العلم حتى لو كانت اعجمية .
وان المجمع في بيانه المذكور ازال مخاوفهم ، وقارب أن يلبي مطالبهم ، فهو وهم على
وفاق ، وحسن فراق بعد تلاق .

« المغربي »



الكلمات غير القاموسية

عور البها^(١)

كان الأُخ (المغربي) بعث إلي كما بعث الى غيري بأمثلته اللغوية لأجيب عنها فيمن أجاب لكن كتاب الأُخ غرق في لجج أوراق الزاخرة — إذ معدل ما يرد علي في دور السنة هو من ألفين الى ثلاثة آلاف مكتوب — وإن شئت أغوص على تلك الدرة الثمينة لزم لي ساعات طويلة لا أملكها . فبعيت ساكتاً عن الجواب الى أن تكون انششرت الأسئلة كلها مع أجوبة جهابذة اللغة عليها في مجلة المجمع العلمي العربي ولقد جاء هذا التأخير خيراً لي وخيراً من المجلة إذ صرت لا أدلي بدلوي إلا من بعد أن عرفت ما عند غيري ونخلت الآراء التي تقدمت رأيي .
ولندخل الآن في الموضوع :

« الصنف الأول »

الكلمات التي وردت في كلام فصحاء العرب ولم تدونها المعاجم وذلك مثل « تبيدي » بمعنى « ظهر »

لا يمكنني ابدأ أن أقول باهمال هذا الصنف وأنا الذي كتب وكرر الكتابة في

(١) — المجمع — كان الاستاذ الرئيس (المغربي) استقى أعضاء المجمع في الكلمات غير القاموسية واصنافها السبعة : أيها الجائز وأيها غير الجائز ، وقد نشرت اجوبتهم في المجلدين الثامن والتاسع ثم تلصت واستخرجت زبدتها في المجلد ١٢ ص ٥٢١ وصفحة ٥٧٧ وكان الامير شكيب أرسلان أحد أعضاء المجمع ممن سئل رأيه في الموضوع فأجاب بهذا المقال متأخراً معذراً كما يرى القاري

« أنه » ليس للغة قاموس محيط بها » ووردت شواهد كثيرة من كلام المصنفين تؤيد مذهبه . نعم إن هذا النصيح الذي ألمته معاجم اللغة يجب أن يكون موثقاً الزاوية غير محتمل الوجهين ولا لتخريف أو تصحيف من قبل النساخ ولما كان الوثوق من هذه الجهة يختلف كثيراً فلا بأس عندي في جعل هذا الصنف درجات في الوثوق كما يصنع علماء الدين بالأحاديث . فالجـ ثون يروون الأحاديث كلها لكنهم يشيرون إلى درجة كل حديث فيقولون هذا صحيح وهذا حسن وهذا ضعيف . لا تقدر أن تقول هنا : وهذا متواتر أو مشهور لأن التواتر والشهرة في اللفظة لا يمكن تأليفهما مع عدم ورودها في المعاجم . فمثل هذا الصنف لابد أن يفتى في طبقات الصحيح والحسن والضعيف وإليك المثال :

لفظة « تبدى » بمعنى « ظهر » جاءت في كلام^(١) نصيح وبصورة لا تقبل تأويلاً ولا احتمال تصحيف أو تحريف لأنها جاءت قافية . فهذه تستحق رتبة « صحيح » ومثلها ما رأيت في كلام جاهلي ريعي الذي أبي نوال « مالك » أي نيل « مالك » مع أن المعاجم لا تذكر النوال بمعنى نيل .

مررت مرة بلفظة « خابر » في معنى « فارض » في بيت المشهد به أحد العراقيين نقلاً فيما أتدكر عن « ششرق طلياني » وأظن أن الألب الكرملي هو الذي دل على هذا البيت . فبعد التأمل فيه وفي الرواية وسياق البيت لم أجده يستحق رتبة « صحيح » وإنما وجدته يستحق رتبة « حسن » ومن كان مثبداً في اللغة بقدر أن يجعله من باب « الضعيف » .

« وهل يجوز وضع في المعجم العتيد أم لا ؟ » أقول : بل يجب إيراد في المعجم العتيد لكن مع الإشارة إلى مصدر الرواية . والكاتب بعد ذلك هو بالخيار . فهو يقدر أن

(١) وقرأته أخيراً في تاريخ بغداد لابن الخطيب (جزء ١ ص ٣٠١) بيتين من الشعر قالهما إبراهيم بن العباس بن هجر أبو الوليد بن القاضي أحمد بن أبي ذؤاد ويمدح أباه والله دره على هذين البيتين وهما :

عفت مساو تبدت منك واضحة على سخاس أبقاها أبوك لكا
لن تقدمت أبناء الكرام به بش لقد تقدم آباءهم اللثام بك

بأخذ بقول ضعيف كما يأخذ بعض الفقهاء بأقوال مرجوحة لأن الحديث الذي استنبط منه الحكم كان من أصله حديث آحاد أو ضعيفاً فبعضهم لينه ولم يطمئن إليه والآخرون وجدوه جديراً بالثقة أو لم يجدوا سبباً يردّه . وهكذا الكاتب أو حافظ اللغة له أن يقول : تردى بمعنى ظهر على رواية صحيحة لكن لم ترد فيما عثرنا عليه إلا مرة واحدة . خابر بمعنى فاض جاءت في بيت جاهلي واحد من شاء أن يعمل به فله ذلك على أنه يكون عمل برواية وحيدة ضعيفة .

واليك مثالا آخر :

«الدعابة» لم ترد في معاجم اللغة . ولكنها وردت مرتين في صحيح البخاري . ثم ورد في المعاجم «الدعابة» بمعناها . ومن المعلوم أن الواو قد قلب ياءً خلفتها فقد قالوا «مسنبة» من منا المطر الأرض يسنوها وكان الحق أن لا يقال إلا «مسنوة» وقد قالوا «أحجية» من حجا يحجو كما قالوا «أحجوة» وهذا باب قد سبق لي أني أشرت إليه في الجواب على من انتقد استعمال «الدعابة» فلا أجل ورودها في الحديث الشريف مرتين ولموافقتها كثيراً مما ورد في كلام العرب من الألفاظ التي يقال بالياء مقلوبة عن الواو يمكننا أن نجعل «الدعابة» من القسم الصحيح الفصيح ولو لم تأت في المعاجم .
وهناك الفاظ رويتها عن سيدنا عمر رضي الله عنه وذلك في فصل سبق لي في هذه المجلة . وهي مما لم يرد في المعاجم لكنني أعدتها من باب الصحيح الفصيح وإن لم تكن من باب المتواتر ولا المشهور . والسبب في صحتها عندي أني بعد التأمل لم أجدها مما يحتمل تحريف النساخ أو تصحيفهم وأنني وجدتها مكررة مرتين أو أكثر وإنها موافقة للقياس وإن راويها محمد بن سعد رواها في الطبقات الكبرى . ومحمد بن سعد ثقة كبير وعهده منقدم .

✽ الصنف الثاني ✽

الكلمات التي وردت في كلام فصحاء المسلمين الذين لا يحتاج بأقوالهم مثل «اقص»
الخبر بمعنى قصه الوارد في كلام الطبري

فهذه أيضاً وافق على تدوينها في المعجم لكن مع الإشارة إلى أنها لم ترد في كلام الجاهليين وإنها مع ذلك معدودة في الصحيح لاسمين أحدهما أنها صدرت عن رجال ينزلون

ما يقولون بمنزلة ما يروون . والثاني إنها موافقة للقياس . وهذا مما يفيد الاستشاس وإن لم يكن بذاته حجة في اللغة

ومن هذا النمط قول بديع الزمان «نقلتي» وقول الحافظ ابن الأبار القاضي البلسي «استركب» بمعنى طلب الركوب . وقد جاءت لفظة (استركب) في كلام لسان الدين ابن الخطيب . وهو في اللغة علم شهير راسخ رسوخ ابن الأبار . ومثله استعمال المتنبى «استأمر» بمعنى «أخذ أسيراً» ومثله استعمال ابن خلدون «المشارك» في مقابلة «المأخذ» ومثله جمع الفيروز أبادي النادي على «النوادي» في مقدمة القاموس مع أن جمعها في المعاجم لم يأت إلا على «أندية» ومثله استعمال صاحب البردة «احترم» بمعنى رعى الحرم «أو يرجع الجار منه غير محترم» واستعمال الأكثرين لما وهي ليست في المعاجم إلا أنني اعترض - كما اعترض الكرمل وأصاب - على جعل «فخيم» الذي قاله صديقنا الشيخ إبراهيم اليازجي و «صدفة» التي قالها استاذنا الشيخ محمد عبده من هذا الباب . فالاستاذان المشار إليهما مع علو كعبهما في اللغة لا يقال أنهما من فصحاء المسلمين وأنا على رأي قسطاكي بك حمصي الذي يرى تحديد عصر الفصحاء المسلمين وذلك حتى لا يدخل الخطأ والسهو في هذا الباب . فالشيخ نصيف اليازجي استعمل لفظة «انكف» وكان أديباً مشهوراً ولغوياً أفقواً ان «انكف» مما يجب ان بدون لأنه جاء في كلام اليازجي الكبير ؟ وهو ما جاء الا خطأ أو سهواً . وقد جاء في كلام أحمد فارس الشدباقي (كمثل لجام للفرنسيس تلال) وذلك على ظن ان الفعل هو «تل» الجواد بلجامة . والحال أن هذا الفعل هو المزبد «أتل» وان «تل» هو بمعنى صرح . وليس هو المراد هنا . أفقول يجب استعمال «تل الدابة» بمعنى قادها لأنها جاءت في كلام أحمد فارس وان مكانه في اللغة أشهر من أن يذكر ؟ لا . فهذه اغلاط سبقت فيها أقلام هؤلاء الكتاب سارية اليهم من الكلام العامي فاستعملوا هذه الالفاظ بدون مراجعة في كتب اللغة . وكلنا وقع له مثل هذا . واللغة العامية مرض يسري الى الفصحى ضربان الميكروب الى الصحيح وأنا قد استعملت مرة «الرفاه» بمعنى الرفاهية أو الرفاهة وذلك من كثرة ما سمعت الناس يقولون (رفاه) ومن كثرة ما قرأتها في الجرائد . واستعملت (الطياشة) بمعنى الطيش لاني كنت قرأتها أيضاً في الجرائد . فجاء الشيخ إبراهيم اليازجي في مناقشة له معي فانتقدني

فيهما . وكان مصيبا في انتقاده . وانا لم أجد جوابا اقله له الا ان ذلك خطأ (وسبحان
الذي اوقعني في الخطأ ولم يستثن الشيخ) واوردت له يومئذ اغلاطا صرت الى قلعه من
اصطلاحات غير المحققين . كلا . لا تدخلوا اغلاط المصريين في القسم المذكور .
ولا تنسوا هنا « التكتيم » اللفظة التي لا تزال تكتبها الجرائد ولم ترد في اللغة وانما جاء
« كتم » و « كتم » المشددة قال المتنبي : مالي اكنم حبا قد يرى جدي واما « التكنم »
فهو يعني التظاهر بالكتمان وليس هذا ما يريدون ثم اني اقول ما قال النكدي : اية
حاجة الى تدوين هذه الاغلاط في المعجم وعندنا ما يقوم مقام هذه الالفاظ من الصحيح
الصحيح . اني انهم ان ندون في المعجم لفظة « قرج » لانا لا نستغني عنها ونحن نصحبها
بالقياس . وانهم ان ندون (تتره) لانا بحاجة اليها . ولكنني لا انهم ان نقول (احتار)
وعندينا (حار) و (تحير) ولا ضرورة لقولنا (احتار) الا اذا كان المراد تصحيح اسم
حاشية ابن عايد بن (رد المختار) في شرح الدر المختار) او تصحيح قول الشيخ عبد الغني
النابلسي :

حكم حارت البرية فيها . وجدير بانها تختار
فهذه الفاظ صرت الى اقليم هؤلاء الاكابر من الفاظ العامة . وفتح الباب للعامي
لا يجوز الا عند الضرورة . ولا ضرورة هنا . « وفخم » يقال مكانه « فخم » و « اصيته
صدفة » يقال مكانها « مصادفة » او « اتفاقا » او « عرضا »

« الصنف الثالث »

الكلمات العربية التي اصطلح عليها رجال العلوم والفنون والصناعات ولا يعرفها اهل
اللسان كقولهم « ميزانية » و « كيفية » و « كمية » و « هوية » و « ذاتية » و « هيئة »
الحكمة » و « اعتقدت الجليلة » .

اقول : هذه يلزم ان تدخل في المعجم لان اللغة لا تكون لغة امة مثقفة بدونها . ولكنني
استحسن هنا ما قاله السيد عيسى المعروف وهو ان ننظر في كتب العرب صدر الاسلام فالمعنى
الذي يفهم اصطلاحوا له على لفظ ولم يرد عن اهل اللسان تقبل ما اصطلاحوا عليه له وندفع
به الاصطلاح الجديد والا فاننا نقبل هذا الجديد تحت حكم الضرورة لان اللغة هي ايضا

مثل الشريعة يجب ان ينظر فيها الى التفسير على الناس قبل كل شيء .
ثم اني استحسن ايضا غربة هذا الصنف على رأي الكرملي لانه صنف متشعب واسع :
فما قاله السلف مثل « كمية » و « كيفية » و « ماهية » و « ذاتية » تقبله وندونه اي
ندون « كشاف اصطلاحات الفنون » الجديد وغيره . وما اصطلح عليه أهل هذا العصر
ندون منه ما لا غنى لنا عنه ونتجنب مخالفة الاسلوب العربي ما امكن .
غير أنني ازبد على أقوال الاخوان اننا نحن المصريين مقصرون كثيراً في التنقيب
في كتب السلف عن هذه الاصطلاحات التي لو تقبنا كما يجب لوجدنا ما يغنيا عن كثير
من الاصطلاحات الحديثة .

❖ الصنف الرابع ❖

الكلمات التي ولدها العرب الاسلاميون من مادة عربية الاصل مثل « خاير »
من الخير و « تفرج » من الفرج و « احتار » من الحيرة و « تنزه » من التزهة الخ . .
سبق اني ذكرت في الكلام على الصنف الثالث اني ارد من اصطلاحات المولدين كل
ما لا تدعو اليه ضرورة مثل (احتار) و (رفاه) و (فخيم) و (صدقة) واعدته من
باب العامي الذي يجب نبذه . اما (خاير) فان كان ورد بها بيت جاهلي فيكون لها
حينئذ شأن آخر وتدوّن مع الاشارة الى سبب تدوينها . واما (تفرج) و (تنزه) فلا
غنى عنهما . ومثلهما (التطور) بمعنى Evolution لا غنى عنها وان لم ترد في المعاجم ولا
في كتب السلف . واعدود فاشير الى وجوب تنقيبنا في كتب السلف وفي المعاجم ايضا
لا سيما مخصص ابن سيده الذي فيه الفاظ لا تخص من أسماء وافعال عن معان لا نجد لها
نحن الفاظاً فصيحة ونلجأ فيها الى الفاظ عامية واحيانا اجنبية . يجب ان ننخل كتبنا القديمة
قبل ان نرضى بالعامي والاجنبي بحجة الحاجة اليه .

❖ الفصل الخامس ❖

الكلمات المولدة بالتقريب وذلك مثل « فلم » و « اتومويل » و « يرسوناليشه »
فهذه اقول فيها : ما لا نجد في لغتنا ما يسد مسده من لفظ قديم او لفظ نشأه نحن ونصطلح
عليه تقبله بلا حراء .

ولا افرق هنا بين الازمنة الكريمة وغيرها . فجميع ما تدعو الضرورة الى تعريبه ولا نجد له من لغتنا ما يفيد معناه . يجب أن نجعله في المعجم ونلحقه بما عربه السلف وصار عربيا . نعم لا يجوز لنا هذا الا بعد استنفاد الوسع في ايجاد اللفظة التي تعوزنا وذلك اما بالشور على لفظة عربية قديمة تفيد معناها أو بصوغ لفظة جديدة من لفظ عربي موجود نراعي في صوغه قواعد اللغة

ولا اشارك الزهاوي في قبول كل دخيل وعدم اشتراط شيء في قبوله غير صقله واعادته الى الالوزان العربية . فالاعجمي لا يجوز ان تقبله الا مضطرين . نعم ان اجدادنا قبلوا الفاظا اعجمية وأدخلوها في اللغة ولم يبحثوا في اللغة عما يفيد معناها وقالوا اسطرلاب واسطقس وغير ذلك ولكن زمانهم كان غير زماننا . كانت اللغة لعهدهم في عنجهيتها فلم يكن يخشى عليها كما يخشى عليها اليوم وقد طمى عليها سبل العجمة ونشا بين العرب تعلم اللغات الاجنبية

وفي هذا التسامح بقبول الاعجمي مع وجود ما يفيد معناه عندنا لا اشارك الكرمل ايضا . وما جاء على خلاف القياس فلا يكون مقبولا عليه . انا هنا موافق للسيد ادور مرقص ورشيد بقدونس الا في قول الثاني انه يجب أن نختار كلمة مهملة من حروف عربية . ولا نقبل الاعجمية . فهذا يتجاوز الحد

﴿ الصنف السادس ﴾

اساليب او تراكييب ذات معان اعجمية الاصل وقد تسربت الى لغتنا العربية مترجمة عن اللغات الاجنبية ولا عهد للعرب الاقدمين بها كقولهم « ذر الرماد في العيون » و « عاش ستة عشر ربيعاً » و « ساد الامن في البلاد » الخ
اني لا اميل الى قبول هذه التراكييب واني احب ان امد عليها الباب ولو كانت هي عندي درجات لأن منها ما ينطبق على الذوق العربي ومنها ما يقرب ومنها ما هو نادر واني لاعجب كيف ان اكثر الاخوان قبلوا هذا الصنف وقالوا : ان لم يكن فيه ما يخالف القواعد النحوية واللغوية فاننا نقبله . افيكفي هذا ؟
واعجب العجب من السيد بقدونس كيف اتفل الباب ووثقه بسلاسل من حديد

من جهة وترك حائط البيت مهدوما من الجهة الاخرى
فاني ارى خطر هذه الجمل عريية الظاهر اعجمية الباطن اشد بكثير من خطر
المفردات الاعجمية التي حجب فيها كل ذلك التحجير
وليس هذا من باب المجاز والكتابة والتشبيه . بل هذا من باب اساليب العرب
وعندما . والحكم فيه للذوق العربي

قال قائل مرة : (جزئيات الأمور وصفار الوقائع وصبيان الحوادث) فهل في هذا
شيء مخالف لقواعد اللغة ؟ أفليس قوله : صبيان الحوادث مجازاً ؟ بلى ولكنه مردود ،
لان الذوق يأباه

وان كثيراً من هذه الجمل يأباه الذوق العربي بشاناً وانت بعضها لا يقبله
الا بتكلف وان النادر منها مثل « ساد الامن » لا يجد فيه مقالا

فتقيد الدكتور اتولا فياض بقوله انه يجب في قبول هذه التراكيب موافقتها
للأذواق السليمة يعجبني
وقول الاب الكرملي : « بشرط ان يكون تركيبها عرييا لا خلل فيه » اجيب
عليه بان هذا لا يكفي

ولله در الناشيبي الذي يقول : ولكل لسان اسلوب والتسامح في هذا الشأن
هو الهلاك

وموافقة هذه الجمل المترجمة عن الاعجمي لاساليب العرب هي الشرط الاول ولكنني أقول
ان هناك شرطا آخر هو موافقتها للذوق العربي . « ياليتنا نستغني عنها بالمرّة لانها تفسد اللغة
العربية ولا حاجة اليها : غريب وغير اديب . اقول انها ليست من باب قبول العرب ولا من
باب قبول الاصطلاحات الثمنية فتلك امور قضت بها الضرورة ثم لا يخشى منها فساد اللغة
واما هذه فانها تذهب بطلاوة الانشاء العربي وتهجنه بعد ان كان خالصا

انا اصبحت لا اقدر ان اسمع « عالم بمعنى الكلمة » و « عسكري بمعنى الكلمة »
و « سياسي بمعنى الكلمة » الخ و « اهديت فلانا سلامك وهو بدوره يسلم عليك » وما أشبه
ذلك مما اقرأ فيه جملا فرنسية بحروف عربية واما « يحرق البخور امام فلان » فاكاد
احترق عند ما اسمعها . واما « ضحي فلانا على مذبح اغراضه » فاري على من يقولها

بضحية كبش فدية غن هذه الجملة
اني اكره هذه الجمل واكره قائلها ولولا قليل لاعنت : اني لا اريد ان تكون لي
علاقة بهم

هو لاء اعداء اللغة العربية ومفسدو بيانها ومهجنو نسبها
طالما عاشرنا ادباء من الفرنسيين و ترجمنا لهم جملا من العربية الى لغتهم ، ذلك
باحسن بيان وافصح بلغتهم وكانو يجادبون نبرا :
Ce n'est pas français

اي لبس هذا بافرنسي . كانوا يعترفون بانه ليس في هذه الجمل ادنى شيء يخالف
نحو لغتهم او صرفها او بيانها . ولكنه يخالف اسلوبها وذوقها
وكثيرا ما ترجمت جملا من الافرانية الى الالمانية ولم أخطئ فيها من جهة القواعد
وكان الالمان يقولون : نحن لا نقول هذا ومن لا يعرف الافرانية لا يفهمه
فائقوا الله ايها الاخوان في لغتكم واثائكم وسكوا الباب على هذه الخوانس التي لا
تزيد لغتنا رونقا بل تفسدها والتي لا تمس اليها ادنى حاجة شكيب ارسلان

(المجمع) : رأينا ان نلحق بهذا المقال النبذة التالية لظهور علاقتها به وهي للاستاذ
زكي مبارك :

قرات الكلمة التي نشرها الاديب محمد عطية يوسف يناقش بها الامير شكيب
ارسلان اذ اعترض على قول المتنبي :

وان تكن محكمات الشكل تمنني ظهور جرى في فيهن تصهال
وقال : « فانك لا تجد تصهال في كتب اللغة وانما قاسها المتنبي على غيرها »

اما صاحبنا محمد عطية يوسف فقد قال : ان المتنبي لم يقس ولم يتدع وانما نقل عن
صاحب احدي المملكات وهو الحارث بن حنظلة البشكري الذي يقول

اجموا امرهم غشاء قلما اصبحوا اصبحت لهم خوضاء

من مناد ومن مجنب ومن تصهال خيل خلال ذاك رغاء

والمهم في ايراد هذه الملاحظة هو تذكير القراء بخطأ الوقوف عند المعاجم اللغوية ،

فإنها أعمال أفراد يعسر عليهم الاستقصاء ، ومن العنت ان نرفض كل كلمة لم ينص عليها القاموس

على ان أخطاء المتنبي تصلح نماذج للفصيح ، لان ملكة اللغة عند مثله قوية جدا ، فلا يخطئ . إلا وفي طبعه مرشد الى الافصاح ، وقد ظل الناس عشرة قرون يخطئون في هذا البيت :

فان بك بعض الناس سيفاً لدولة ففي الناس بوقات لها وطبول
وقالوا ان البوق لا يجمع على بوقات ، وإنما يجمع على ابواق
ولو تأملوا المرفوع ان البوقات ليست جمع بوق وإنما هي جمع بوقة ، وقد رأيت
شاهداً عليه في كتاب تجارب الامم لابن مسكويه
وعلى مدرسي البلاغة ان يرحموا المتنبي فيمحووا قصة البوقات التي نراها في مقدمة
البلاغة من كل كتاب .



الاضاع البءءءة

والاصطلاحات الفنية

بعء ان اسأأف المجمع العلمى اعماله وأأء وضعه الءاصر ء شرع بضاعف اءتامه بمءمة اللغة العربىة ومءوئها اللغوىة ء ومن امهات اعماله الءى يقوم بها العناىة بالاضاع البءءة والاصطلاحات الفنية ء ثم انه ءءققا لغرضه هءا ءوسل بوزارة المعارف الى الاتصال بءواثر الءكومة على اءءلاف انواعها ء وبالمعاهد العلمىة والمءارس الامىرىة ء كما كءب المجمع العلمى الى المعامل الصناعىة والىىوت ءءارىة وءلك لكىما بوافوء بما بعرض لهم من اشكالات ءعاىبر الفنية ء وهءا نص بلاغ وزارة المعارف العام المنشور برقم ٥١٩/٣٦٢٤ وءاربء ١١ رمضان ١٣٥٣ و ١٧ كانون الاول ١٩٣٤ :

« ان المجمع العلمى قء آءء بواصل اعماله ء وببءل مساعىه فى ءهءىب اللغة وءنقىءها من الكءمات الاعجمىة والءءىلة . وفكر فى الاضاع والاصطلاحات البءءة فىءللب الابعاز الى اسانءة الجامعة والمعاهد العلمىة ورؤساء وءواىن الانشاء والءواثر الفنية ء ولاسىما ءواثر الترجمة ء فان المجمع العلمى مسءء لمشار كءهم فى ملافاة ما طرأ على اللغة العربىة من ملابسة الءءىل وااءءىار اوضاع بءءة ءءل محل الاصطلاحات القءىة ء وان المجمع مءفرغ لهذا العمل فهو ببئر فى ءلك بمءونة اعضاءه وءىرم ممن لهم اءءصاص فى فن من الفنون ء واذا كان لاءالاً سائءة أو وىرم رأى فى ءرءىع كلمة فالمجمع لابةصر فى ءنقىب عنها واعلان صءءها والشكر للفاضل الءى اءءارها او وضعها فلا بىضى ءىن ءفى ءءكون لءى المجمع مائة وافرة للمعجم الءى بءظره ابءاء الامة .

فترجو ، والحال ما ذكر ، ابلاغ من يجب ضرورة الاعتناء بهذا الامر وموازرة
المجمع العلمي في عمله توصلا الى غايته النبيلة التي بنشدها . »

وزير المعارف

عسني البرازي

وعلى اثر نشر هذا البلاغ الوزاري العام اخذت ترد على ادارة المجمع طاقة من
قوائم الالفاظ التي يرغب اصحابها الى المجمع ان ينظر فيها ويضع لها المصطلحات الصحيحة
ومن تلك القوائم قائمة وردت من ادارة البرق والبريد العامة تطلبها من المجمع « وضع
اسماء عربية لمسميات فنية ما زال موظفو دائرتها يسمونها باسمائها الفرنسية » وارسلت
الدائرة المذكورة الى المجمع كاتبها الفني مصحوبا بالادوات الفنية لكي تراها الهيئة
العاملة في المجمع بحيث يسهل عليها الوضع والتعريب . فنظرت فيها ووضعت ازاء كل
لفظ فرنسي لفظا عربيا وكانت تعتمد ترجمة اللفظ الفرنسي احيانا مراعية في ذلك كله
انطباق الاضاع الفنية الجديدة على استعمال تلك الادوات كما راعت فيها وضوح الدلالة
في تموس مستعملها اذ بغير ذلك لا يكتب للمصطلحات والاضاع بقاء اصلا . وقد
وافق كاتب المصلحة الفنية على هذه الاضاع ، وبما قلناه يوم نشرها في جرائد دمشق
ابتهاء أخذ رأي الاختصاصيين فيها وفي صحة وضعها ما يلي :

« وها هي تلك الاضاع وقد رقم ازاها اصلها الفرنسي ، والمجمع يرجو من الفضلاء
الفنيين النظر في اوضاعه هذه ، ونقد ما يمكن نقده منها . ثم بعد ذلك يعرضها على
اعضائه في جلسة عامة يعقدها لهذا الغرض ، وبعد استقرار الراي فيها يرساها الى وزارة
المعارف لتري رأيا فيها . »

الاضاع الفرنسية

- 1 - Combiné téléphonique
- 2 - Microphone
- 3 - Capsule microphonique
- 4 - Rosace en porcelaine

الاضاع العربية

- ١ — الجهاز الهاتفي
- ٢ — المجهر
- ٣ — المقحمة المجهرية
- ٤ — الوردة الخزفية

5 - Rondelle en bois	٥ - القرصة
6 - Prise électrique	٦ - المنشبة او المنشبة الكهربائية
7 - Fiche de prise électrique	٧ - الناشبة
8 - Bouchon électrique	٨ - السداد الكهربائي
9 - Filière	٩ - السلاكة
10 - Toile isolante	١٠ - الشريط المازل
11 - Etoupe	١١ - النسالة
12 - chargement	١٢ - التقويم
13 - Cabine de chargement	١٣ - حجرة المقومات
14 - Serre-fils	١٤ - الحاصرة
15 - Translateur	١٥ - الناقلة
16 - Traverse	١٦ - العارضة
17 - Potelet	١٧ - القائمة
18 - Alésoir	١٨ - القوارة
19 - Piquetage	١٩ - التوتيد ، دق الاوتاد
20 - Appui moisé	٢٠ - الدعامة
21 - Jambe de force	٢١ - السناد
22 - Coupe circuit	٢٢ - المقطع
23 - Bride	٢٣ - القابضة (قابضة العارضة)
24 - Semelle	٢٤ - النعل

وبعد ان نشرت هذه القائمة في الجرائد المحلية ارسل احد الادباء من موظفي حكومة حلب الى المجمع برسالة يذكر فيها ملاحظاته الست الالية فاجبه على استشكالاته بمانصه :
 « لم ينشر المجمع العلمي اوضاع البرق والبريد في الصحف العامة الا ليطلع عليها العاملون على احياء لغتهم القومية من علماء العربية وادبائها فينشروا ملاحظاتهم اللغوية ،
 وتكثر المناقشات حولها ، اذ بمقدار كثرتها تزداد قربا من العثور على الاسم الخاص

الذي لا ينطبق على المسمى سواء ، ويسهل بذلك على المجامع اللغوية اختيار اللفظ الرليق ببناء ، والدقيق بمناه ، ولهذا يثني المجمع العلمي على الاستاذ الناقد ويرحب بملاحظاته كما يرحب بسائر الملاحظات التي ينتجها البحث العلمي والرغبة الصادقة في احياء لغتنا القومية وهذه هي الملاحظات :

١ - لقد عربتم المسمى بـ :

Toile isolante

بالشريط العازل ، والاحسن استبدال النسيج العازل ، او القميص العازل بها ، لان لفظة الشريط تعتبرها تدل على السلك المعدني وهو مستور بالنسيج العازل ، او بقميصه ، ولفظة السلك تدل على معدن الشريط مجرداً عن قميصه .

الجواب . - ان الملاحظة الاولى وجيهة لو اردنا بالشريط السلك المعدني ، ونحن لم نقصد الا لفافة من النسيج العازل بعرض السنتيمتر بلفها عمال البرق والكهرباء على السلك المعدني لعزله ، ولفظة شريط فيل بمعنى الملول اي المشروط وشرط في العربية بمعنى شق ، ومنه مشروط الحجام لمضمه الذي يشق الجلد به ، وقد اخبرنا كاتب الدائرة الذي ان المصريين يسمونه ايضا بالشريط العازل فوافقناهم ترحيماً للاصطلاح

٢ - عربتم كلمة : Filière

بالسلاكة ، وهي وان كانت مشتقة من سلك كاصلها الا فرنسي قد لا توافق معنى الاصل تماماً اذ ان الاخير يدل على آلة تحوي ثقبها ويختلفة الاقطار تمر منها رؤوس القطع المعدنية الجامية ، وتسحب لتجربلها الى اسلاك معدنية فهي اذن اجدر ان تسمى بالمسحب (بكسر الميم وفتح الحاء) من ان تسمى بالسلاكة التي يجعل بها ان تكون مسمى للآلة التي تجمع عليها الاسلاك بعد سحبها

الجواب . - ان لفظة المسحب او المثقبة كما سماها احد اعضائنا - ينطبق على مسح معامل الاسلاك المعدنية ، ولا ينطبق على السلاكة المستعملة في دار البرق ، لانه لا يقصد بها اسرار الاسلاك المخفية من ثقبها ، وانما يقصد بها لوحة صغيرة من الفولاذ ذات ثقب مختلفة لاقطار تضم اسلاكاً مختلفة الثخانة ليس الا ، فسميت Filière على التشبيه ، وكذلك تنطبق هذه اللفظة في الفرنسية على جسيمات كثيرة منها الثقوب التي تمر منها خيوط الحرير من افواه دود القز ، ولسنا في لغتنا العربية ، ام الاشتقاق ،

بمضطرين إلى استعمال لفظة واحدة لمسميات عديدة ولذلك آثرنا السلاكة .

٣ - اطلقتم على :

Prise électrique

كلمة المنشبة ٤ ويظهر ان الناشبة :

Fiche de prise

تنشبت فيها ٤ والافضل تسمية الاولى بالمأخذ الكهربائي (مكان الآخذ) وتسمية الثانية بالآخذة او الآخذ

الجواب . - جاء في الة (نشب الشيء في الشيء علق فيه ولم ينفذ ٤ وهو عين ما تفعله الناشبة) او الآخذة على تعبيركم في المنشب او المأخذ كما نقولون (٤ وقد راينا تسميتها بهذين اللفظين الجديدين اعلقت بالاذهان من مادة الاخذ الكثيرة الاستعمال في لغة العامة) ٤ وتطلق كذلك في دار البرق والبريد على الآخذة للبرقيات Récepteur على ان كلمة الناشبة تدل بعملها على معنى Fiche الفرنسية فيكون وضعها هذا ادعى الى توحيد الاصطلاحات الفنية بين الاسم ولو بالمعنى

٤ - اذا اعتبرتم كلمة التقويم ترجمة لـ

Chargement

فالاصح ان تسمى :

Cabine de chargement

بحجرة التقويم ٤ عوضاً عن حجرة المقومات التي تقابل :

Cabine de chargeur

الجواب . - نرى أن حجرة المقومات (بفتح الواو) تدل مع ذلك على معنى التقويم وهي أبعد من الالتباس بالتقويم الذي يأتي بمعنى التعديل ايضاً ٤ وليس هناك في

دائرة البريد غرفة باسم Cabine de chargeurs

٥ - ان كلمة :

Serre - fils

تدل على آلة شريط سلكين مع بعضهما وتصل التيار الكهربائي المار بالسلك الثاني وهي تكون على شكل فك في الغالب ويستحسن تسميتها بالفك الساكي بدلا من الحاصرة
الجواب . - ان لفظة (سرفيل) الفرنسية التي يستعملها عمال البرق والكهرباء ليست بشكل فك ٤ وانما هي أداة خزفية صغيرة ذات فلتتين في كل منهما محزان او مجريان

يحصص فيها شريطان فيكونان بتعدد الحواصل متوازيين على بعد واحد ، ولهذا اخترنا الحاصرة التي هي بمعنى سرفيل الأفرنسية رغبة في التقريب بين المصطلحات ولو بالمعنى وذلك مما يسهل فهمها وبضمن نشرها على أننا نستحسن موافقة أحد أعضائنا الأستاذ اللغوي المعروف الشيخ عبد القادر المبارك في تعريب هذه اللفظة المأنوسة (سرفيل) وجمعها سرفايل ، وهي من باب زرفين وزرافين التي عربها الأولون بمعنى حلقة الباب .

٦ — ثم انكم تؤثثون بعض المسيمات في حين ان اصحاب الأفرنسي يكون مذكراً مثل Potelet التي عربتموها بلفظة القائمة بدلا من القائم من دون سبب اذ ان اسماء الآلات لا يشترط فيها التانيث ضرورة فالمتاح والملفظ والمبرد من اسماء الآلات المذكورة الجواب . ليس هنالك ما يوجب التقييد بالمطابقة تذكيراً وتانيثاً بين الأسماء العربية والفرنجية ، فالشمس في العربية مؤنثة وفي الفرنسية مذكرة ، والقمر بعكس ذلك ، ثم اننا لم نترجم لفظة Potelet التي هي تصغير عمود ، وإنما نظرنا الى وضعية هذه الاداة على العمود البرقي من حيث اتصاها فوضعنا لها لفظة القائمة .

هذا ما عن لنا من التعليقات ، ولعل هنالك الفاظاً أخرى هي ادق منها تعبيراً تؤمل ان يهتدى بالبحث اليها ، أو لعل أسماء عربية شعبية في البلدان والانطار العربية ككلمة (المنار) التي يطلقها اهل دير الزور على (الكونسروه) ، نرجو كل غيور على لفته ان يطلع المجمع العلمي عليها . ثم عقد المجمع جلسة عامة غرض فيها الرئيس هذه الألفاظ على الأعضاء فوافقوا عليها ما خلا بضعة منها : المنشبة والناشبة والشريط العازل وحجرة المقومات والحاصرة والناقلة والقائمة ، فقد ارتأوا الامتناع عنها بالالفاظ التالية على سبيل اللف والنشر المرتب وهي : المنشب والناشب والعازل وحجرة التسعير والحابس والمحولة والشاخمة . واخيراً بحث الأعضاء في طريقة اتمام نشر هذه الأوضاع ، فاقترحوا (*) ضرورة ارسالها الى مجمع مصر لللسكي بواسطة وزير معارفنا وذلك في سبيل توحيد المصطلحات الى توحيد الثقافة العربية .

كاتب سر المجمع

عز الدين علم الدين

(*) كما ترى ذلك مفصلاً في جلسة المجمع المقودة في ٦ ربيع الأول سنة ١٣٥٤

الموافق ٧ حزيران سنة ١٩٣٥

(^(١) ١٨٥٠ - ١٩٣٢) **فرانز بوهل**

FRANTS BUHL

من أعضاء المجمع العلمي العربي

ولد في كينهاغن في ٦ ايلول ١٨٥٠ ودرس علم اللاهوت اللوثيري والعهد القديم ،
والذي يتمكن من الدروس العبرية درس اللغة الآرامية والعبرية وكان استاذة في
العربية (ا. مهن) (A. Mehren) العالم المتمكن من الفلسفة الاسلامية
وعلمها . ودرس بوهل من سنة ١٨٢٦ الى ١٨٢٨ في (بنا) (وليبيك) واخذ عن
الاستاذ (فيشر) (Feischer) امام مستعربي الغرب في عصره ، فتمكن كل التمكن
من القواعد العربية باشراف استاذة المشار اليه

وقد نشر في سنة ١٨٢٨ اطروحة في ابحاث لغوية وتاريخية في القواعد العربية
ادمج فيها متن الشافية لابن الحاجب مترجما الى اللغة الدانمركية مع شرح عليها . وتابع
بوهل في ألمانيا دروسه عن العهد القديم ، وكانت ظهرت وقتئذ نظريات عديدة بشأنه
فدسبت التوراة الى اربعة مصادر في ازمة مختلفة من تاريخ بني إسرائيل ، ولذلك لم
يكن معظم الشريعة الاسرائيلية اساسا لهذا الدين بل هي نتيجة تطور تاريخ هذا الشعب .
وادخل بوهل الى بلاده هذه الفكرة عن الكتاب المقدس مسترشدا بما كتبه بآرائه
الخاصة عن تاريخ شعب اسرائيل وقد اعيد طبع ما كتبه بهذا الموضوع مراراً بالغة
الدانمركية كما ان له مشروحا مستفيضة عن اشعيا والمزامير ورحل في سنة ١٨٨٩

(١) تأخر نشرها ونشر غيرها عن مواعيدها بسبب عطلة المجلة

رحلته الوحيدة الى بلاد الشرق فزار مصر وفلسطين وسورية مستطلعا احوال بلاد التوراة وبعد عودته كتب مقالات عن طوبوغرافية ^(١) القرآن وكتب ايضا كتابا في جغرافية فلسطين القديمة باللغتين الدانمركية والالمانية فاصبح هذا الكتاب دليلا لكل من يرغب في دراسة تاريخ فلسطين القديم ، وله ايضا كتاب عن القدس وصف فيه هذه المدينة كما كانت ايام المسيح . ودرس بوهل من سنة ١٨٩٠ الى ١٨٩٨ اللغة العبرية في جامعة ليبسك في المانيا وبدأ في سنة ١٨٩٥ بطبع المعجم العبراني الكبير المعروف باسم (جزيوس) (Gesenius) الذي هو اول ناشر له فجدده بوهل وجعل منه أثرا خالدا في عصره لدرس اللغات السامية ولم يقتصر على ذكر كل مصدر ومعانيه المتعددة في متون مختلفة بل اضاف اليه أبحاثا مختصرة عن الفاظ هذا المعجم وأورد جميع ما يشابهها من الكلمات في غيرها من اللغات السامية . وساعده في هذا العمل عدد من العلماء وأخص بالذكر منهم (زيمرن Zimmern) فيما يختص بالالفاظ المشتقة من الاشورية . وانتقد بوهل بالمواد الفينيقية والأرامية والعربية وهذا المعجم السامي هو الوحيد الذي يصح أن يقال عنه معجم المشتقات السامية . وكان أكثر ما يوجه اهتمامه إلى دراسة اللغة العربية النصحى وله المام واسم بالاشعار العربية القديمة ولا أزال اذكر بسرور عظيم الدروس التي تلقيناها عنه في النابة وامري القيس وعثرة وغيرهم فكان يشرح هذه النصوص بعلم واسم من الوجهتين اللغوية والتاريخية

عاد بوهل إلى مدينته كينهاغن في سنة ١٨٩٩ ودرس في جامعتها اللغات السامية . واستغرقت اللغة العربية أكثر اوقاته ، وكان يكثر من مطالعة كتبها ويهيئ مواد لعمل معجم عربي . وفي سنة ١٩٠٣ طبع باللغة الدانمركية كتابه (حياة محمد) وصدره بمقدمة عن بلاد العرب القديمة ثم نقل إلى الالمانية بعناية السيد شايدر (Schaefer) وذلك في سنة ١٩٣٠ أي قبل وفاته بسنتين . وقد أضاف اليه بوهل ملحقا عن تبشير محمد بالاسلام كما ورد في القرآن وطبع في سنة ١٩٢٤ باللغة الدانمركية أم الآراء والنماذج

(١) اي وصف وبيان الاماكن المذكورة في القرآن

الواردة في القرآن منسقة بترتيب واحكام . وببحث وتناقص في بعض رسائله
أحوال العلويين وسياساتهم . كما أنه كتب مقالات عديدة في معلمة الاسلام وترجم
فيها مشاهير رجال المسلمين وبلادهم وتاريخهم . ولم يتيسر لبوهل أن يتابع بنفسه
دراسة العالم الاسلامي الحديث ولكنه كان يقرأ بشغف كل ما كان يكتبه غيره عن
النهضة العلمية التي أشهد بها مجلة المجمع العلمي العربي وكان يهتم خاصة بالتاريخ القديم
وآدابه وله في ذلك تأليف مهمة وما زال يعمل على العمل إلى آخر أيام شيخوخته ثم
انحطت قواه منذ سنة وتوفي يوم ٢٤ ايلول ١٩٣٢ وهو في مبدأ السنة الثالثة والثمانين
من عمره . (ترجمها جعفر الحسني)

يج بررسن



مطبوعات حديثة

محاضرات في التربية والتعليم

تأليف السيد واصف البارودي مفتش معارف الجمهورية اللبنانية
طبع في مطبعة الكشاف - بيروت سنة ١٩٣٢ م

خير ما تخرجه المطابع لنا بثة البلاد رسائل تصحح سنتهم ، وتقوم ملكاتهم منذمومة
اظفارهم ، فقد سرى اللحن والفساد في جسم العربية من زمن أبي الاسود الدؤلي رحمه
الله ولما تعد إليها صحتها ونصرتها على كثرة ما ألف وضبط من قواعدها وشواردها منذ
أكثر من ألف عام الى اليوم . وسر انحلال الملكات اللسانية فيما نعلم أن المدارس العربية
— بله الاجنبية — وكثيراً من المؤلفين والمدرسين وخطباء قد جعلوها لغة كتابة
وخطابة رسميتين ، ولكنهم لم يجعلوها لغة المحادثة والحوار في اوقات الدروس والفسح
ولم يطالبوا بلامبذم بالمحافظة عليها خارج مدارسهم ، فكان درس القواعد في الغالب
علماً بلا عمل ، وشجرة بلا ثمر ، اليس مما يغبط عليه الاجانب أن لغاتهم في بلادنا قد
ينعم ثمرها ، وأنت اكلمها أكثر من لغتنا ؟ فاذا كنا نرجو أن يتربي الناشئ الصغير على
التكلم بالفصحى وجب علينا أن نسلك اقرب الطرق الموصلة إلى ذلك ، وهذه محاضرات
الاستاذ البارودي الثلاث التي القاها في صيف العام الماضي في بيروت وطرابلس وصيدا
وزحلة ، واردف كل محاضرة بخلاصة لنتيجة المناقشات التي جرت حولها — ترشد المعلمين
والمعلمات الى التماس اقم الوسائل لتربية الصغار على اختيار الفصحى ، والنطق الصحيح .
وقد قدم محاضراته الى سربي روحه الشيخ محمد ابراهيم الحسيني الطرابلسي وجعل
أولها في اللغة والمحادثة ، والثانية في تدريس قواعد اللغة ، والثالثة في كيفية التدريس في
مدرسة ذات معلم واحد ، واودعها مباحث فنية نافعة ، ومشى فيها على اصول التربية العلمية
المتبعة في مدارس الغرب ، ثم اضاف إليها جداول وزع فيها الساعات الرسمية على الدروس .
وكنا نود لو سلمت لغة الكتاب من هنات بسهل تصحيحها كقوله في ص ١١

كلا — أيها الاخوان — فليست اللغة إذ لا وجه لدخول الفاء هنا وفي ص ٢٨ قوله مستقلة عن بعضها وص ٤٧ قوله : وعلاقتها مع بعضها وص ٤٨ أيضاً : فلا نسألهم عن علاقة كل الجمل مع بعضها ، والصواب بعضها عن بعض ، وبعضها ببعض ، و بعضها مع بعض ، وفي ص ٣١ فما دام وضع اللغة سابق ، صوابه : سابقاً وفي ص ٤٤ ولا يلزم علينا ، صوابه : ولا ينبغي لنا وفي ص ٤٨ بدون أن نشوشهم صوابه : نهوش عليهم وفي ص ٦١ فيختار ويرقبك صوابه فيعار أو يتحير وفي ص ٦٢ الفئات الثلاثة ، صوابه الثلاث . يرى الاستاذ المفتش تعريب الكلمات الاجنبية إذ قال ص ٥٤ : واستعمالها بذاتها مع تقريبها مع (صوابه من) الصيغ العربية الذي لا نراه جد ضروري دائماً — منطقي ومعقول وأكثر فائدة ، فنقول تلفون وتلغراف ولونغراف لان هذه الكلمات وامثالها أصبحت عالمية ، إلى آخر ما قال . ونرى نحن أن ذلك ليس معقولا ولا مقبولا ، إلا اذا سدت في وجوهنا أبواب الوضع والاشتقاق ، وضائق بنا سبل المجازات والاستعارات على أن هذه الالفاظ لم تجي على مقاييس اللغة وأدزائها ، وقد وضعوا مكانها الهاتف والبرق والحامي وعشرات من امثالها وقد قبلت واستعملت كلها في بلاد الضاد ، بل صارت عالمية ايضاً ، ولا عبرة بمصطلح العامة ، فان الغرض تقريب العامة من الفصحى لا العكس .

محمد بهجة البيطار

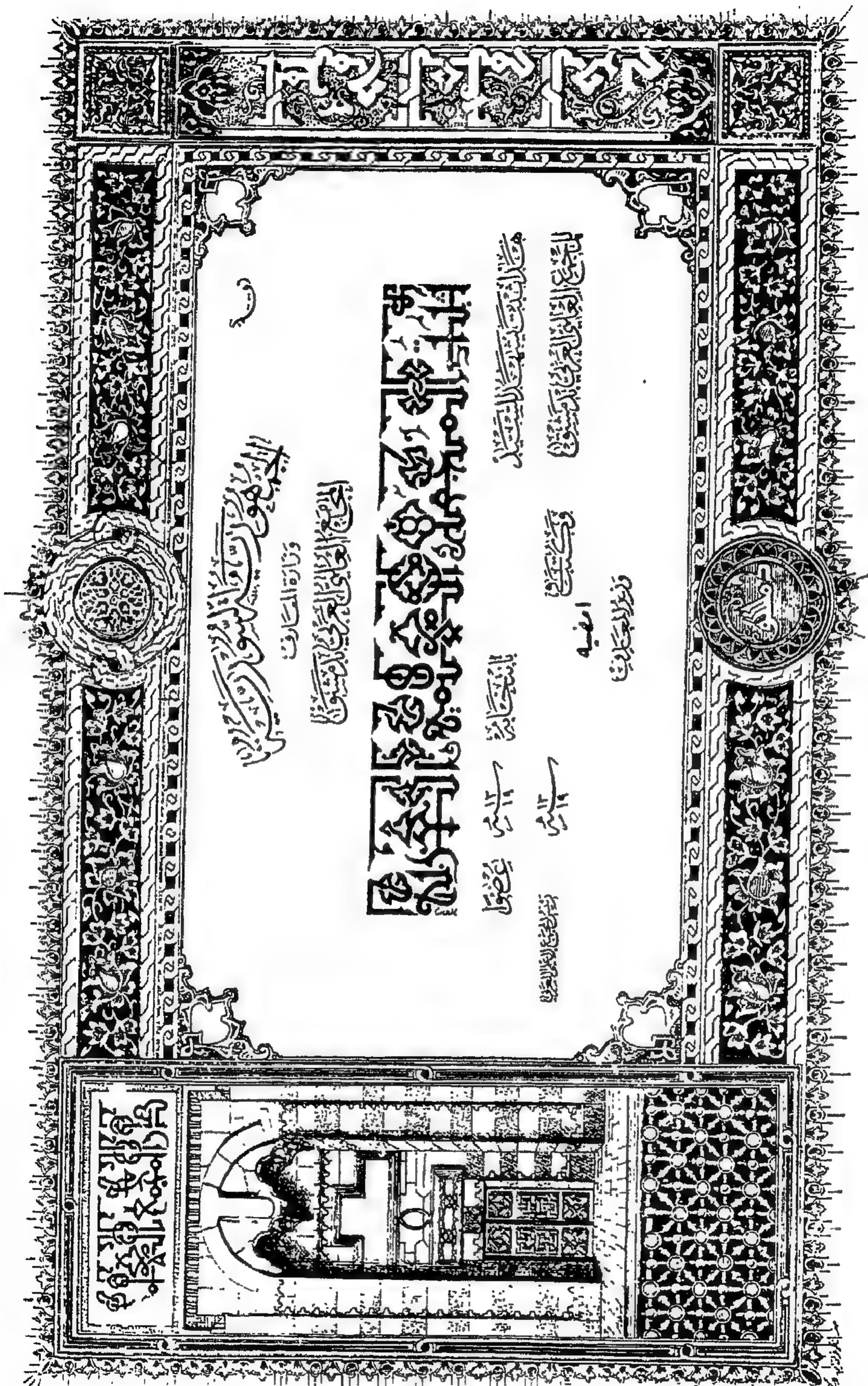
تلخيص كتاب المقولات لابن رشد

نشره الاب « يويج » اليسوعي في ١٢٣ صفحة

أسس الدين متقاربة في الاسلام والنصرانية وفلسفة الخلق والخالق واحدة في كليهما . ولما كانت عقول فلاسفة العرب والاسلام من أكبر العقول البشرية التي جالت في موضوعات هذه الفلسفة اخذ الاب يويج اليسوعي المحترم ينشر بعض كتبهم فيها كتمهات الفلاسفة للنزالي وتمهات التهانث لابن رشد . وساقه ذلك الى نشر « تلخيص كتاب المقولات لابن رشد » ايضاً وهو في منطق أرسطو .

وقد اجاد الناشر بمراجعة النسخ المختلفة من غربية ومرتجة ومقابلة بعضها ببعض والتعليق عليها واستخراج الاصح منها . وختم الكتاب بفهارس تشرح أهم الالفاظ الفنية الواردة في نصابه كما يفيط عليه .

مغطفى الشهابي



هذا معترف صورة الثبوت (الشهادة) الذي يعطى الى اعضاء الجمع العلمي العربي

حاجة لنا اليها . وهو جمع الجوهري ، والجوهري من يعنى نير كيب الحجارة الكريمة ويعمها والعناية بتحسينها . وهو الذي يسميه عوام اليوم الجواهري والجوهرجي وبالفرنسية Bijoutier .

وذكر البيجاذي بين الحجارة الكريمة (ص ٣٢١) وَيُرْوَى هذا الاسم روايات أخر ، وكلها فصيحة لايتها ذكرت في تأليف شقي مضبوطة غاية الضبط منها : البيجادي (بلا ياء وبدال مهمل) وهو بالفارسية بيجاد وبيجاده . بهاء في الآخر . وبالتركية يزادي ومن مختلف صور مرباته الفصيحة : البيجادق والبيجيدق والبيجادة واليزادي كما في التركية ، والترك اخذوه من العرب . وهو الينفش ايضاً . ومن انواعه : الماذني والبذخشي ، والقروي ، والاشبادشت ، ويقال ايضاً الاسيادشت (بالياء المثناة التحتية والذال المعجمة) والسرنديبي وهو الذي يؤتى به من سرنديب اي جزيرة سيلان اليوم وبالفرنسية Rubis balais

وضبط حضرته « الكهربا » المقصورة بمد في الآخر أسي « الكهرياء » والعرب لم تعرف هذه اللغة فهي بالالف القائمة لا غير .

وفي حاشية ص ٣٣٢ ورد أن « الماس يوناني معرب وهو الديمانت » (كذا) فاین هذه من تلك ؟ - والصواب انه من اليونانية Adamas (اي آداماس) فابدلت الدال لاماً . كما قالوا المعكود والمكول للمحبوس ، ومعهده ومعهله بمعنى اختلعه ، (راجع المزهرة بولاق ١ : ٢٥٥) وتآبد وتآبدل ، بمعنى قلأ اربه في النساء (اللغويون) .

وجاء ذكر القندير في حاشية ص ٣٣٣ : (القندر) بالراء المهملة وهي رواية القزويني وحده . والذي ذكره أصحاب علم الحيوان القندز يزاي في الآخر أبو القندس بسين والكلمة من اليونانية Kinados وابست من الفارسية كما زعم الدكتور امين باشا المعروف في معجمه ص ٣١ والذي ذهب الى انها يونانية هو صاحب البرهان القاطع . فليحفظ .

وذكر حضرة الناشر في حاشية ص ٣٣٤ من ٩ : (دوية يجلب منها الزبد) ونسب هذا الكلام الى الجوهري في صحاحه ولم أجده . والذي وقع نظري عليه في النسخة المطبوعة في مصر والنسخ العديدة الخطية التي بميني (الرباح ايضاً بلد يجلب منه الكافور) والذي ذكر الزباد (لا الزبد وهو غلط ظاهري) القزويني في كتابه اذ قال : (الرباح

بفتح الراء والباء مخففة: دويبة كالسنور وهي التي يجلب منها الزباد) وقد نقل هذا الكلام ناشر الصحاح في حاشيته فلتراجع . والزباد نقل الى الفرنسية بصورة Civette وقال حضرته في حاشية ص ٢٣٥ السنجاب ٠٠٠ هو المسمى باللاتينية Scuriolus ولم أجد هذه الكلمة في اللغة المذكورة ، إنما وجدت فيها بهذا المعنى Schurus اما Scuriolus فاللاتينية المولدة لا الفصيحة وهي المسماة عند Bas-latin ولعل كلمة (المولدة) سقطت من العبارة الاصلية .

وقد صحح حضرته تصحيحاً لا غبار عليه قول ناسخ عبارة الجاحظ او ما نسخها: « ثم الأحمر المحصري » بقوله: « المصصري » ؛ لكنه فسر هذه الكلمة بقوله: « اي المصبوغ بالمصرة وهي العصف » والذي اعرفه ان المصرة لم ترد بمعنى العصف ، بل الوارد في مقابلته هذا المعنى : : المِصر (كحل وبلاها) : الطين الأحمر . وفي التهذيب : ثوبٌ بمِصر مصبوغ بالمشرق وهو نبات أحمر طيب الرائحة تشتمله العرائس واشد : مختلفاً عِشْرِقُهُ وَكَرْكُمُهُ) ٠٠٠

ولم نعثر على من صرح بان المصدر هو العصف ولعل الكلمة صحفت والاصل المشرق لما بين الحرفين من بعض التشابه في الرسم واللفظ . وفي ص ٣٢٥ استعمل حضرة الناشر كلمة (مكتبة) للخزانة اي ما يقابلها بالفرنسية Bibliothèque ونحن لم نجد من النصحاء من اتخذ هذا الحرف بهذا المعنى ، والصواب ان يوضع هذا الحرف اي المكتبة محل نكثر فيه الكتب وتباع بمعنى الافرنجية Librairie .

واشار حضرته في حاشية ص ٢٣٥ الى ان لفظ (أبو قلمون) هو ثاني معرب وهو في الأصل Abokalamon ولم نجد هذه الكلمة القريبة في لسان الاغريق . والذي نراه أنه من Poikileimon

وفي حاشية أخرى من تلك الصفحة : (الزليّة) بالكسر — البساط ج زلالي كما في لسان العرب والعياب ٠٠٠ قال ذو الرمة :

كأن جلودهن بموهات على ابقارها ذهب زلال

فكان المقصود هنا من الزلالي : الصافي اللون . اهـ . — قلنا ولا صلة للزلية بالزلال

وان كان فيها بعض المشابهة اللفظية . وقول اللغويين ان الزلية هي البساط . هو غير صحيح من جهة التحقيق . فالزلية (والبغداديون يسمونها اليوم زُولِيَّة وزان حورية) وهي فصيحة ايضا على ما ذكرها ياقوت في مادة قُطَيْفَة بساط بجمل او الطنفسة . واما البساط فليس فيه نخل على ما هو شائع عند العراقيين قديماً وحديثاً . والزلية كلمة فارسية محضة من زَبَلُو بمعناها وهي القطيفة عند الفصحاء .

وجاء في ص ٣٤٠ س ٣ : « والترماز شجر بالفارسية بنجكشت » . لا نعرف شجراً اسمه الترماز لا بالفارسية ولا بالعربية . وبنجكشت كلمة فارسية مصحفة صوابها بَنَجَنَجُشت او بَنَج انكشت وهو المعروف بالعربية بالفَقْد او الفَقْدَد فتكون الترماز تصحيف أحد هذين الحرفين . وقال وهو ثبت يستخير بالدقلى وهذا لا معنى له . والصواب يستجير بالجيم .

وضبط حضرته الأبتوس في تلك الصفحة بالهمز والصواب بالمد على ما قرره اللغويون الأتبات . ولا يلتفت الى ما جاء في محيط المحيط وولديه اقرب الموارد والبستان واولاد اولادها وشركاؤها . فكله خطأ في خطأ .

وذكر حضرته في ص ٣٤١ : « البربون والايرون » والذي نميل اليه ان الاصل البرُبون وهو معروف ومذكور في كتب اللغة . والارُبون الذي هو جمع ارة وهو القديد ولم يغلى بخل فيجفف ويحمل في السفر .

وجاء في ذلك الوجه ذكر (اللورا) فقال حضرة الناشر في الحاشية : « كذا بالاصل . ولم أر لها معنى ولا شك ان التامخ حرف . فلم يأت باللفظ على اصله . اللهم الا ان يكون اللاذ واللاذة وهي ثياب من حرير تنسج بالصين تسميها العرب والعجم اللاذ . . . » الى آخر ما هناك . — ونحن نظن أن الرواية الصحيحة (اللورا) . واللورا على ما عرفها المسعودي في سروج الذهب (٨ : ٩١ من طبعة باريس) هي الرباب وهي من خشب ولها خمسة اوتار . وهي بالفرنسية Lyre والكلمة لاتينية الاصل . والصين مشهورة بعمل آلات الطرب الدقيقة الصنع .

ومن الالفاظ الغريبة التي وردت في كتاب الجاحظ هذا قوله في ٣٤٣ س ١ « الفوشنة » فقال حضرة الناشر الفوشنة ، ويسمها ابو بكر بن الفقيه المزداني « الفوشنة » (كتاب

البلدان ص ٢٥٥) ولم يهتد الى معرفة ماهيتها ٢٠ اهـ - قلنا: وكل من الفوشنة (اي بضم الفاء) والفوشنة (اي بضم الغين المعجمة) صحيح وهو نوع من الفطر كان يجلب الى العراق حتى الى عهد غير بعيد . و كنت ارى منه في السوق قبل نحو خمسين سنة . وكانت النساء يشتريه ويتخذن منه المربي او المربب للسمنة . وهو المسمى سيف لسان العلم Boletus edulis وبالفرنسية Bolet comestible واطلقه ايضا بعضهم على المسمى بالفرنسية oronge وبلغة العلماء Amanita caesarea وكل من الفوشنة والفوشنة يرد ايضا بمعنى عشب تتخذ بدل الاثنان لفصل الثياب وقصرها اذا يبست . اما اذا كانت غضة او طرية فقد تؤكل ، بل يأكلها كثيرون .

وقد ذكر محيط المحيط هذه الكلمة في مادة (غوش) فقال : « الفوشنة : عشب قلوبه تستعمل اشباتا » فكم غلطا في هذه العبارة الصغيرة - واول كل شيء لا رابط بين مادة غوش وغوشة . - ثانيا ان كلمة غوشة بالقاء لم ترد في اي لغة من اللغات - ثالثا ان الكلمة منقولة عن فريتنغ بعد مادة (غوس) ولم يجعلها في مادة (غوش) - رابعا ان فريتنغ ذكرها بصورة غوشة بتون بعد الشين وهي اللغة الصحيحة فسخها الملم البستاني - خامسا : ان فريتنغ لم يضبطها لانه رآها في قانون ابن سينا ص ٢٧٩ من طبعة رومة وهي هناك غير مضبوطة - سادسا انه ضبطها بفتح الاول وهي بضمها على ما في جميع كتب اللغة ولا سيما في البرهان القاطع ومعجم فلدس . - سابعا قال : تستعمل اشباتا . والصواب اشباتا بدوئين بدلا من تاءين . - ثامنا - كان يجب عليه ان يذكرها في مادة (غش ف) او في (غش ف) اما اقرب الموارد والبستان فلم يذكرها هذه الكلمة والسبب ظاهر وهو ان صاحب محيط المحيط قال بعد ايراد معنى الغوش والغوشة والفوشنة « وليس شيء من ذلك برمبي » فلم يتعرض لها الشرطوني ؛ فجاءه الاستاذ عبد الله نسكنا عنها . والله الهادي الى الصواب .

اما فريتنغ فذكر الفوشنة وقال : « القدح (عن قانون ابن سينا ص ٢٧٩) وفطر غُضْر وفي القوام بيضة قدح وهو دقيق الساق ومنطلي اعلاه بخطاء . ذكره سبرنجل في كتابه تاريخ العشب في المجلد ١ ص ٢٧٨ » - عرتنا كلام فريتنغ عن اللاتينية ليظهر للقاري .

ان محيط المحيط اخذ الكلمة عنه ولم يتقل المعنى المذكور فيه ، فاكنتي بما ذكر . ولا
نعلم مأخذ معناه ومخرجه :

وفي ص (٣٤٤ س ١) ضبطت التدرج بتشديد الراء ، ولم نجد هذا الضبط في
كتاب . والصواب وزان تنصر - وفي تلك الصفحة وذلك السطر وردت كلمة
« اليرمق » ونظن انها في هذا الموطن تصحيف اليلحق باللام وهو ضرب من الفراء ونظن
ان « الترمق » بالنون في غير محلها .

وذكر في الحاشية هذا الكلام وهو : « ويجرجان الثلج والنخيل » ونحن نظن ان
في قوله « الثلج » خطأ والصواب « البلح » بمعنى الثمر ، والا فالنخيل يموت في البلاد التي
يكثر فيها سقوط الثلج . فالموصل ، وهي من ديار العراق ، لا يزكو فيها النخل لوقوع
الثلج فيها مع ان صيفها كصيف بغداد . وفي عاصمتنا هذه يزكو النخل لقلة سقوط
الثلج فيها .

وذكر حضرة الناشر ان الفرنسية Macramé من العربية مقرمة وعندنا ان لاصلة
بين الحرفين سوى المشابهة والمجانسة في اللفظ . والذي نراه ان الفرنسية من العربية « مخرمة »
وهي بمعناها .

وجاء في ص ٣٤٥ س ١ : « اليرمق والاسلحة » . ونحن نظن هنا ان الكلمة مصحفة
عن « اليرق » (كسب وبلايم) وهو نوع من الاسلحة . والكلمة تركية الاصل
وردت في كثير من كتية المصر العباسي .

وورد في حاشية ص ٣٤٦ ما هذا نصه : « يزرقطونا . . . وهو الاسفيون بالفارسية »
ولم نجد هذه الكلمة في هذه اللغة . والذي ذكره : أسبوش ، وإسفيوش ، وإسبول
وسابوس ، وسيبوس وبسكو . ولم نجد غيرها ، والذي في المعتمد لابن رسول الاسفيوس
بسنن في الاخر وهو غير وارد في دواوين الفرس اللغوية .

وورد في اسفل الصفحة : (ديباج نسر) وهو غلط طبع ظاهر والصواب : (ديباج
بسنر) بناءين .

وذكرت « الصناعات والوقاصات » في جبين ص ٣٤٧ فعلق عليها حضرة الناشر بما
نعيد نصه : (اما لفظ الصناعات) الواردة بالاهل فاظنها تحريفا من التلخيص ولا اخالها الا

(النصاحات) وهي الجلود . . وكذا قوله (الرقاصات) فهي عتدي (الطراحات) حجم طراحة وهي مقاعد صغيرة مربعة تطرح في البيوت) . «أما زينا فليس كذلك ونظن ان النص الاهلي واضح لا غبار عليه . ويوافق المتقول عن آداب ابناء ايران فالصناعة : الدقاقة بالصنج او للصنوج . ومن في الدنيا يحسن القرع على الصنوج مثل الايرانيات ؟ — وكذا القول في الرقاصات «فان القارصيات كمن يحسن» — ولا يزال يتقن — الرقص على ابدع نوع ، واحكم فن . وحسبك ان ترى بعض الكتب المصورة في ديار فارس تشاهد ذوات الفنج يسكرون بالجلوس والشهود بالضرب على الصنوج والزمن المتنوع . هذا ولا يزال الراقصون والرقاصات والصانجون والصانجات مشهورين في العراق وهم ياتون من مختلف ديار ايران .

اما الكلمخ المذكور في ص ٣٤٧ فليس بالمشبهات أي Hors-d'œuvres على الاطلاق ، بل خرب منها وهو المسمى عند الافرنج Marinade وعندنا ادلة عديدة على هذا . لا حاجة لنا الى بسطها هنا لضيق المقام . والكلمخ انواع مختلفة بحسب البلاد التي يستحضر فيها . ولكل بلد من بلاد فارس خرب من الكلمخ . وذكر الناشر ان كالمخا تجمع على كوله ميخ بيا . قبل الاخر . وهو خلاف المشهور . والدائر على اللالسة والاقلام انه يجمع على كوله ميخ بلا ياء على ما هو مقر في كتب الصنعة ان كان تفاعل مكسور العين او مفتوحا فهو يجمع على فولعل اذا كان لغير العاقل ومنه خواتم وقوارح جماع خاتم وقارح . «أما كواميخ بالياء فمن اللوارد في الشعر فقط او في كلام بعض الفقهاء ولم يصرح به اجد مؤلذي ورد في التأليف هو من غلط الطبع او النقل . راجع المغرب للمطرزي . والمصباح وكلاهما ذكر كواميخ ولم يذكر احد الكواميخ بالياء .

وورد في حاشية ص ٣٤٨ هذا الكلام : «وقال الثعالي : هو كان يحمل الى حضرة السلطان مع خراج ارمينية كل عام = وهو ثلاثة عشر الف الف درهم = من البسط المحفورة (؟) ثلاثون بساطا» . وقد وضع الناشر علامة استفهام وراء المحفورة لأنها لم ترد في ديوانين لغتنا الحالية . قلنا : جاء في معجم حوزي : «البسط المحفورة ورد ذكرها في مقدمة ابن خلدون ١ : ٣٢٤ : ٢ (من طبعة باريس) حيث قال : طنفسة محفورة . وذكرها باين نيمث في ١٤٩١ . ودي ملان ينهب : الى أن الطنافس

المحفورة طنانس منشاة بنقوش بارزة « اه - والذي نراه أن هذا التأويل في نهاية السقم . وهو تأويل أعجمي لا يفهم شيئاً من كلام العرب . ولعل الصواب ما ذكره صاحب التاج اذ يقول : « محفور » بلد بشط بحر الروم . وبالعين لحن . نبه عليه الصغاني وينسج بها البسط والمفارش الغالية الاثنان « اه - وقال ياقوت في مادة القطيفة : القطيفة : تصغير القطيفة وهو كساء له خمل بقرشه الناس وهو الذي يسمى اليوم زولبة ومحفورة . » اه

قلنا : والذي عندنا أن المحفورة تعريب الارمية (مفورتا) بالعين لا بالحاء . ومعنى اصل المادة التأزير والتفكير والتغطية وسبب التسمية ظاهر لكل ذي عينين فالمحفورة ، بالعين ، صحيحة من جهة الاصل ، لا من جهة اتفاق العرب على اتخاذها . وهذا الاصل قديم بدليل قول القاموس والتاج والصغاني انه لحن . مع ان قولهم المحفورة اقدم من المحفورة وهذه تصحيف تلك . وأما ان محفوراً اسم بلد فلم نجد في معجم ياقوت ولا في كتب الفتوحات ، ونظنه مبنياً على وهم كابنوا البسط العبرية على مثل هذا الوهم الغريب : وعبر لم تكن ولعلها لن تكون . وقد حار ياقوت في تعيين الارض التي كانت تعرف بهذا الاسم فمرة يقول انها في اليمن ، واخرى يقول انها جبل ، وتارة يقول انها في الجزيرة وطوراً في اليمامة الى غير هذه المزايم وكلها قائمة على خيال او سراب . قال ابو عبيد : « ما وجدنا احداً يدري أين هذه البلاد ولا متى كانت » (التاج)

زد على ما قلنا ان كلمة (مفورة) وردت في اللغة الارمية ودونت في اسفارهم قبل ان تشيع على أسلات اقلام سلفنا . وكل ذلك يثبت ان اصل الكلمة دخيل وليس منسوبا الى اسم بلد .

وجاء في الحاشية ٢ من تلك الصفحة هذا الكلام : « الديزج » ، فارسي معرب ديزه بالكسر ومعناه ذلولين او هو بين لونين غير خالص . (تاج ٢ : ٤٢) ويروى ايضاً ديزج بالراء المهملة (النهاية لابن الأثير ٢ : ٢٢) اه كلام الناشر - قلنا : معنى ديزه بالفارسية الأخطب أي الأرمد الى سواد يقال ذلك عن الخيل والبغال والحمير وسائر الحيوانات التي على ظهرها جدة سوداء تسيل من غاربها الى ذنبها . ولا غبرة في كلام صاحب التاج اذ الفرس اعرف بلسانهم من سوام . واما انه يقال في ديزج : ديزج

بالراء المهمل فلم يقله احد ، بل لم يقله ابن الاثير نفسه . وهل ترى يصل جهله الى هذه الدركة السفلى ؟ واكي لا يحكم على ابن الاثير بمثل هذه السفاسف . نورد هنا كلامه بعد شرحه الديرزج : « قال ويروى بالراء المهمل وسكونها فيها (هكذا بثنية « فيها ») . ومعنى كلامه هذا : « ان الحديث : أدبر الشيطان وله هزج ودزج ، يروى بالراء سب في كل من هزج ودزج . وسكون كل من الراءين . اي ان الحديث جاء بصورة ثانية هي : أدبر الشيطان وله هزج ودزج . ثم فسر كلاماً من العزج والدزج والا لو اخذنا بما اوله حضرة الناشر « أي ديزج » بالراء المهمل وسكونها « ايها » ، وقد حذف الناشر هذه الكلمة الاخيرة - لا اتضح لها معنى سائق . ثم ما هاتان للمظناز المان تقومات نصب اعيننا وما عسى ان تذكرنا ؟ - كل ذلك لا يقوم على أي قائمة كانت . - هذا والحديث لم يرد في ٢ : ٢٢ من النسخة المطبوعة بل في ٢ : ٢١ . فيلاحظ (١) .

ذلك ما بدا لنا في مطاوي مطالعتنا لهذا الكتاب النفيس ونحن نرى ان سقطاتنا أكثر من تصحيحاتنا . ولذا نرجو من القراء أن يقيّلونا من عثراتنا وليست العصمة إلا لله . بقي أن في النسخة التي زادها الناشر مصطلحات عدة تحتاج إلى جلب النظر اليها ولا يوفي حقها إلا مقالة بطول هذه المقالة نندع تحريرها إلى من هو أطول باعاً منا . وله منا الشكر السابق الجزيل .

الاب انتاس ماري الكرملبي

(١) يقول اللغويون ليس في العربية فوعل بضم الاول وفتح الثالث الا اربعة الفاظ سوسن وصوبج ، فوغل وكوسج ؛ كلهن لغات في المفتوحة الاول والثالث . وعلى هذا يكون غوشنة وفوشنة (وغوشفة) صحيحة لوزن من جهة الاقيسة العربية ، الا أنها لم تنال عنهم ، ولم نسمع ولهذا كان الجري على الاصل والقليل المسحوع عنهم لا خة ليه . لا سيما اذا لاحظت أن الاحرف الاربعة كلها اعجمية وليس فيها واحد عربي نحض ، اذن من الاحسن أن يقال غوشنة وفوشنة تماثلة على الاصل ومراعاة لما نقل عنهم من هذا القليل . قال السيد مرتضى في مادة (صوبج) : « الصوبج معرب . والضم (اي ضم الاول وفتح الثالث) موافق لاعجميته ، جربا على القاعدة المشهورة بين ائمة الصرف واللغة وكونه مضموما هو الغواب لانه معرب جوبة بالضم وهي الخشبة ولما عرتب بقي على حاله . » اهـ .

الشيخ بدر الدين الحسني

ولد سنة ١٢٦٧هـ - ١٨٥٠م وتوفي سنة ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م

كان أول ما وصل إلى أسماعنا ونحن صغار نطلب العلم في طرابلس الشام من أخبار العلم والعلماء خارج طرابلس - أن في دمشق عالماً مغرباً اسمه بدر الدين وأنه لا نظير له في ورعه وتبحره في علوم الحديث وكان هذا في أواخر القرن الماضي الهجري ، فالشهرة بالعلم والورع نشأت مع المترجم منذ صغره . ولهذا يظن الناس أنه بلغ المئة مع أنه لم يتخط السابعة والثمانين من عمره ؛ والسبب في ذلك ما قلناه من ولادة شهرته معه صغيراً ، فطال بإيام الصبا عمره حتى طبق الخائفين ذكره وطالب العلم في عصرنا هذا يحار في أوبة مدرسة يدخل . وأي نوع من العلوم بطاب . أما الطالب في أواسط القرن الماضي - إذا كان في مثل نشأة الشيخ وتربيته الدينية - فمدرسته هي المدرسة التي تخرج فيها (ابن الصلاح) و (أبو شامة) و (النووي) و (الحافظ المازي) و (السبكي) و (ابن حجر) وأضرابهم ممن عمروا دار الحديث الأشرفية بالعبادة وذكر الله وبالعكوف على التأليف ونشر العلم وتربية المريدين . وقد خلفهم المترجم في مدرستهم هذه وابتغاهم على طريقتهم في نشر علوم الشريعة أو نشر الثقافة الإسلامية القديمة (كما يقولون اليوم) عاشاً عليها بالنواجذ . لا يعدوها إلى غيرها . ولا يطعن قلبه إلى العمل بسواها : فحفظ القرآن الكريم وطائفة كبيرة من المتون في العلوم المختلفة . ودرس تلك العلوم درس تدقيق وتحقيق على علماء دمشق . وأكبر أساتذته في ذلك العلامة أبو الخير الخطيب . وبعد أن نال حظاً وافراً من جميع العلوم الإسلامية انجذب بنور تذكه الله في قلبه إلى علم الحديث . فاستظهر الكثير منه بعمته وسنده وامتداد طرقه وروايته . وكلما توغل في هذا العلم ازداد حرصاً عليه وولوعاً به . حتى صدق عليه ما قلته بلسان حاله :

كل العلوم مشتتها فجددها بال ريث
إلا الحديث فانه مثل اسمه أبدأ حديث

أحب الشيخ علم الحديث وأحب العزلة عن الناس ليخلو بذلك الحبيب . وأحب الصوم عن كلام الناس ليفرغ قلبه إلى مباغمة ذلك الحبيب . فلزم غرفته في المدرسة الاشرفية فكان لا يبرحها إلا عند إرادة النوم فينام قليلاً ثم يستيقظ فيتهجد ويغدو صائماً إلى المدرسة . فيقرأ العلم ويعلمه ويرجع بعد العشاء إلى داره . وهكذا قضى حياته إلا بضع سنين من أواخرها اضطره المرض إلى ملازمة داره والاقراء فيها . وقد عهدنا الشيخ بكره التوسع في كلام الناس . وكثيراً ما قاطع محدثه وصرفه عن الاطالة خشية أن يقع في غيبة أحد أو في باطل من القول أو في ما تعقبه تبعه أو مسؤولية . وإذا سئل هو عن مسألة أجاب بأوجز جواب . وربما ابتدأ الجملة ثم سكنت عن إتمامها اعتماداً على فطانة السائل في فهم الباقي . ومن كان هذا شأنه في التأتم من الكلام العادي كان أشد تأثماً في وضع التصانيف التي يبقى خطرها - إذا هان فيها صاحبها - ما بقي الدهر : ولهذا رأينا شيخنا بعد أن صنف طائفة كبيرة من التصانيف عاد فتناساها ولم يأذن بطبع شيء منها . وشأنه في ذلك شأن الكثيرين من علماء السلف الصالح وكان المترجم اكتفى عن تصانيفه بتلاميذه الكثيرين الذين حملوا علمه وطريقته الدينية إلى تلاميذهم وهؤلاء إلى تلاميذهم فلا ينقضي زمن حتى تعم طريقته التعليمية الدينية دمشق ولاحقاتها كافة .

ومهما ذكرنا من فضائل المترجم ومناقبه الجملة فإن له منقبة فوق كل منقبة . وربما لم يشاركه فيها إلا الافئدة من علماء القرون الوسطى : تلك هي دروسه الجمية في مسجد بني أمية .

كنت أحضر تلك الدروس وألخصها وأنشرها تباعاً في جريدة (الشرق) التي كنت مدير تحريرها خلال الحرب العامة . ولقد نشرت أول درس منها في أول عدد صدر من تلك الجريدة بتاريخ ٢٧ نيسان سنة ١٩١٦ . وكان الشيخ في دروسه هذه كان يؤدي لاهل هذا العصر رسالة (ابن الصلاح)

و (النووي) و (السبكي) و (ابن حجر) التي استوحاها من ارواحهم في مدرسة (دار الحديث الانشرفية) من دون زيادة عليها ولا نقصان منها ومن دون أن تشوبها شائبة من (معلومات) العصر الحاضر اللهم الا كلمات (البيرة والشعبانبا والويسكي) التي كان شيخنا رحمه الله يذكرها احيانا في درسه بمناسبة المسكرات مطلقا . وان قوما يسمونها بهذه الاسماء التي لا تحول دون بحر حرام وان لم تسم باسم الخمر .

كان الشيخ ينطق بهذه الكلمات فيستملح ذلك منه وينظر مستمعو درسه بعضهم إلى بعض متعجبين من تلك الكلمات الاعجمية كيف اقتحمت تلك الاسرار المنبوعة التي اقيمت بين الشيخ وبين هذا العالم العاثر اللاهي

وكان الدرس الاول الذي لخصه من (دروس الجمعة) يتضمن الكلام على (الجهاد) و (الفن) و (دخول الحمامات) و (الاصابة بالعين) و (التداوي) بمختلف الادوية وخاصة بالحبة السوداء . وهي المسماة ايضا حبة البركة والثونيز . وقد وصف الشيخ فوائدها وما ذكره الاطباء في الطب القديم من منافعها ثم حض على التداوي بها وأشار إلى أن في طبها ما يعني عن طب غيرها

فقلت في التعليق على قوله هذا : « يا بني انت أيها الاستاذ وثقنا الله بعلمك وبركات قلبك الطاهر ؛ ومن أين لأهل زماننا اعتقاد مثل اعتقادك ، وإيمان مثل إيمانك فتفيدهم الحبة السوداء ، وتكشف عنهم البلاء ، وتغنيهم عن طب الأطباء . حقا إن الاعتقاد واقتناع النفس كثيرا ما أفاد في شفاء الامراض ولا سيما الامراض العصبية كما حققه حذاق الاطباء ، الذين أصابوا كبد الحقيقة المنيثقة من علم سيد الانبياء » . وقد ختمت هذا الدرس بعد نشره في الجريدة بقولي : (إني — وأنا لخص قول الاستاذ في الجامع — شعرت بشي من الالم وخدر الاصابع فاقبعت القلم من يدي وكففت عن الكتابة . وما الاستاذ فبقي هو اصل الكلام من دون تلهثم ولا توقف ولا إحجام . ومدة درسه عادة ثلاث ساعات : يحذر الأستاذ فيها المسائل حذراً لا يتخلله سكوت ولا يقاطعه من الحاضرين سؤال . وكل المسائل التي يلقيها تكون تعليقا على حديث البخاري الذي افتتح به الدرس . وهو يجعل بين تلك المسائل تناسباً دقيقاً للحماء . ويفرغها في أسلوب حسن السيك والانسيجام ،

ولا بذكر حديثاً ما لم يروِ سنده ويعين مأخذه ، فستمع درسه يعجب من ذلك الاستحضار كالعجب من فصاحة ألفاظه وصحة تراكيبه حتى لو أمكنت كتابة ما يُلقيه الأستاذ في درس واحد ثم طبع ذلك الاملاء ونشر بين أيدي الناس لكان لهم منه كتاب يبلغ حجمه حجم عشرة أجزاء من القرآن تقريباً وقد تضمن أبحاثاً حجة في أنواع العلوم الإسلامية القديمة اهـ .

وقد راجت مقالاتنا في (دروس الجمعة) بين القراء وأعجبهم طريقة إيرادها وحسن التصريف فيها ، و كنتُ أخذ من في الشيخ الحديث أو الخبر أو القولة الجميلة « فأمد بعض مسائلها التي تهتم الجمهور مدّة الأديم المكاظمي » - كما قال الأستاذ صاحب المنار في وصف تلك الدروس - وأعلّق عليها وأقتلها شرحاً وتأويلاً مما يجبُ الناس أن يسمعوه في ذلك العهد الرهيب .

وكان أشدّ الناس إعجاباً بتلك الدروس ورغبة في مطالعتها أولئك الذين يسمعون بشهرة الشيخ ولا يتيسر لهم استماع دروسه ومنهم إخواننا فضلاء النصارى في البلدان المختلفة حتى أرسل غبطة البطريرك الموراني أنطون عريضة (و كانت يومئذ مطرانياً في طرابلس) رسالةً إليّ راجعني فيها ببعض ما قلته في (دروس الجمعة) وفتتبع الرسالة بقوله : (منذ ظهرت جريدة الشرق فأخذت أطلعها كنت أجد لذة في قراءة مدروجاتها الدينية - الأدبية لا سيما التي كانت تصدر عن شيخكم الجليل البدر الحسني العالم الفاضل لما كانت يضمنها من التعاليم المفيدة الموقعة على ظروف الزمان والمكان والأشخاص . وكأنني به كان يريد تلك التعاليم من مناهلها العذبة : كالنحل يني عسله من الأزهار الطيبة وقد وقع نظري على تعليمه المدروج في العدد (١٧٠) فألقيته محتوباً من الأقوال ، على الدرر النوال : كعمل الاحسان والنهي عن الاذى الى آخر ما قال .

هذا وصفٌ للدروس العامة التي كان يلقاها شيخنا البدر رحمه الله أيام الجمع وقد بقيت لدينا بقية صالحة تصف دروسه الخصوصية في مدرسة دار الحديث الاشرفية وتصف مبلغ علاقته باللغة والادب أرجأناها الى العدد الآخر .

« للتعريبي »

النحت في اللغة العربية

وسيلة لتوسيع اللغة

النحت في اللغة مصدر نَحَتَ . يقال : نحت النجار الخشبة ، اذا أصلحها ؛ وفي الاصطلاح أن تنحت من كلمتين ، في الاغلب ، كلمة واحدة ، مثل قول العرب « عبقي » في النسبة الى عبد قيس و « سرقسي » في النسبة الى امرئ القيس . وقال الخليل :
أقول لها ودمع العين جار ألم يحزنك « حيلة » النادي ؟
فنحت من « حي » على « الكلمة » حيلة .

وهذه الطريقة قد استعملها الادريون في ارقى لغاتهم ، وبالاسلوب المستعمل في العربية ، فقالوا ، مثلا . Géographie وهي منحوتة من « gē » ارض ، و graphō كتب اي ، (وصف بالكتابة) فمضى géographie اذن ، وصف الارض . وذلك مستفيض في اللغات الافرنيجية ، ولا سيما في الالفاظ العلمية ، فعندم منها آلاف . ولا يخفى ان للنحت فائدة عظيمة ، فان الكلمة المسحوتة تشتمل على مجموع معاني الجذور الداخلة فيها . وحسب الانسان ان يكون عارفا بمعنى مثني جذر او ثلاثاثة ، فيوصله ذلك الى معرفة معاني تلك الالفاظ المركبة او المنحوتة منها .

بهذه الطريقة ، اي بواسطة مثني جذر او ثلاثاثة ، تنتمي اللغة بالآلاف من الالفاظ الجديدة ، كما حدث للغات اوربا في العصر الاخير ، فقالوا ، مثلا : Radiophone ، وهي مركبة من جذرين ، معنى الاول منهما (شعاع كهربائي) اي بث التموجات اللاسلكية في الفضاء . ومعنى الثاني (الصوت) فمعنى الكلمتين معا (الآلة الناقلة للصوت بالتموجات اللاسلكية) .

وهذه طريقة اسهل للتعبير عن المسميات الجديدة ، من أخذ جذر من اللغة قسمها وتكييفه باللاحق (affixes) ، او بتغيير صيغته . لاننا اذا اخذنا جذرين ، زادت سهولة التعبير عن شيء مركب معقد .

هيا بنا الآن نطبق هذا المبدأ على اللغة العربية : قد استعمل العرب النحت ، كما قلنا ، نحتوا بضع عشرة كلمة : البسطة ، من (باسم الله) ، والسبعة ، من (سبعان الله) ، والطلبة من (اطال الله بقاءك) ، الخ .

وانت ترى ان هذه الكلمات المنحوتة خفيفة اللفظ فصيحة ؟ وهي تدل على معان مركبة بصورة مختصرة .

لكن العرب لم يستعملوا هذه الطريقة في العلوم والفنون إلا في بعض الفاظ انتبسوها من لغات أجنبية ، مثل جغرافية ، ميثلوجية ، الخ . — وأخذ العرب أيضاً الفاظاً منحوتة من اللغة الفارسية ، مثل « الكهرياء » المركبة من « كه » بمعنى الذهب ، وجذر الفعل « رُيودَن » ومعناه جذب . فمضى الكهرياء « القوة الجاذبة » للذهب وما جرى مجراه .

ومن الالفاظ الفارسية غير العلمية التي جرت على السنة العرب « طربوش » من « سر » أي رأس ، و « يوش » أي لبس ، « وبستان » من « بو » رائحة « وستان » لاحقة - [Suf- fixe] بمعنى « مكان » فستان معناها (مكان الرائحة الذكية) . « وكشتان » من « انكشت » أي اصبع ، و « بان » وهي لاحقة بمعنى حارس او حافظ . و « شطرنج » من « شش » أي ستة ، و « رنك » أي لون او نوع ، فمضى شطرنج « اللعبة المركبة من ستة انواع من القطع المتحركة » . وروزنامه من « روز » أي يوم و « نام » أي رسالة او كتاب ، وقس عليها .

واستعمل العرب ايضا الالفاظ المنتهية باللفظة « خانه » الفارسية ومعناها بيت ، فقالوا مطرا فخانه ، كتبخانه ، دقتر خانه ، الخ .

لذلك تمنى ان ما تم في الماضي ، يتم الآن وفي المستقبل ، وذلك بهميم هذه الطريقة ولا سيما في الالفاظ العلمية ، فقول ، مثلاً : (صور خانه) بمعنى (متحف للصور) بدلا من ان نقول متحف للصور ، و « تماثخانه » بمعنى (متحف للتماثيل) ، و (آذارخانه) بدلا

من دارالاثار) . ويمكننا ان نصوغ الصفات والظروف من جميع هذه الالفاظ المنحوتة فنقول مثلاً : النفقات الصور خانية او الاعتمادات الصور خانية ، الخ .

وجرباً على هذه الطريقة نقسها ، فنقول مثلاً في تعريب Quadrumane اي (الحيوانات ذوات الاربعة) ارييد ، فنثنى « ارييدان » وتجمع « ارييدات » . ونقول سب في Kuadrupède اي (الحيوانات ذوات الاربع) « اربدجل » فنثنى « اربدجلان » وتجمع « اربدجلات » ، ونصوغ الصفة من امثال هذه الكلمات ، فنقول : ارييدي واربرجلي في مثل التعبير الآتي : « الحركات الاريدية » . ونقول في تعريب Mammifère اي (الحيوانات ذوات الثدي) « ذوئد » « ذوئدان » « ذوئدات » . وفي مثل Psychologie نقول الفلسوجية بدلاً من « علم النفس » ، وذلك باقتباس الجذر الثاني من اللغة اليونانية كما فعلت اشهر لغات الغرب .

خلاصة الكلام : لا بد لنا من الجرأة ، ولا سيما في ميدان الصحافة والتدريس . ولا نخش تصادم الآراء في صوغ تلك المنحوتات الجديدة ، فان قاموس اللغات هو التواطؤ العلمي بالاستعمال ، نضرب لذلك مثلاً : كان الفرنسيون يقولون vélocipède اي (السريعة الرجل) ، فماتت هذه اللفظة وحلت محلها Bicyclette ، اي (العجلة المثناة) ، وهي التي عربها المصريون بالكلمة « دراجة » .

واذا اعتراض بعض اولئك المثمنين المدعين حب اللغة العربية — وهم في الحقيقة المسككون بخناقها — وقالوا ان النحت قصر على الالفاظ التي اتممها العرب فقط ، فنجيبهم بكلام المرحوم احمد فارس الشدياق : هل لعائل ان يقول ان « الطلبة » لازمة وغيرها غير لازم ، مع ان الوضع انما يراعى فيه الازوم والضرورة . فاذا ساغ للعرب نحت بعض الالفاظ ، ساغ لنا ذلك نحن ايضا ان ننحت ما تمس الحاجة اليه ، فهم رجال ونحن رجال !

اثبتنا في هذا المقال تحديد النحت ومثلنا له ، ووضمنا بضع كلمات منحوتة . وسنتشر ان شاء الله ما يتيسر لنا نحتة او وضعه من اسماء المسميات الجديدة . فنقدم لارباب المجمع العلمي العربي ولو حجراً واحداً يضاف الى تلك الاحجار الكريمة التي راح ارباب المجمع ينون منه قصراً لهذه اللغة الشريفة .

مارون غصن

جامع التواريخ

- أو -

«نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة»

- ١٠ -

حدثنا أبو الحسن علي بن أبي محمد الصلحي الكاتب قال : رأيت بمصر طبيباً كان بها مشهوراً يعرف بالقطيبي وكان يقال إنه كان يكسب في كل شهر ألف دينار من جرائنات يجريها عليه قوم من رؤساء العسكر ومن السلطان ومما يأخذ من العامة قال وكان له دار قد جعلها شبیه البيمارستان من جملة داره يأوي إليها ضعفاء الأئمة^(١) يمالجهم ويقوم بأوردهم وأدويةهم وأغذيتهم وخدمتهم وينفق أكثر كسبه في ذلك قال أبو الحسن فاسكت بعض فتيان الرؤساء بمصر وأسماء لي فذهب نني اسمه وكنت هناك فحمل اليه أهل الطب وفيهم القطيبي فاجتمعوا على موته إلا القطيبي وعمل أهله على غسله ودفنه فقال القطيبي دعوتي إعالجه فان بري والا ليس يلحقه أكثر من الموت الذي قد أجمع هؤلاء عليه فخلاه أهله معه فقال : هاتم غلاماً جليلاً ومبارعاً فأتني بذلك فأمر به فدد فضر به عشر مقارع من أشد الضرب

(١) جمع عليل

ثم مس بحسه وضربه عشرة أخرى شديدة ، ثم مس بحسه وضربه عشرة أخرى
 ثم مس بحسه فقال للطب^(١) ايبكون لبيت نبض يضرب ؟ فقالوا لا قال فجسوا
 فجسوه فقالوا قد زاد نبضه فضربه عشرة أخرى قوي النبض ، فضربه عشرة
 أخرى فتحرك البيت ، فضربه عشرة أخرى فصاح ، فقطع عنه الضرب
 فجلس العليل يحس بدنه ويتأوه وقد أثاب قوته اليه فقال ما تجد ؟ فقال انا
 جائع فقال أطعموه الساعة فجاءوه بما أكل ورجعت قوته وقتنا وقد برأ فقال
 له الطب من أين لك هذا ؟ قال كنت مسافراً في قافلة فيهم أعراب يخفروننا
 فسقط منهم فارس عن فرسه وأسكت فقالوا قد مات فعمد شيخ منهم فضربه
 ضرباً عظيماً كثيراً ومارفح الضرب عنه حتى أفاق فعلمت أن الضرب جلب
 اليه حرارة أزالته سكته فقتت عليه أمر ذلك العليل

حدثني أبو محمد يحيى بن محمد بن فهد الأودي قال حدثني أبو علي
 الحسين بن محمد الانصاري الكاتب قال كنت وأنا احدث وقع بين يدي
 حمد دلويه^(٢) وهو إذ ذاك يكتب للمؤمن سلامة^(٣) حاجب القاهرة فجاءه
 يوماً أبو علي الحسن^(٤) بن القاسم بن عبيد الله وأبو جعفر الكرخي مسلمين^(٥)
 فحبسهما للانس وأجلسهما في دست في صدرة كانت له وجلس دونهما
 على مطرح وفرش في بيت إلى جانب القبلة له باب إليها واجلس فيه ابنه
 وأجلسني معه و كأنه رفع الرجلين عن معاشرتهما بنا ونحن أحداث واراد

(١) يزيد الأطباء (٢) كذا بالاصل (٣) بالاصل : اخي حج صاحب (٤) العواب
 الحسين وليراجع تجارب الامم ١ : ٢٦٦ (٥) بالاصل : سلمان

بذلك سماع كلامه^(١) والانس بسماع الغنى^(٢) وكان الى جانب القبة بيت آخر فأجلس الغنى فيه ومدت ستارة على بابه وأخذوا في الشراب ونحن نسمع الغناء وما يجري من كلامهم ولا نرفع أصواتنا بالكلام لئلا يسموا ذلك فلما توسطوا الشراب احضر با كورة فقبلها ثم أقبل عليهما وقال الانصاف أن أقسمها بيننا اثلاثاً ولكن قد وفرت قسمي عايكما يا سيدي فاقسمها انما فأخذها الحسن^(٣) بن القاسم فقال يا سيدي يا ابا جعفر هذه تحب أن آخذ انا ثلثها وأعطيك ثلثها فقال الكرخي فعلام يا سيدي فقال لانك انت وأخوك ولدتما تووما فانت نصف تووم^(٤) وأنا تام لأني ولدت وحدي ولو كان أخوك حاضراً لكان لي ولك وله اثلاثا ومع غيبته قالت لا نستحق أكثر من الثلث فقال له ابر جعفر ما أعجب هذا أنت رجل كان جذك نصرانياً يعتقد أن الله ثالث ثلاثة ونشأ أبوك فصار ثنوباً وترك مرتبته^(٥) ونشأت أنت فكان القياس أن تترك مرتبة واحدة أخرى وتترك مرتبتين فنشأت ملحدآ لا نعتقد شيئاً أصلاً ولم نميرك بذلك فميرنا أنت بالتووم ولا ذنب لنا فيه وهو عار على الحقيقة فغضب الحسن^(٦) بن القاسم وابتدى^(٧) ليحجيب فقام دلويه وقال الطلاق ثلاث لازم لي وكل ما املكه صدقة ان اجبت يا سيدي بشيء ولا تكلمت أنت يا سيدي يا ابا جعفر بشيء فإن هذا يخرج الآن عن المزح الى العريضة والأحقاد والوجشة التي تبقى وقدركما يرتفع عن هذا،

(١) لعله كلامهما (٢) يريد الغناء (٣) الصواب: الحسين (٤) لعله تام (٥) الصواب

مرتبة اي مرتبة واحدة (٦) الصواب: الحسين (٧) لعله: فالتدب

قال : فسكتا ساعة واجمين ولم يزل أبو محمد يداريها ويبسطهما ويستعطف كل واحد منهما لصاحبه حتى اصطلحا .

أنشدني محمد بن عبيد^(١) الله بن سكرة الهاشمي وهو من ولد عبد الله بن علي بن المهدي المعروف بابن رائط غلب عليه اسم أمه كما غلب على إبراهيم ابن المهدي اسم أمه شككة يهجو أبا العباس بن أبي الشوارب وهو من ولد خالد بن أسيد الأموي أخيه عباد بن أسيد صاحب النبي صلى الله عليه وسلم لما تقلد قضاء القضاة وكان العامة تلقبه بجد نذل :

خلعتُ على حدّ نذل من مديحي قميصاً لا اكتسى رجلٌ كساهُ
على نفسي دعوتُ لأنّ جهلي دعاني إن شرفت إلى نداء
وكيف رجوتُ جوداً من عدوي ولم أغسل حسامي من دماه
لأبي فراس الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان بن حمدون العدوي
الغابي قصيدة أولها^(٢) :

وقوفك في الديار عليك عارُ وقد ردّ الشباب المستعارُ
ويقول فيها :

وطال الليلُ بي ولربّ ليلٍ^(٣) نعمتُ به لياليه قصارُ
وندماني السريع إلى ندائي^(٤) على عجلٍ وأقداحي الكبار
عشتُ بها عوارسيّ الليالي أحقّ الخيل بالركض للمار

(١) في بتيمة الدهر ٢ : ١٨٨ اسم أبيه عبد الله (٢) ص ٢٣ من ديهوانه (بيروت

١٩٠٠) (٣) في الدهوان دهر (٤) في الدهوان لغائي

إذا نجز الظلام امتدَّ آل كَأنا ذرُّه وهو البحار^(١)
 يوجُّ على النواظر فهو ماء ويلقح بالمواجِر فهو نارُ
 فكم بلادٍ شتتاهن فيه ضحاً وعلى منابرهِ المنار
 وكنَّ إذا أغرن على ديارٍ زجمن ومن طرائدها الديار^(٢)
 وكم ملكٍ تزعنا الملك منه وجبار بها دمه جبارُ
 وله قصيدة أولها^(٣):

عذيري من طوالع في عذاري

يقول فيها :

أرى نفسي تطالبي بأمرٍ قليل دون غايته اصطباري^(٤)
 وما يغنيك من همٍّ طوالٍ إذا قرنت بأحوالٍ قصار
 وقيل لي انتظرُ زمناً ومن لي بأن الموت ينتظر انتظاري^(٥)
 أنشدني أبو الفرج عبد الواحد بن نصر الخزومي المعروف بالبيغاء
 الكاتب لنفسه يصف شراً قد جاء^(٦) أبيض أياتاً ثابتة في دهرانه اختصرت
 منها قوله^(٧):

بالقفص^(٨) للقصف منزل كئيب ما للنصاري^(٩) في غيره أربُ

(١) في الديوان إذا انحصر الظلام امتدَّ ليل كَأنا وردده (٢) في الديوان الديار
 (٣) ديوان ص ٧٠ (٤) في الديوان اقتصاري (٥) لعله سقط في أثناء (٦) بتيمة الدهر
 ١ : ١٨٦ (٧) قال في معجم البلدان : القفص قرية مشهورة بين بغداد وعكبر أو كانت
 من مواطن اللهب ومعاهد النزء ومجالس الفرح ينسب إليها الخمر الجيدة (٨) في البيضة :
 للنصاري والنصاري أصبح لتحليلهم شرب الخمر

دارت نجوم^(١) الكواوس في فلك منه له من فتوني قطب
 من كل جسم كأنه عرض ينكاد لطفاً بالاحظ يذهب
 نور^(٢) بواب لم يغب ووهم ولو صح^(٣) وما لو كان ينسكب
 لا عيب فيه سوى أذاعته الله مر^(٤) الذي في حشاه محتجب
 كأنما صاغه النفاغ فما يخلص فيه صدق^(٥) ولا كذب
 فهو إلى لون ما يجاوره على اختلاف الطباع ينتسب
 إذا ادعاه اللجين أكذبه بالراح في صبغ جسمه الذهب
 جلت عروس المدام حالية فيه علينا الأدوار^(٦) والنخب^(٧)
 فالراح بدر^(٨) والجام هاته والأفق كفي والأنجم الحجب
 وأنشدني لنفسه مقطوعة :

فليالي الصبا أسر^(٩) ليالي وزمان الهوى ألد^(١٠) زمان
 وأسر^(١١) البلاد ما أحمد السا كن فيها خلائق الجيران

حدثني^(١) بعض المتطيين قال حدثنا أبو منصور بن مارمة كاتب أبي
 مقاتل صالح بن مدرك البكلابي أمير دجلة وكان أبو منصور من رؤساء
 أهل الصراة^(٢) الذين يضرب بهم المثل في كل فن كان أديباً وقد شاهدته

(١) في البيعة : السرور (٢) في البيعة ضج (٣) في البيعة : منه صدق (٤) في
 البيعة الاوتار (٥) قال شارح ديوان مسلم بن الوليد (ص ١٦٦) النخبة هي الكاس
 الكبير . والظاهر أنه يريد الشربة يشربها الرجل لصحة حبيبه (٦) الفرج بعد الشدة
 ٢ : ١٩ (٧) في الفرج : البصرة

ولم أسمع مثل هذه الحكاية قال أخبرني شيخ " قال كنت ببعض أهلنا استسقى وأبس من الحياة فحمل إلى بغداد فشورز الطب " وفيه فوصفوا له أدوية كباراً فعرفوا أنه قد تناولها بأسرها فلم تنجع فأيسوا منه وقالوا : لا حيلة لنا في برئه وهذا تالف فسمع العليل ذلك فقال لمن كان معه دعني الآن أتزوّد من الدنيا وآكل ما أشتهي ولا تقتلوني بالحمية قبل أجلي ، فقالوا كل ما تريد ، فكان يجلس على دكان باب الدار التي ينزلها ببغداد فهما رآه يجتاز على الطريق اشتراه وأكله فمر به رجل يبيع الجراد مطبوخاً فأجلسه واشترى منه عشرة أرطال وأكلها بأسرها فلما كان بعد ساعة من أكله انحلّ طبعه وتواتر قيامه حتى قام في ثلاثة أيام أكثر من ثلثمائة مجلس وضعف وأبس منه ثم انقطع القيام وقد زال كل ما كان في جوفه وأثبت " قوته وبرأ فخرج برجليه في اليوم الخامس بتصرف في حوائجه فرآه أحد الطب وعجب من أمره وسأله عن الخبر فرفقه فقال ليس من شأن الجراد أن يفعل هذا الفعل ولا بد أن يكون في الجراد الذي فعل خاصية فأحب أن تدلني على بائع الجراد قال فما زالوا في طلبه حتى اجتاز بالباب دفنة ثانية ورآه الطبيب فقال ممن اشتريت هذا الجراد فقال ما اشتريته أنا أصيده وأجمع منه شيئاً كثيراً وأطبخه على الأيام وأبيع به فقال من أين نصطاده قال فذكر قرية على فراسخ بسيرة من بغداد فقال له الطبيب أعطيك دنائير

(١) في الفرج : شيخنا - (٢) في الفرج : الاطباء وقد أكثر المؤلف من استعمال

الطب بهذا المعنى (٣) بالاصل انايت وفي الفرج : وثابت

وتدعُ شغلك وتجيئُ معي إلى الموضع الذي اصطدت منه الجراد قال نعم !
فخرجنا وعاد الطبيب من غديره ومعه من الجراد شيءٌ وحشيشة قالوا له : ما هذا
فقال صادفت الجراد الذي يصيده هذا الرجل يرعى في صحراء جميع نباتها
حشيشة يقال لها مازريون وهي من دواء الاستسقاء وإذا دفع إلى الليل منها
وزن درهم أسهل إسهالاً يزيل الاستسقاء ولكن لا يؤمن أن ينضبط ولا يقف
فيقتله بالذوب فالعلاج بها خطر جداً وهي مذكورة في الكتب ولقرط
غورها^(١) لا يكاد أب يصفها الطب فلما وقع الجراد على هذه الحشيشة
وانضجتها معدته ثم طبخ الجراد ضعف فعلمها بطبخين اجتمع عليها وقصر ،
وتناولها هذا وقد تعدلت بمقدار ما أبرأته ولم تدفع طبعه دفعاً لا ينقطع
فبرأ .



أراء وافكار

(الاسلام والكتب)

ورد في السيرة النبوية ان النبي (ص) اشترط في اطلاق اسارى المشركين ان يعلموا صبيان الصحابة الكتابة . وجاء في اخبار المأمون انه صالح ملك الروم على ان يرسل اليه كتباً فلسفية من مكاتب القسطنطينية وفي خبر آخر ان يرسل اليه احد اطباء بلاده . وكان مولاي اسماعيل ملك مراکش في القرن الحادي عشر للهجرة احب ان يجي سنة السلف فرأيناه يكتب كتاباً الى ملك اسبانيا يشترط فيه ارسال كتب عربية أندلسية لقاء فك الاسارى وهذا هو نص الكتاب بعد البسملة والطابع :

« من امير المؤمنين اسماعيل الى عظيم الروم وملك اقلنم اسبانيا وبلاد الهند والمتولي امورها والمتصرف في اقطارها (ضون كارلوس) اما بعد فقد وصلنا كتابكم صعبة خديكم (منوبل بيردلون) و(اييل مسيح) وهو جواب عن كتابنا الذي ارسلناه لكم مع الفراهيلي^(١) قبل هذا وبعد ان قرأناه وقم منا لفظه ومعناه والتي اليها خديكم (اييل مسيح) ما في خاطر كم وما طلبتموه منا من فك هذه المائة من الاسارى رددنا اليكم جواب كتابكم ووجهناه مع خديم دارنا وكتابنا السيد محمد بن عبد الوهاب الوزير ولولا مزيتكم عندنا ومعرفتنا بمنصيتكم ماسمحنا بفرقه الى ان قال : وذلك بان تعطونا في الخمسين من الاسارى من هذه المائة خمسة آلاف كتاب : مائة كتاب عن كل اسير نصراني من كتب الاسلام الصحيحة المختارة المثقفة في خزائنهام باشيلية وقرطبة وغرناطة وما والاها من المدن والقرى حسبما يختارها خديمنا المذكور من المصاحف وغيرها وتعطون خمسمائة اسير من المسلمين في مقابلة الخمسين الاخرى وان لم توجد الكتب التي هي مرادنا فاجعلوا عوضها من اسارى المسلمين

(١) يفهم من كلامهم انه يراد بالفراهيلي نزلاء الاسبانيول الذين كانوا يسكنون مدينة مكناسة ولا نعلم ان كانوا يسمون بذلك الى اليوم

واعطوهم لنا من الاسارى الذين في الاغربة وغيرهم وقبلنا منكم في العدد المذكور الرجل والمرأة والضعيف والكبير والمسن من اياتنا وغيرها اذ مالنا قصد الا في الاجر والثواب في فكك اسارى المسلمين كيما كانوا ومن اين كانوا والا فالاعتناء الكلي انما يكون باهل الدواوين من الجند او العلماء حملة الشريعة وعامة المسلمين انما تقصد بفكهم وجه الله تعالى . وارجوع خادمتنا حاملة بذلك نلتقاء بهذه المأبة نصراني امينة و يكون ملئق الجميع فيها ولا عندنا معكم في هذا الا الجدل الصحيح والعمل الصريح بحول الله تعالى وكتب سادس عشر ذي الحجة الحرام خاتم عام واحد ومائة والف . .

مطبوعات حديثة

كتاب المواقف

✽ لمحمد بن عبد الجبار بن الحسن النفري ✽

وبايه للمؤلف ايضاً كتاب المخاطبات

طبع للمرة الاولى بعد مقابلة سبع نسخ بتحقيق

د. روبرتو ابري

لقد طبع هذا الكتاب الصوفي الجليل في مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٣٤ وهو يتألف من ٧٧ باباً أو موقفاً ، كما أن كتاب (المخاطبات) يتألف من ٥٧ مخاطبة ، وقد عني بتصحيحه وتنقيحه الاستاذ اريزي المحاضر بالجامعة المصرية وأنشأ له مقدمة قيمة بالانكليزية ، ونقل اليها الكتابين المذكورين ، وعزز الترجمة بمرسدين ليتها كانا بالعربية: الاول في التعابير الفنية التي استعملها مؤلف الكتاب ، والثاني باسماء الاشخاص والامكنة والكتب وغيرها .

أما المؤلف فهو كما يذكره محقق الكتاب صورة غير واضحة في تاريخ التصوف الإسلامي عاش على ما يظهر في النصف الأول من القرن الرابع للهجرة فقد جاء في كشف الظنون أنه توفي سنة ٨٣٥ هـ؛ والنزر المعروف من حياة النفري ملقط يرمت به كتبه شارح المواقف عفيف الدين القلمساني فقد جاء ذلك مبثراً في تضاعيف الشرح منه أن مؤلف المواقف هو ابن الشيخ النفري ، لا الشيخ النفري عنه ، لأن هذا الشيخ لم يؤلف شيئاً من الكتب ، غير أنه كتب موافقه أو الهاماته هذه على جزازات من الورق سقطت من بعده للخلف ، وجاء في موضع آخر أن صاحب المواقف كان هاماً في البراري لا يقيم في مكان واحد ، وفي محل آخر يذكر أن مؤلف المواقف لم يكن هذا النفري بل أحد أصحابه أو ابن بنته على رواية أخرى ، والذي يهمنا معرفته أن النفري كان صوفياً من طبقة متوسطة بين رجال التصوف ولم يكن مهتماً بروايته ولا يستقبل الهاماته ، ولكنه كان مع ذلك غيوراً من الحس في التمسك بخاطراته ، مع اعتقاده أنه صريح بصحة منازلته ، وقد ذكره الشيخ الأكبر في فتوحاته أربع مرات .

وأما اسمه فقد اتفق العلماء على صحته ما خلا نسبته ، ولعل اختلافهم فيها قد نشأ من نسخ النسخ أولاً ثم من نسخ النسخ ثانياً وهلم جرا إلى أن اعتقد الناس بالغلط أخيراً ، فما قيل أنه : النفري ، النفري ، النفري ، والشيخ الأكبر يذكره في الفتوحات بالنفري ؛ كذلك اختلف المستشرقون من بروكس وصرغوليوت ونيكاسون وماسينيون في هذه النسبة بحسب المخطوطات المختلفة التي اطلعوا عليها .

وصاحب القاموس يذكر بلدة (قهر كأمع من عمل بابل منها أحمد بن الفضل النفري) . ويزيد صاحب الناج أن قبر البراقية (من سقي الفرات ، وقيل بالبصرة ، وقيل على النرس من أنهار الكوفة ، ثم يقول : وفاته (أي المجد) محمد بن عبد الجبار النفري صاحب المواقف والديناوي والضلال) . وذكر ياقوت قبر في معجمه والخلاف في مكانها وقال أخيراً : والصحيح أنها من أعمال الكوفة ، وقد نسب إليها قوم من الكتاب الأجلاء وغيرهم قال عبيد الله بن الحر :

وقد بقي المرء التميمي خيلاً . فلابقى طعناً صادقاً عند قهراً .

وضرباً يزيل الهام عن سكناته فما إن ترى الآصرباً ومدبراً
ومن مؤلفات صاحب المواقف كتاب المخاطبات المطبوع مع المواقف يبدوه بقوله :
(يا عبد) بدلاً من (وقال لي) كما في المواقف .

« مذهب النفرى فى التصوف »

١ - الوقفة

إن « الوقفة » أهم خصائص المذهب النفرى فى التصوف ، وقد ذكر ابن العربى
هذا التعبير عند شرحه له فى فتوحاته ، كما أن صاحب المواقف قد تعرض لشرح معناها
فى الموقف الثامن المشتمل على روح المذهب النفرى فى مواقفه ووصفها ينبوع العلم وما
قاله عنها ما نصه :

« وقال لي : الوقفة ينبوع العلم فمن وقف كان علمه من تلقاء نفسه ، ومن لم يقف
كان علمه عند غيره . » وقال أيضاً : « الوقفة روح المعرفة ، والمعرفة روح العلم ،
والعلم روح الحياة » ثم قال : « الوقفة عمود المعرفة ، والمعرفة عمود العلم » .
ثم شرح هذه (الوقفة) بقوله : « العلم حجابي ، والمعرفة خطابي ، والوقفة صورتي ،
وقال : « العالم يخبر عن الاسم والنهي وفيهما علمه ، والعارف يخبر عن حقي وفيه معرفته
والواقف يخبر عني وفي وقفته . »

وما فرق به بين العارف والواقف بقوله « العارف ذو قلب ، والواقف ذو رب » وقوله
« اخباري للعارفين ووجهي للواقفين » .

٣ - معرفة المعارف . - وقال لي : اذا عرفت معرفة المعارف جعلت العلم دابة
من دوابك ، وجعلت الكون كله طريقاً من طرقائك ، ؛

« وقال لي : لا يعبر عني إلا لسانان : لسان معرفة آيته اثبات ما جاء به بلا حجة ،
ولسان علم آيته اثبات ما جاء به بحجة » ؛

« وقال لي : اسمع الى معرفة المعارف كيف تقول لك : سبحان من لا تعرفه
المعارف ، وتبارك من لا تعلمه العلوم ، انما المعارف نور من انواره ، وانما العلوم كلمات
من كلماته . »

ومن ابواب الكتاب موقف الادب وموقف التقرير وموقف لا تفارق انمي وموقف

حجاب الرؤية وموقف البصيرة وموقف الحجاب ، وموقف التمكين والقسوة وموقف
الكشف وموقف الحرف وموقف العبادة الوجهية وموقف الاسلام الخ

كتاب المخاطبات . — فن المخاطبة الأولى : يا عبد اعرف من انت يمكن اثبت
لقدمك ويمكن امسكن لقلبك ؛ يا عبد ، اذا عرفت من انت حملت الصبر فلم يبي به ؛
يا عبد ، اذا عرفت من انت اشهدتك محل العلم بي من كل عالم ، ومقر الوجد بي من
كل واحد ، فاذا اشهدتك ذلك كنت من شهودي على العالمين ، واذا كنت من شهودي
على العالمين فابشر بمرافقة النبيين .

ومن المخاطبة السابعة والاربعين : يا عبد علم رابتي فيه هو السبيل الي ، وعلم لم ترني
فيه هو الحجاب الفاتن ،

يا عبد اذا لم ترني فجالس العلماء واستضيء بنور العلم ،

يا عبد العلماء يدلونك على طاعتي لا على رؤيتي .

هذه امثلة ذكرناها على سبيل المثال ، لتدل على روح المؤلف ونمط التأليف ،
والمطلع على طبع الكتاب وعلى حواشيه ومقدمته الانكليزية يعلم مبلغ عناية مصححه
الفاضل ، ومبلغ اهمالنا لكتب السلف الصالح على جليل فائدتها وجليل عائدتها .

عز الدين غلام الدين



جلسة المجمع العلمي الاخيرة

٦ ربيع الاول ١٣٥٤ و ٢ حزيران ١٩٣٥

انعقدت جلسة المجمع برئاسة برئيسه الاستاذ عبد القادر المغربي وبحضور اكثرية الاعضاء ومما بحث عنه في هذه الجلسة :

١ - المراسلات

تلا الرئيس رسالة وزير المالية بشأن طبع المجلة و(كتاب المدارس في المدارس) في مطبعة الحكومة وان المالية لا بد لها من الرجوع على المجمع العلمي في اجور الطبع فتقرر الاستغناء عن مطبعة الحكومة والطبع في مطبعة اعلية ايرخص سعراً واثقن طبعا وتليت رسالة احد اساتذة اللغة والادب في لبنان يرشح نفسه لعضوية المجمع العلمي فتقرر الحلقة بقائمة اسماء المرشحين للمضوية والانتخاب منذ الان بتناج علمه وادبه ونشره في مجلة المجمع

ثم تليت رسالة الفاضلة كثرثوم عودة تلميذة العلامة كرتشكوفسكي بشأن اشتراك المجمع في حفلة تكريمه وتقرر ان يكتب الاستاذ الرئيس كلمة ترسل باسم المجمع الى تلك الحفلة (وقد ارسالت ومنشتر في المجلة)

٢ - الهدايا

اهدى الاستاذ كرتشكوفسكي كتابه البديع ، لعبد الله بن المعتز فسر الاعضاء لطبع هذا الكتاب النفيس وكلف الاستاذ خليل بك مردم بكتابة كلمة عنه واهدى الاستاذ ارثر بوخنا اريري كتاب المواقف في التصوف لمحمد بن عبد الجبار الفرقي فكلف كاتب سر المجمع بكتابة كلمة عنه (وهي التي تقدمت)

وأهدى الأب فيليب بارينجا اليسوعي كتاباً في الشطرنج في مجلدين لمؤلف عربي مجهول الاسم وهو كتاب فريد في بابهِ وفيهِ رسوم تمثيل رقاع الشطرنج على اختلاف الألعاب فكلف الأستاذ المبارك بالكتابة عليه

وأهدى الأستاذ اسد رستم كتاب « لبنان في عهد الأمراء الشهابيين » وهو ثلاثة أجزاء مذبلة بتحقيقاته وقرر أن يكلف الأمير مصطفى الشهابي بالكتابة عليه فالمجمع العلمي بشكر المبدعين على هداياهم النفسية

٣ - الترشيحات

ورشح الرئيس انتخاب الأستاذة حسين والي وفيشر وطه حميد اللباني لعضوية المجمع العلمي فاجلت الموافقة على ذلك إلى جلسة أخرى

٤ = الفاظ البرق البريد

ثم تلا الرئيس جريدة تتضمن الفاظ البرق والبريد التي نشرتها الحياة العاملة في الجرائد مع مناقشتها فوافق الأعضاء على جميع الالفاظ ما خلا المنشبة . الناشبة . الشريط العازل . حجرة المقومات . الخاصرة . الناقلة . القائمة فقد اقترح الأعضاء ان يستبدل بها المنشب . الناشب . العازل . حجرة التسعير . الحابس . المحولة . الشاخصة

ثم بحث الأعضاء في طريقة اقاذا نشر تلك الكلمات فاقترح الأستاذ فارس بك الخوري ضرورة ارسالها إلى مجمع اللغة العربية الملكية بواسطة معالي وزير المعارف وذلك في سبيل توحيد المصطلحات العلمية المؤدية إلى توحيد الثقافة العربية

٥ - تمثيل المجمع

في المؤتمر الطبي

وأخيراً قرر الأعضاء انتخاب الأستاذ الرئيس ليمثل المجمع في المؤتمر الطبي الثامن الذي اترف انعقاده في دمشق وان يكتب بذلك إلى رئاسة اللجنة التحضيرية للمؤتمر المذكور

الاعضاء الذين فجع بهم المجمع في خلال هاتين السنتين

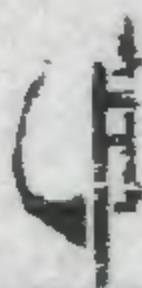
(في دمشق) الاستاذان جميل العظم وسليم عنجوري (وفي حلب) الاستاذان
كامل الغزي وزكي مغامز (وفي مصر) الاساتذة أحمد زكي باشا واسعد خليل داغر
وداود يركات (وفي طولكرم : فلسطين) الاستاذ سعيد الكرمي (وفي رومة)
الاستاذ جويدي .

(المجمع) يث حزنه عليهم ، ويدعو بالرحمة لهم

رجاء إلى القراء

- (١) أن يرسلوا إلى إدارة مجلة المجمع عنواناتهم الجديدة
- (٢) أن يرسل اليها المشترك كون بدلات الاشتراك الباقية في ذممه حتى سنة ١٩٣٣ م
- (٣) أن يرسل أيضا مشتركي هذه السنة (المركبة من سنتي ١٩٣٣ و ١٩٣٥)
اشتراكهم عنها وإذا كان فاتهم بعض أعدادها الاولى الاربعة ولا سيما الثالث
والرابع فليطلبوه من الادارة
- (٤) أن يوافي أعضاء المجمع ادارة تحريرهم بمقالاتهم وما جدت من آثارهم
- (٥) نرجو المؤلفين وارباب المطابع والمكاتب أن يرسلوا إلينا مصنفاتهم وآثارهم
المختلفة التي صدرت بين السنتين المذكورتين كي لا يفوتنا تقريبها وتدوين خبرها في
المجلة .

Bibliotheca Alexandrina



0652775